

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٠١ - رجب ١٤٢٢هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠١م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 301- SEP/OCT. 2001

الطائف: جمال الطبيعة
وأصالة التاريخ

المسرح والسياسة

العولمة:
فن تحقيق المصالح...

سيكولوجية
الصورة الشعرية

الإسكندر الفاتح

الألوان تقول كلمتها

الأغذية النباتية
وقائمة الطعام الصحي





الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- تأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة السعودية للتوزيع ـ هاتف ٦٥٣٠٩٠٩(٠٢)، فاكس ٦٥٣٣١٩١(٠٢). مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠ سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١، ٩٦٣٠٠ تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ١ ـ ٢١٦٠٠ قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠ الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٩٦٢٠٠ البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٩٧٣٠٠ الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠ الجزائر ـ مؤسسة E.B.D PRESSE لتوزيع الصحافة، ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠ الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠ السودان شركة النحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب SOCHPRESS - CASABLANCA - TEL:2400223, Fax:00212-2404041/32 - MOROCO، باكستان PAKISTAN
PARADIS BOOKS & DISTRIBUTORS- KARACHI 75400, TEL:4314981/2 FAX: 0092-21-4554410.
الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ ـ ٣ ـ ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨



خريطة الحياة

يمثل اكتشاف الجين البشري أكبر تحدٍ يواجه الإنسانية طوال تاريخها؛ لأن الجينوم يقلب النظرة إلى الإنسان ذاته.

ويحتد الجدل في الغرب حاليًا حول أخلاقيات الجينوم الذي يتركز بشكل أساسي في مسألة الاستنساخ، إلا أن ما يثير القلق هو عدم اليقين من الفوائد التي سيجنيها الإنسان من تطبيق تقنية الاستنساخ. ومع ذلك لا حد لقدرة الإنسان على تجاوز مخاوفه، مما يعني أن تطبيق هذه التقنية سيصبح أمرًا واقعًا لا محالة، بل قد يأتي يوم تسخر فيه الأجيال القادمة من الجدل الدائر حاليًا.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

الفيصل

شمسُ عزٍّ تمتطي نوراً تراها
فيصلٌ تهدي على علم هداها
منفذٌ للفكر إذ تجلي ضياءً
يشربُ الظمآن عذباً طاب ماها
ليس فيها غيرُ نفعٍ من علوم
يستنيرُ العقلُ إذ يعلو مداها
كيف أخفي من حنيني قد تجلى
يستطيبُ الشعرُ من طيبٍ حواها
مثل زهر يعتلي روضاً تجلت
تنتشي عطراً فترميه شذاها
كلُّ شهرٍ حين تأتي مثل غيثٍ
يرتوي العطشانُ قطراً من نداها
كلما فيها يزيدُ العقلَ نضجاً
تكتسي الألبابُ طيفاً من ضياها
شاعرٌ جدتُ القصيد اليوم صدقاً
كيف لا أثني وقد عشتُ صباها
هو إهدائي إلى أهلٍ وخلٍّ
أهلُ فكرٍ أهلُ عُربٍ من بناها
(صالحي) إسمي ومن أرض الجزائر
أرسلُ الشعرَ اعترافي من صداها

صالحي محمد الصالح
ولاية ورقلة ـ الجزائر

التحرير:
نشكر لك هذه القصيدة، ونأمل أن نكون عند حسن ظن أمثالك من القراء، ونتمنى أن يدوم تواصلك مع المجلة من خلال أشعارك ومقالاتك.

سهلة.. ولكن!!

لي ملاحظة على مسابقة المجلة،
أولاً ـ الأسئلة سهلة في معظمها عدا السؤال الخاص عن قائل بيت من أبيات الشعر، لأن الإنسان مضطر لأن يقرأ ديوان الشاعرين أكثر من مرة ليصل إلى البيت لماذا يحور السؤال عن:
من هو رهين المحبسين؟ الملك الضليل؟ شاعر القطرين شاعر العروبة؟ غسيل الملائكة؟ أعنق ليموت؟ أو عن الأنبياء والرسل أو الملوك والرؤساء. هذا رأي والرأي للأغلبية كنظام ديمقراطي تعمل به مجلة الفيصل الغراء ودمتم لنا، والله يوفقكم ويرعاكم ويسدد خطاكم.

أسامة كمال شباره
كفر الزيات ـ مصر.

التحرير:
نشكر لك هذا الرأي، علماً بأننا لم نجد شكوى من الإخوة القراء عن صعوبة هذا السؤال، كما أن الرجوع إلى المراجع للإجابة عنه ليس صعباً، بل يضيف جديداً إلى معلومات القارئ.

حتى لا تضيع الفائدة!!

أنا أحد قراء المجلة الحريصين على اقتنائها وعدم التفريط بأي عدد من أعدادها وبأي موضوع من موضوعاتها، لما تحتويه من فوائد علمية وأدبية وثقافية وغيرها، وحرصي الشديد على أن تكون بعيدة عن كل مأخذ، مما دفعني إلى أن ألفت نظركم إلى أن بعض الأعداد السابقة لم تكن متقنة التجليد، فتنفرط الأوراق خلال القراءة، وتبقى كل ورقة على حدة، فتضيع الفائدة المرجوة من ذلك الموضوع لضياع بعض أوراقه. لذا أرجو الأخذ بهذه الملاحظة وشكراً.

عبدالحميد سلطان ـ حماة ـ سورية

التحرير:
نشكر لكم هذا الحرص على المجلة، وملاحظتك جديرة بالاهتمام، وقد تفاهمنا مع المسؤولين عن الطباعة والتجليد حول هذا الأمر، وإن شاء الله سوف تجد الأعداد القادمة أكثر دقة وأتقن تجليداً.

خطأ عفوي

أنا من قراء المجلة، وفي العدد ٣٩٩ ـ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ الموافق يوليو ـ أغسطس ٢٠٠١م، «إسلامية الجامعة بين النظرية والتطبيق ـ الجامعة الإسلامية العالمية نموذجًا». أعتقد أنه ورد خطأ عفوي، في صفحة ٣٣ بداية العمود الثاني وهو «... كل ما على العرب والمسلمين هو التدبر في تجاربهم الماضية في التعريب، ومن تجارب الأمم المتقدمة في نقلها الدائب السريع لكل جديد من المعارف، ولا سيما الفيزيائية والتقنية، من اليابان وسورية والصين، وألمانيا، والولايات المتحدة الأمريكية»، وأعتقد أن الدولة المقصودة منطقياً هي روسيا وليست سوريا، منطقيًا، وحتى لا يلتبس الأمر على القارئ رجاءً، يلزم التوضيح.

ناجي محجوب محمد ـ الرياض ـ السعودية.

التحرير:

نشكر لك متابعتك الدقيقة لموضوعات المجلة واستنتاجك صحيح، والمقصود روسيا، وهذا لا يغيب عن فطنة القارئ الكريم.

إشارة حمراء

إنك عندما تقف أمام الإشارة الحمراء، ويأتي بجوارك سائق مستهتر بالنظام، أو غلام صغير السن، ويقوم بقطع هذه الإشارة فإنك تقوم بجمع أنفاسك وتقول: لو أن لي قدرة على هذا فأبلغ عنه جهات الاختصاص لكي يعاقب على قطعه تلك الإشارة، وهو في الوقت نفسه قد عصى الله سبحانه وتعالى، إذ إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: *أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم*. النساء: ٥٩. ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من عصى أميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله». وأنا أعد قطع الإشارة من دون ضرورة معصية لله سبحانه وتعالى، وكذلك معصية للرسول ومعصية لولي الأمر، وإنني أدعو جميع السائقين من خلال هذا المنبر العلني «مجلة الفيصل» أن يتقيدوا بالنظام، وذلك لمصلحتهم أولاً ولمصلحة المجتمع الذي يعيشون فيه ثانياً حتى ينتشر الوعي المروري بين أفراد المجتمع المسلم وأصحاب المركبات بشكل خاص، والله من وراء القصد.

ذاعر بن صليبان بن معيلي الحربي
الخرج ـ السعودية

التحرير:

نضم صوتنا إلى صوتك، ونأمل أن يرتفع مستوى الوعي المروري في بلداننا حتى تقل نسبة الإصابات والوفيات، إذ إن عدم التزام نظم المرور من الأسباب الرئيسة للوفيات، والنسبة الأعلى لهذه الوفيات تكون في أوساط الشباب، مما يهدد الموارد البشرية التي نحتاج إليها لدفع عجلة التنمية.

ردود سريعة

الأخت هدى شكيب ذيب صالح ـ الزرقاء ـ الأردن:

مع احترامنا لرأيك، إلا أنه ليس من المنطق أن تمنح جوائز متساوية للفائزين في المسابقة بحجة أنه لا يفرق بينهم غير الحظ لأن إجاباتهم واحدة، ونحن إذا طبقنا هذا المنطق فإنه يتوجب علينا منح جوائز لكل أصحاب الإجابات الصحيحة، ويعني ذلك رصد آلاف الريالات شهريًا للمسابقة، وقد يصل المبلغ إلى مليون ريال أو أكثر، وهذا ما تعجز عن الوفاء به أكبر المؤسسات الاقتصادية، دعك عن مجلة ثقافية في زمن تغلب عليه ثقافة الصورة.

الأخت نسيمة برابري ـ المسيلة ـ الجزائر:

لم نتلق منك مقالة أو قصيدة حتى ننشرها، وترحب المجلة كثيراً بمشاركات جميع القراء، ويسعدنا أيضًا ـ أن تنطبق عليها المعايير المعمول بها حتى تجد طريقها إلى النشر.

الأخ هاوي الصحافة عبدالمحسن عبدالله الحاج ـ الرياض:

تفصح هذه الصفة التي أردتها أن تسبق اسمك عن نفسها في اختيارك لمقالة «مهنة الصحافة وشروط الصحفي في نظر الشيخ الطيب العقبي» للتعقيب عليها، وتركيزك في بعض مسؤوليات الصحافة في المجتمع دليل على اعتزازك بها، وتثمينك لدورها التنويري، لذا نأمل أن تحاول إشباع هوايتك بمزيد من الاطلاع، والعمل على صقل قدراتك بمتابعة أصحاب الأقلام الجادة، والمداومة على الكتابة، وإرسال ما تكتب إلى الصحف والمجلات، لعله يجد طريقه إلى النشر، مما سيزيد ثقتك بنفسك.

الإخوة الكتاب:

نأمل من جميع الإخوة الذين يراسلون المجلة كتابة عناوينهم بوضوح في الشاركة المرسلة، كما نأمل ممن هم خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالأحرف اللاتينية كما في بطاقات الهوية التي يتعاملون بها، تجنبًا لأي عراقيل قد يتعرضون لها عند صرف مكافآتهم في حال نشر مقالاتهم.

الطائف

جمال الطبيعة وأصالة التاريخ

ناصر بن علي الحارثي
مكة المكرمة - السعودية

أحقًا يا حمامة بطنِ وَجٍّ
بهذا النوح أنك تصدقينا
غلبتُكِ بالبكاء لأن ليلي
أواصله وإنك تهجعينا
وإني إن بكيت بكيت حقًا
وإنك في بكائك تكذبينا
فلستِ وإن بكيتِ أشدَّ شوقًا
ولكني أسِرٌّ وتُعلنينَا
فنوحي يا حمامة بطنِ وَج
فقد هيَّجتِ مشتاقًا حَزينا

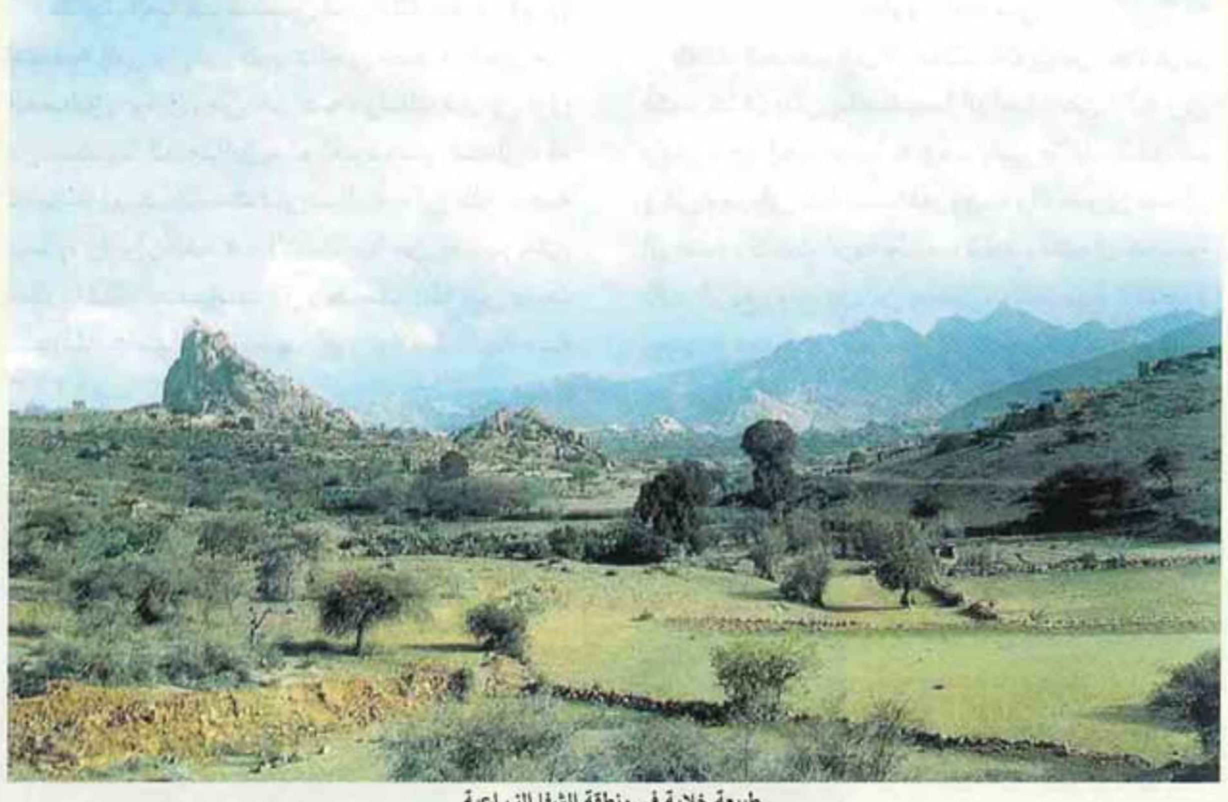


من حق الشاعر عروة بن حزام أن يشدو بهذه الأبيات، فمصيف المملكة العربية السعودية الأول الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، كان ولا يزال مصدر إلهام للشعراء والأدباء؛ ففيه أعظم أسواق العرب، بل أشهرها على الإطلاق، ، ألا وهو سوق عكاظ، وترابه يحتضن الحبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وكل ذرة رمل أو صخرة فيه شهدت ذكريات لن ينساها التاريخ، فما ذكر مصيف المملكة الأول إلا وارتبط اسمه برجالاته الأفذاذ، وهوائه العليل، ومياهه العذبة، وفواكهه اللذيذة، وبساتينه الغناء، وأزهاره الندية، وحبوبه وخضراواته المتنوعة، ومناظره الخلابة، وآثاره العظيمة.

و هذا الاستطلاع المصور عن الطائف يتضمن تعريفًا بموقعها، وطبيعة أرضها (جيولوجيتها)، وتضاريسها، ومناخها، وأصل تسميتها، وتطورها العمراني، ومعالمها التاريخية والأثرية، وحرفها وصناعاتها التقليدية، ونهضتها التي تمر بها في هذا العصر الزاهر.

الموقع وخصائصه

تقع الطائف على جبل غزوان بين خطي عرض ٢٠ - ٢٢ْ شمالاً، وخطي طول ٤٠ - ٤٢ْ على السفوح الشرقية لجبال السروات، وتبعد



طبيعة خلابة في منطقة الشفا الزراعية

عن مكة المكرمة بنحو تسعين كم شرقًا، وترتفع عن سطح البحر بارتفاع يراوح بين ١٣٠٠ - ١٨٠٠م، ويزداد هذا الارتفاع في بعض ضواحيها إلى ٢٥٠٠م، وينقسم سطحها إلى منطقة المرتفعات، ومنطقة التلال والسفوح، ومنطقة السهول المنبسطة.

وقد أتاح لها هذا الموقع أن تنفرد بأهمية تاريخية، ودينية، واقتصادية، وعسكرية، وثقافية، وسياسية. وتمتاز الطائف ببرودتها شتاء، حيث تصل درجة الحرارة في بعض مرتفعاتها إلى الصفر، ومتوسط الحرارة في الشتاء ١٧ْ مئوية، أما في الصيف فتتسم بطقس معتدل، متوسط درجته ٢٠ْ مئوية، وتسقط عليها الأمطار في فصلي الصيف والشتاء، بمعدل سنوي يراوح بين ١٠ و ٣٠ملم، والرطوبة النسبية ٣٠٪، وسرعة الرياح بين ٣٠ - ٤٠كم في الساعة.

أصل التسمية وأول من سكنها

الطائف لغة تعني العاس أو العسس الذين يقومون بالحراسة ليلاً، وقد قيل في تسميتها عدة أراء، فقيل: سميت بذلك لأنها طافت على الماء زمن الطوفان، وقيل: لأنها كانت بالشام فنقلها الله عز وجل إلى الحجاز استجابة لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، وقيل: إن جبريل اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم باليمن فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت، وقيل غير ذلك، ولكن أقرب الآراء صحة ذلك الرأي الذي يرجع أسباب التسمية إلى السور الذي أدارته ثقيف حول المدينة.

وكانت الطائف تسمى قبل ذلك باسم: (وجّ) نسبة إلى وج بن عبدالحي عبد الحق من العماليق، وقيل: من خزاعة، ولذلك قيل إن أول من سكنها العماليق، ثم ثمود، ثم عدوان، ثم ثقيف، ثم خضعت للرسول صلى الله عليه وسلم، ولدول الخلافة الإسلامية من بعده، حتى تمكن الملك عبدالعزيز رحمه الله من بسط سيادته عليها، وضمها إلى دولته الفتية سنة ١٣٤٣هـ.

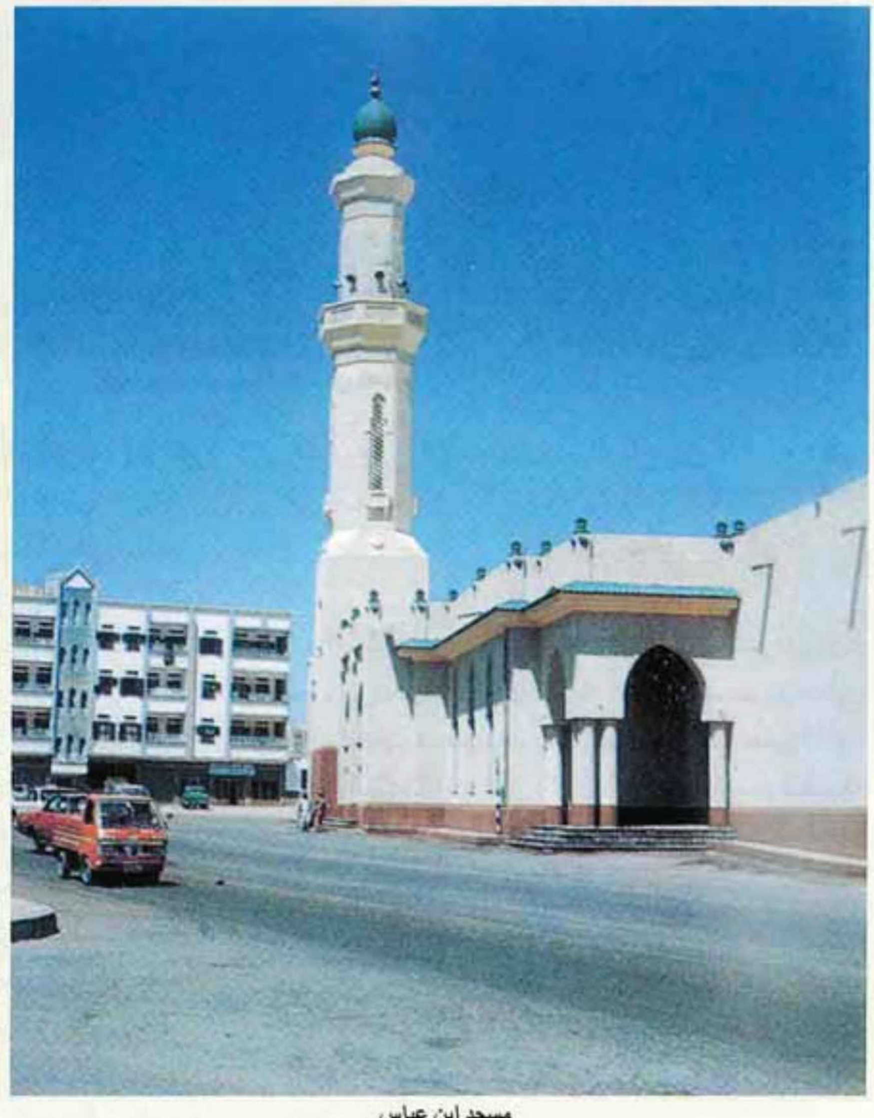
التطور العمراني

كانت الطائف قبل الإسلام تتكون من عدة قرى أكبرها قريتان يفصلهما الواحدة عن الأخرى وادي وج، إحداهما تعرف باسم طائف ثقيف، وهي مما يلي الطائف المعروف، والأخرى تسمى الوَهْط؛ وكانت قرية طائف ثقيف تشمل هضبة باب الريع، وجبل ابن منديل، وهضبة القلعة، وجزءاً مما كان يسمى قرية الهضبة، وكان حصن ثقيف على هضبة باب الريع.

وقد أدارت ثقيف حول هذه المنطقة سورًا له بابان يفتحان على المدينة، أحدهما لبني يسار، ويسمى باب صعب، والآخر لبني عوف، ويسمى باب ساحر، وقد كان هذا السور عاليًا، ففي رواية عن حصار الرسول صلى الله عليه وسلم للطائف ما نصه: « ومنهم - أي العبيد - أبو بكرة نفيع بن مسروح تدلى من سور الطائف على بكرة فكني أبا بكرة».

كما كان هذا السور سميكًا وقويًا حيث حاول المسلمون الاقتراب منه بعد ما عجزت المنجنيقات التي رمى بها المسلمون عن إحداث ثغرة فيه ينفذون منها إلى داخل المدينة.

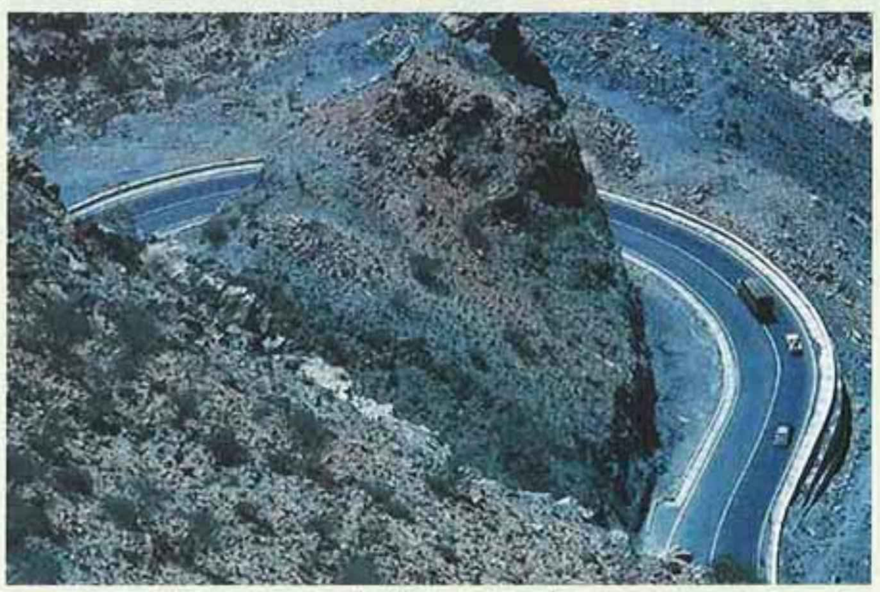
أما في العصر الإسلامي فقد شهد النمو العمراني بالطائف بطئًا شديدًا، وذلك لهجرة كثير من رجالاتها إلى خارج الجزيرة، وانتقال



مسجد ابن عباس



حديقة الملك فهد العامة



أحد الطرق الرئيسة في الطائف

عاصمة الخلافة إلى دمشق، وعدم استجابة ثقيف لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لمؤازرته، وتحريم الإسلام لصناعة الخمور التي كانت تدر على الطائف مداخيل اقتصادية كبيرة، وتوقف سوق عكاظ، وموقعها العسكري الذي كان سبباً في تدمير كثير من مبانيها إبان الحروب والفتن والثورات.

ويبدو أن النمو العمراني للمدينة خلال العصر الإسلامي بدأ بعد بناء مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، فقد وصفها الرحالة ناصر خسرو سنة ٤٢٢هـ بقوله: «موضع أكبر من القرية ودون المدينة، ولها سور محكم، وسويقة صغيرة، وجامع متوسط الحجم، ويقع القبر في حافة المدينة، وقد بنى الخلفاء العباسيون حول القبر مسجداً عظيماً، وأدخلوا قبر عبدالله ابن عباس في زاوية المسجد التي تقع على يمين المحراب والمنبر، وبنى الناس حول الجامع منازل كثيرة».

وعلى الرغم من ذلك فإن المسجد لم يتصل بالمدينة القديمة بدليل بقائه خارج السور.

ثم وصفها العياشي في القرن الحادي عشر الهجري بقوله: «.. وصلنا بلد الطائف، وهي قصور في مستوى من الأرض تحيطها جنات من نخيل قليل وأعناب كثيرة وفواكه مما يشتهون.. وفي هذا البلد أسواق حافلة يحضرها الناس من أطراف نجد، ويجلب إليها من الحبوب والثمار



قصر الكاتب

والزبيب والعسل ما قضينا العجب من كثرته، بحيث يخيل إلينا أننا لم نر مثل ذلك في الكثرة من الأسواق العظيمة..».

كما وصفها بوركهارت بقوله: «.. وهي عبارة عن مربع غير منتظم الأضلاع، ويحيط بها سور وقناة، وأن الأسوار والأبراج كانت أقل متانة من أسوار جدة والمدينة وينبع، وكان سمك السور ١٨ بوصة، وعلى الجانب الغربي للمدينة توجد قلعة بناها الشريف غالب، ولكنها الآن نصف متهدمة، أما منازل الطائف فغالبيتها صغيرة، وهي مبنية من الحجر الجيد، وغرفة الاستقبال توجد في الدور العلوي، بعكس ما هو مألوف في تركيا من وجودها بالدور الأرضي، والشوارع كانت أكثر اتساعًا من تلك الموجودة في المدن الشرقية، ويوجد أمام القلعة مساحة كبيرة مفتوحة كانت تستخدم سوقًا.

إن الطائف في الوقت الحالي كانت في حالة من الدمار، وإن القليل من منازلها في حالة صالحة للسكن، وهناك مسجدان صغيران أحسنهما مسجد الهنود، وقبر العباس تعلوه قبة جيدة، وما عدا أربعة بيوت أو خمسة يسكنها الموظفون الرئيسون للباشا لم أر شيئًا أكثر من هذا، وتمد الطائف بالمياه عن طريق بئرين: إحداهما داخل الأسوار، والأخرى أمام إحدى البوابات.. وتمتاز الطائف بحدائقها الغناء».

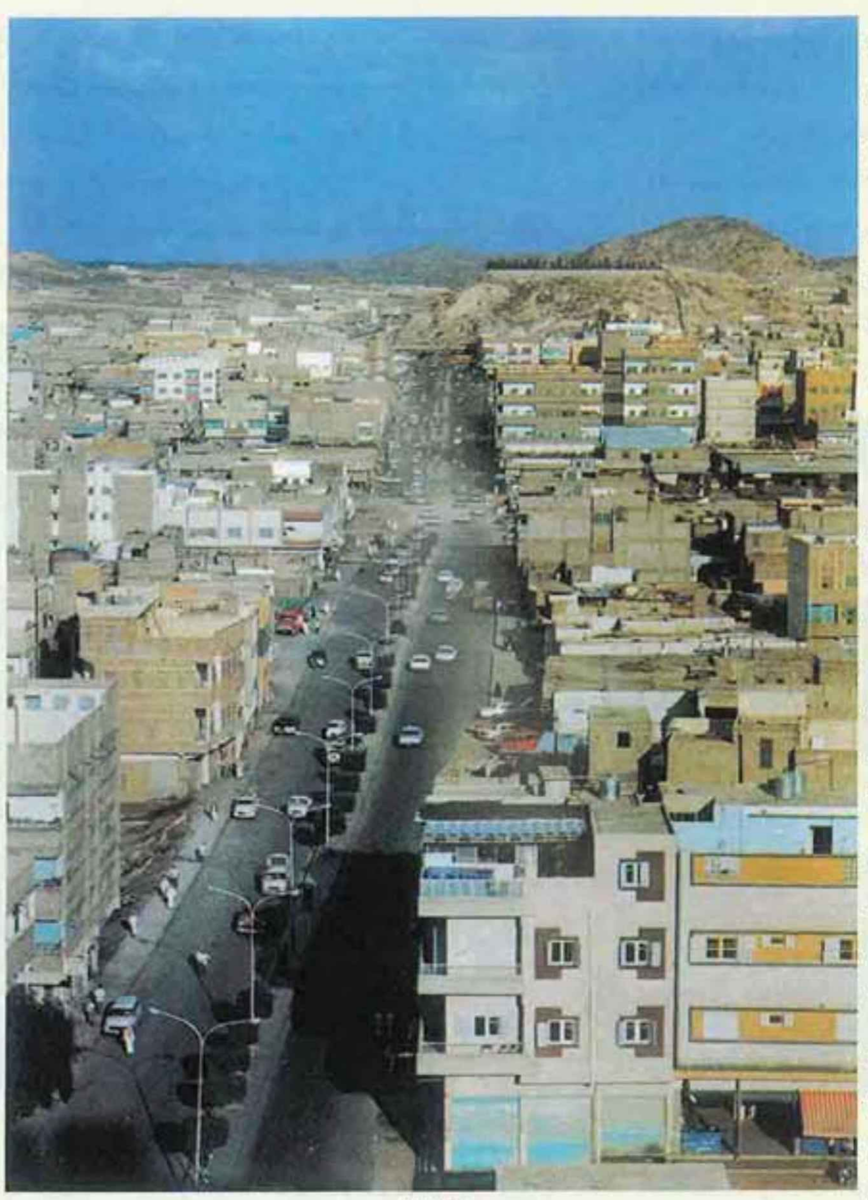
أما كل من الرحالتين تاميزية وداوتي فقد أشار إلى تهدم الكثير من الأبنية الأثرية القديمة في الطائف، وأن حالة الشوارع سيئة والمنازل الجيدة كانت مكسوة جدرانها بالجص.

ومنذ القرن الثالث عشر الهجري زاد عمران قرية الهضبة (باب الريع)، بسبب هجرة كثير من

الأفغان، والأكراد، والهنود إليها، فاتصلت القرى الصغيرة، بعضها ببعض فأصبحت تسمى محلات بدلاً من قرى، مثل: حارة فوق وتقع وراء باب الريع، وحارة أسفل وتقع خلف باب الحزم، وحارة السليمانية وتقع شمال شرق مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وفي سنة ١٢١٤هـ قام الشريف غالب بإحاطة هذه الحارات الثلاث بسور من اللبن، وجعل له ثلاثة أبواب، هي: باب الحزم في الجانب الشرقي مما يلي شبرا، وباب الريع من الجانب الغربي مما يلي السلامة والمثناة، وباب ابن عباس مما يلي شهار، ثم جددت عمارة هذا السور قبل قدوم جيش محمد علي باشا سنة ١٢٢٨هـ، ولم يتبق من هذا السور إلا جزء بسيط مع البرج المعروف باسم برج غلفة في الركن الجنوبي الغربي من المنطقة المركزية بالطائف على بعد خمسمئة متر تقريبًا من جدار القبلة بمسجد ابن عباس.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي زار الطائف أيوب صبري، وسجل انطباعاته عنها بقوله: «الطائف هي البلدة المشهورة التي تسمى أيضًا وادي عباس، تقع على بعد ثماني عشرة ساعة من مكة



مدينة الطائف

المكرمة شرقًا، وفي أحضان جبل غزاون.. تحتوي مدينة الطائف على أربعمئة منزل، ويبلغ عدد سكانها نحو ألف نسمة، وبها معسكر همايوني سلطاني.. وستة مساجد صغيرة، وفي الجهة الغربية منها مسجد كبير، وبها ستة جوامع وحرم شريف، ومدرسة واحدة، وأربعة كتاتيب للصبية، وبها سبيل ماء، وقصر للمدير، ودائرة

للولاية، وستة عشر قصراً للتصييف، ومئتان من المحالّ التجارية، وقلعة، وسور، وتسعة أفران، وعشرة دكاكين للقصابين، ومجزران، وحمام عام، وثلاثة أحواض».

كما وصفها محمد صادق باشا بقوله: «وبلدة الطائف محاطة بسور من لبن داخله ٤٠٠ منزل، و٢٠٠ دكان، وسلخانتان، وحمام، وستة جوامع.. وبه سبعة مساجد، ودائرة للحكومة، ومنزل للمدير، وقشلة للعساكر، وقلعة.. وبيوتها في أكثر الأشهر خالية من السكان؛ ولا تعمر إلا في الصيف.. وبجوار الطائف جنائن مثمرة، وعيون جارية، وقرى مسكونة.. وبالبعيد عن السور خارجاً نحو ٢٥ منزلاً..».



فندق مسرّه أنتركونتيننتال

أما الزركلي فوصفها بقوله: «أحيط الطائف بسور يضم داخل البلدة من جميع أطرافها.. ولسور الطائف ثلاثة أبواب، والطائف ثلاث حارات.. وقد زرنا قلعتها.. وزرنا الثكنة العسكرية أيضاً.. وفي هذه المدينة عدة مدارس أهلية صغيرة، ومدرسة رسمية..».

كما أوجز في وصفها هيكل حين قال: «إذا اعتبرت الطائف هذه المدينة التي تتوسطها السوق، ويقع فيها مسجد ابن عباس والمساجد الستة الأخرى فهي ـ لا ريب ـ مدينة صغيرة لا تزيد على مدن المراكز في مصر».

ووصفها أرسلان بعد زيارته لها وقد تقلص عمرانها بسبب الثورات بقوله: «... فلم يبق فيها إلا نحو ألفين إلى ثلاثة آلاف ساكن، وصارت أكثر البيوت خاوية على عروشها، فتداعت من نفسها، ومن البيوت ما عملت فيه القنابل في أثناء حصار العرب للأتراك فيها».

أما لبنز فقال عنها: «لا يوجد شجر في الطائف ومع ذلك فهي بلدة مهمة ذات ...ر٥٠ نسمة، وبيوتها جميلة متعددة الأدوار، ولها أسقف مسطحة، وتتألف هذه البيوت من ثلاثة طوابق أو أربعة تشبه بيوت جدة..».

وعلى هذا الأساس فإن الطائف كانت حدودها من الشمال مصلى العيد وبيت إسماعيل، ومن الجنوب مسجد ابن عباس والمقبرة الكبيرة المشهورة بالقوز، ومن الشرق ركيب الحبسي، ومن الغرب السلامة.

أما في العصر السعودي الزاهر فقد مرت الطائف بثلاث مراحل أساسية، الأولى تمتد من

سنة ١٣٦٧هـ حتى سنة ١٣٨٠هـ، وفيها اتسعت رقعة المدينة من ١كم٢ إلى ٣كم٢بعد هدم السور، بسبب اتخاذها مصيفًا للدولة، وإنشاء وزارة الدفاع بها، وزيادة عدد المصطافين فيها، وبدء الهجرة الداخلية إليها، وزيادة الدخل الاقتصادي، وكان النمو العمراني أكثر امتداداً إلى الشرق، والمرحلة الثانية تبدأ من سنة ١٣٨١هـ إلى سنة ١٣٩٩هـ، وفيها بلغت مساحة المدينة ٧ر٩كم٢، أما المرحلة الثالثة فتبدأ من سنة ١٤٠٠هـ، وفي هذه المرحلة العصر الذهبي للطائف، فقد اتسعت المدينة من جميع جهاتها اتساعًا يكاد يتصل بأقصى الضواحي التابعة لها، مثل: الحوية والسيل الصغير شمالاً، والشفا جنوبًا، وليه شرقًا، والهدا غربًا، فبلغت مساحتها ٣٦٠كم٢، تنتشر عليها الحارات الآتية: حارة فوق، وحي أسفل، والسليمانية، والسلامة، وقروى، واليمانية، والمثناة، والخالدية، ومعشي، ومسرة، والعقيق، والعزيزية، وشبرا، والفيصلية، والريان، وابن بكر، والشرقية، والشهداء الشمالية، والشهداء الجنوبية، والنزهة، وشهار، والوشماء، ونخب (النسيم)، والقطبية، والجال، والقمرية، وجبرا، وحارة البخارية، والحلقة الغربية، والحلقة الشرقية، ولقيم، وغيرها من الأحياء والمخططات السكنية.

أما ضواحي الطائف فهي الحوية، والهدا، والشفا، ولية، والسيل الكبير، والسيل الصغير، والعرفا، كما يتبع الطائف عدد من المحافظات والمراكز مثل: تربة، والخرمة، ورنية، وعشيرة، والمحاني، وميسان، والصور، وقيا، وغزايل، والسر، والمويه، وظلم، والفيصلية، والعطيف، والسحن، وبقران، وحداد، وصيادة، ورضوان، ودغيبجة، وأم الدوم، ومران، وحفر كشب، وشقصان، ومظللة، ووادي ثمالة، وسدير، وغير ذلك.


سد عكرمة

المعالم التاريخية والأثرية

تحتوي الطائف على كثير من المعالم التاريخية والأثرية، فإلى جانب جامع عبدالله بن عباس، والجامع المدهون، والموقف، وسوق عكاظ، وقصر شبرا، وقصر الكاتب، فإن بالطائف آثارًا كثيرة تتمثل في السدود الأموية والعباسية، مثل سد السملقي، وسدود وادي عرضة، وسد العقرب، وسد درويش، وسد صعب، وسد ثلبة، وسد وادي سيسد المؤرخ سنة ٥٨هـ بأمر الخليفة الأموي

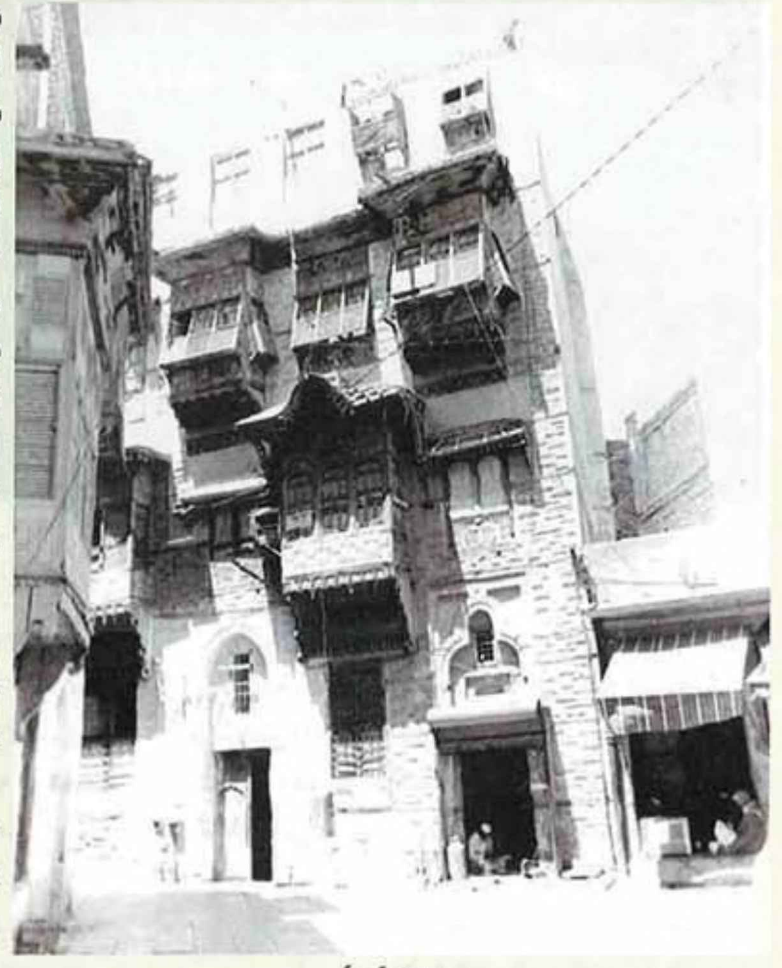
معاوية بن أبي سفيان، وسد وادي داماء، وسد وادي السنح، وسد وادي مريع، وسد ركك والبغار، وسد الجدر، وسد القرة بالشفا، وسدود وادي رحاب، وسدي سويس، والقصبية، وأم بقرة.

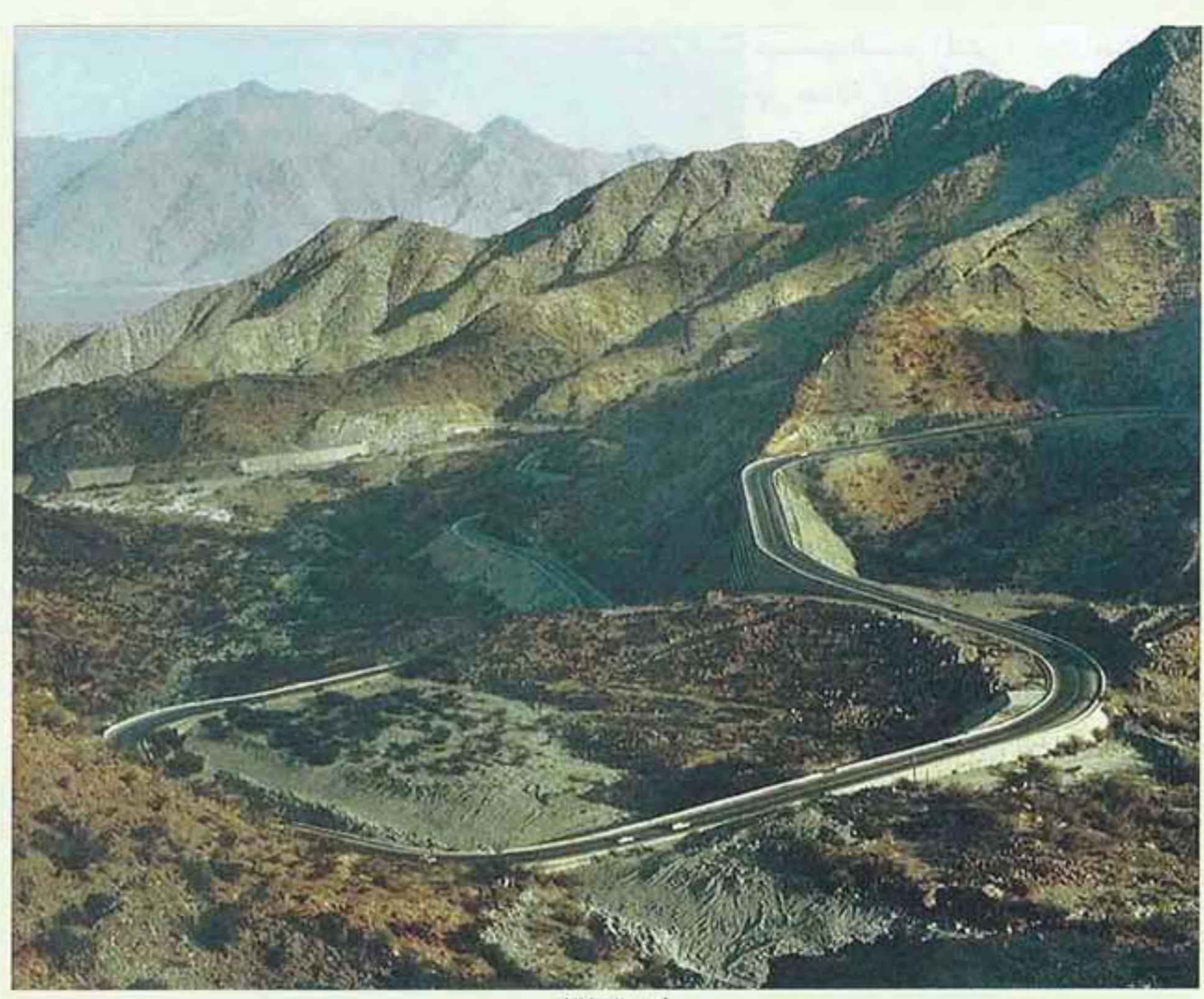
كما تزخر الطائف بكثير من المواقع الأثرية المهمة التي تحتوي على نقوش ثمودية، وإسلامية مبكرة تتوزع في الردف، وأم السباع، وأم العراد، ووادي عرضة، ووادي نخب (وادي النمل)، وغدير البنات، والمخاضة، والعرفا، وحمى النمور، والهدا، وميسان، وثقيف، وبني مالك، وبني سعد، والسيل الكبير، والسيل الصغير، والمظهر، ووادي مريع، وأم الصواعق، ووادي السنح، والحفاير، وعشيرة، التي يوجد فيها مجموعة كبيرة من المنشآت المائية ومسجد من عهد الملك عبدالعزيز. والمحاني، والثلاثاء، ووادي جفن، وجبل سليطينة، والشفا، إلى جانب ما تحتفظ به بعض المؤسسات من آثار مثل: نادي الطائف، ومتحف قصر شبرا، ومكتبة عبدالله بن عباس، وبعض المدارس.

وتشكل هذه الكتابات نصوصًا تأسيسية، وتذكارية، وشواهد قبور، كما عثر في ريع الزلالة مما يلي السيل الكبير على نقش بالخط اللاتيني يسجل للحملة الرومانية على الجزيرة العربية، وإلى جانب هذه الكتابات، فإن هذه المواقع الأثرية تحتوي على رسوم ومخربشات صخرية يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام. بالإضافة إلى العيون والآبار والقنوات والخرزات الممتدة من الوهيط إلى الطائف، كما يمر درب الحاج الشهير بدرب زبيدة بالأطراف الشمالية لمحافظة الطائف في الخرابة (بسيان)، والغزلانية (القصر)، والبركة (الغمرة)، التي بنت فيها زبيدة زوجة هارون الرشيد عددًا من البرك والمباني.

كما يقع في الطائف معدن برم الشهير في التاريخ في منطقة تعرف باسم المعدن ببني سعد على بعد خمسة وثلاثينكم جنوب شرق الطائف.

أما الطرق والدروب القديمة المتجهة من وإلى الطائف فيبلغ عددها ثلاثة عشر دربًا، أشهرها درب كرا، ودرب السيل، ودروب الحاج الشمالية، ودرب العصبة.


بيوت قديمة


طريق الهدا الشهير

كما اشتهرت الطائف بصناعة الورد واستخراج العسل، حيث عد نتاجها من هذين الصنفين من أجود الأصناف في العالم، وبالإضافة إلى ذلك فقد نتج من شهرتها في تربية المواشي، قيام صناعة دباغة الجلود، وتعكس ذلك أقوال الجغرافيين القدامى عند حديثهم عن الطائف، أمثال الهمداني حين قال: «مدينة قديمة، وهي بلد الدباغ» وابن المجاور الذي أشار إلى أن الأدم الطائفية تباع على شكل طاقات، والقزويني الذي قال: «وفيها مياه المدابغ.. والطير تصرع إذا مرت بها من نتن رائحتها، وأديمها يحمل إلى سائر البلدان...»، والإدريسي الذي أشاد بهذه الصناعة، ومما قاله: «وأديمها عالي الجودة رفيع القيمة، وبالنعل الطائفي يضرب المثل وهذا مشهور».

معالم النهضة الحديثة

شهدت الطائف نهضة كبيرة في العصر السعودي، ويمكننا إيجاز معالم هذه النهضة في بناء مئات الجوامع والمساجد، ومن أشهرها جامع الطائف الكبير، وجامع الميقات بالسيل الكبير (قرن المنازل)، وجامع الميقات بالمحرم، وجامع الملك فهد بالهدا.



قصر شبرا

وبالنسبة إلى المستشفيات فمن أقدمها مستشفى الملك فيصل، ومستشفى الأمراض الصدرية، ومستشفى الصحة النفسية، ومستشفى النساء والولادة، ومستشفى الأطفال، ومستشفى الهدا للقوات المسلحة، ومستشفى الأمير منصور العسكري، ومستشفى قاعدة الملك فهد بالحوية، إضافة إلى مستشفيات المحافظات والمراكز التابعة للطائف، وأكثر من مئة مركز ومختبر طبي، وعشرات المستشفيات والمراكز الطبية الأهلية، كما أن العمل يجري على قدم وساق بمستشفى الطائف التخصصي الذي وضع حجر أساسه صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

كما افتتح بالطائف أكثر من ألف مدرسة وعشرات المعاهد، وفرع جامعة أم القرى، وكلية التربية للبنات، وكلية المعلمين، وبالإضافة إلى ذلك يوجد بالطائف نادٍ رياضي هو نادي عكاظ، والنادي الأدبي، وفرع جمعية الثقافة والفنون، ومتحف قصر شبرا التاريخي، ودور مراكز التأهيل المهني، وجمعيات البر وحفظ القرآن الكريم.

كما أولت الدولة المياه جل عنايتها واهتمامها، فقد أنشأت عشرات السدود، وأوصلت مياه التحلية من الشعيبة على ساحل البحر الأحمر إلى الطائف، وإلى جانب ذلك فإن الطائف تحتوي على أكثر من ثمانمئة حديقة ومنتزة أشهرها حديقة الملك فهد.

ومن المعالم الحضارية في الطائف قصر المؤتمرات، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومدينة الملك فهد الرياضية، ومطار الطائف، وقاعدة الملك فهد الجوية، وفندق إنتركونتيننتال، وفندق الهدا شيراتون، ومعالم أخرى كثيرة لا يتسع المجال في هذا الاستطلاع المصور لحصرها.

المراجع

١. أبو معين الدين ناصر خسرو، سفرنامه، رحلة ناصر خسرو القباذياني، ترجمة وتقديم أحمد خالد البدلي، ط١، الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢. أيوب صبري، مرآة جزيرة العرب، الجزء الأول، ترجمة وتقديم وتعليق أحمد فؤاد متولي والصفصافي في أحمد المرسي، ط١، الرياض: دار الرياض للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣. حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي، إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى محمود ساعاتي، ط٢، الطائف: دار ثقيف للنشر والتأليف، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٤. حمد الجاسر، الطائف في القرن الحادي عشر، مجلة العرب، الجزء الرابع، السنة السابعة، شوال ١٣٩٢هـ/تشرين، نوفمبر ١٩٧٢م.

٥. خير الدين الزركلي، ما رأيت وما سمعت، تقديم عبدالرزاق كمال، ط الطائف: مكتبة المعارف، سلسلة المكتبة الكمالية رقم ٢٣، د.ت.

٦. شكيب أرسلان، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، صححه وعلق عليه عبدالرزاق كمال، ط١، (الطائف: مكتبة المعارف، سلسلة المكتبة الكمالية رقم ٢١، د.ت.

٧. صالح بن غازي الجودي، الطائف بين الموروثات والمستجدات، ط١، الطائف، دار الحارثي للطباعة والنشر، إصدار اللجنة العليا للتنشيط السياحي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٨. مجيد خان وعلي المغنم، سدود أثرية في منطقة الطائف.

مصادر الصور: أرشيف «الفيصل»، وكتاب «الطائف مدينة في مرحلة انتقال وتحول»، د. عبد المجيد إسماعيل داغستاني، وزارة الإعلام، ١٤٠١هـ.

المسرح والسياسة

يوسف الطالبي
مكناس ـ المغرب

لا محيد للفعل الثقافي، من أجل عرض الأفكار ونشرها عن المؤسسة «البنية التحتية» التي تدخل ضمن اشتغالات الحكم وسلطته، ولا مندوحة للمبدع عن خلفية فكرية تحكم توجهه، وهو ما يعني موقفه من «أدلوجة» الدولة، على حد تعبير عبدالله العروي، والذي ـ من ثم ـ يحدد لونه السياسي. فالعلاقة القائمة بين الإبداع عموماً، والسلطة السياسية تحديداً، موغلة في القدم، وقد عرفتها مختلف الثقافات كإشكالية صدامية، تتردد بين الإقبال والإدبار، وتتأرجح بين التبعية والانفصال. وبين التوافق أو المواجهة التي تحكم علاقة الفني بالسياسي، استمر الجدال والصراع إلى اليوم وعلى طول التاريخ(١).

لذلك، وعلى الرغم من الانطباع الأولي الذي يوحي به موضوع العلاقة بين الأدب والسياسية من أنه موضوع مطروق «مستهلك»، فإنه يظل محتاجا إلى التحليل وإعادة النظر(٢). وهو ما سنحاول ملامسته في هذه المقاربة.

إن الفن الكبير يخدم أهدافا كبرى، وأحد الأسس التي يرتكز عليها فهمنا للفن، هو ذلك الرأي الذي يعتقد أن الفن العظيم، ينتقل تأثيره بصورة طبيعية ومباشرة من الشعور إلى الشعور(٣).


بريشت

والمسرح الهادف، أو مسرح الأطروحة Theatre a these، هو الذي يرصد تحرك الشارع، وينقل نبض الجماهير الشعبية، ويترجمها أفكارا صارخة، تبسط على الخشبة، لتسلط عليها الأضواء الكاشفة، من أجل الملاحظة الثاقبة، والنقد اللاذع، والمناقشة الساخنة، في أفق البحث عن مخرج لأزمة قد تطول كلما تمكن الخوف من الإنسان، وغزا الصمت الأماكن القصية المعتمة. بهذا المعنى الإيتمولوجي Etymologie يمكن أن نعد كل مسرح سياسيا، أو كما يقول أوجستو بول Augusto boal: «كل مسرح هو سياسي بالضرورة، لأن كل أنشطة الإنسان سياسية، والمسرح واحد من هذه الأنشطة، وأولئك الذين يحاولون فصل المسرح عن السياسة يحاولون تضليلنا، وهذا نفسه موقف سياسي»(٤). فالمسرح السياسي Theatre Politique إذن يقوم على الرغبة في انتصار نظرية مرتبطة باعتقاد اجتماعي، في أفق تحقيق مشروع فلسفي طموح، ليغدو علم الجمال خاضعا للمعركة السياسية، بانصهار الشكل المسرحي داخل جدل الأفكار(٥).

إن النص المسرحي في نماذجه الجادة والجيدة، نص

مشكوك فيه رسميًا، لأنه مشاكس، معاند، مشاغب، وغير منضبط، أو بكلمة واحدة «نص فضولي» يمارس هجاء الواقع.. إنه نص للتعرية وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية(٦)، فيرى بسكاتور Piscator أننا نعيش في حقبة تغلي بالمتغيرات السياسية، ولهذا فإن «السياسة» تحتل المستوى الأول من الاهتمام. من هنا علينا ألا نطلب من المسرح شيئًا آخر غير السياسة(٧)، مادامت هناك صلة قوية «بين الأدب المسرحي والسياسة فهي في داخله، في تكوينه، ملتصقة به، وهو ملتحم فيها لا ملحق بها لا مجال للفصل بينهما، وحُدتهما الحياة التي ينتميان إليها، ويشكلان خلاصة من أهم خلاصاتها»(٨).

فعلى المسرح - انطلاقًا من وعيه بحقيقة الصراعات الدائرة - أن يفضح ويكشف طبيعة تلك الصراعات، عليه أن يستفز الجمهور، ويعلمه، وهو يعرض عليه أوضاعه بكثير من التحليل من أجل تنويره.. ومن ثمة حفزه إلى العمل لتغيير قدره.. إنه مسرح القلق والغضب، مسرح لا مجال فيه للراحة والانفراج، بل هدفه التصعيد إلى حد الضيق والاحتقان.

«وكم هو دقيق وشفاف الخيط الفاصل بين خاتمة تشحن وأخرى تفرغ...»(٩)، وهو ما يحدد اختيار الفنان المسرحي وتوجهه نحو سياسة ترسخ الوضع القائم على القمع والقهر والمصادرة والتسلط، أو سياسة تدفع إلى التغيير نحو ما هو أفضل. لهذا فالمسرح «السياسي التحريضي هو المسرح الذي يطرح الحالة المراد توصيلها ليتخذ المشاهد موقفًا فكريًا ومبدئيًا من تلك الحالة [...] إنه عملية تحريك، عملية نقل إلى حيز الفعل»(١٠).

من ثمة، فالمسرح يتيح للإنسان إمكانية تأمل واقعه ومصيره وردود فعله إزاء الأحداث والوقائع، وتقويمها من أجل الخروج باقتراحات للحياة فكرًا وممارسة.

لذلك، فالمسرح من الفنون التعبيرية التي عبرت عن الإنسان وقضاياه، منذ زمن سحيق، وما الواقع الذي يصدر عنه إلا نقطة البداية، لتوضيح التناقضات الاجتماعية التي يأخذ منها عناصر اتهام للمجتمع، وعناصر دعوة إلى التغيير.

ومن التصورات الخلاقة التي اشتغلت في أطروحاتها على إشكالية العلاقة بين الإبداع والسياسة، وتستند إلى الأسس الفلسفية والجمالية، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، جورج لوكاتش، لوسيان كولدمان وبرتولت برشت Pertolt Brecht، دون إغفال المحاولات الرائدة التي دشنها واحد من أبرز أقطاب المسرح العربي، ونعني بذلك سعد الله ونوس الذي نهضت تجربته على الممارسة المسرحية والوضوح النظري، فهو صاحب موقف تقدمي تغييري، إذ تعد مسألة «التسييس» لديه التيمة Theme المهيمنة على مشروعه المسرحي (أي الموضوع المهيمن).



سعدالله ونوس

في هذه المقاربة إذن، سنعمل على تسليط الضوء على كل من مسرح برتولت برشت، وسعد الله ونوس في علاقتهما بالسياسة.

برتولت برشت.. جدلية المسرح والسياسة

تجدر الإشارة إلى أن برتولت برشت، رجل مسرح قبل أن يكون رجل سياسة، ولقد حاول جاهدًا أن يغير المجتمع، ويحرر الناس من الشقاء، عن طريق مسرح مخضب بلون السياسة. لقد كان «يحمل فظائع هذا العصر في أعصابه، في دمه، ويشعر شعورًا جسديًا بما في زمانه من فوضى وعفن وفساد..»(١١) لهذا فقد نقل قضايا المجتمع وتناقضاته ومصير الإنسان من الشارع إلى الخشبة، وعنده أن «المسرح من دون جمهور شيء لا معنى له»(١٢). فقد استهدف تثويره من خلال تعليمه وتوعيته وكشف الواقع، وتعرية

التاريخ أمامه، قصد استفزازه للثورة على حاله المتردي، والتصدي عمليًا لتغييره(١٣). ومن أجل أن تصبح الأحداث الاجتماعية في الحياة مفهومة، رأى برتولت برشت ضرورة عرض الوسط الاجتماعي أمام المشاهد عرضًا واسعًا، بكل ما ينطوي عليه هذا الوسط من أهمية(١٤). فالمسرح عنده مدرسة لتنوير المجتمع، وصقل الوعي الإنساني، وتربيته، لكي يصبح هذا المسرح فيما بعد مسرحًا سياسيًا وثوريًا(١٥). فهو يرى «أنه لا يحق للمشاهد أن يستسلم عن طريق الاندماج البسيط في العالم النفسي لشخصيات المسرحية، لمعاناتها العاطفية بلا أدنى موقف انتقادي»(١٦). إذ على المتلقي، أن يخلق مسافة تسمح له، بالتحكم في الفرجة، ومن ثم تأسيس قراءة نقدية عالمة، بدل التعاطي الاستيهامي الحالم. لأن برتولت برشت «لا يريد أن يترك المتفرجون عقولهم مع قبعاتهم قبل دخول المسرح كما يحدث عادة في المسرحيات التقليدية، ولا يريد أن يخرج المتفرج وقد أحس بالراحة والتوازن، بل على العكس يريد أن يقلقه ويدفعه إلى التفكير ومن ثم يفقد توازنه، ليسعى إلى استعادته عن طريق العمل الإيجابي الخلاق»(١٧).

إن المتأمل في فكر برتولت برشت، ومسرحه الملحمي، يلمس ذلك النزوع اللافت إلى خلق التوتر العالي لدى المتلقي، والتأثير فيه إيجابًا، من أجل إقناعه بجدوى الفعل والسعي إلى ترسيخه في أفق خلق شروط التغيير، الذي يحفظ للإنسان كرامته ووجوده. من ثمة، فإن الأطروحة المركزية للمسرح الملحمي، تنهض على التغريب والتأرخة والديالكتيك Dialectique بصفتها مرتكزات نظرية، لا محيد عنها من أجل مسرح يخدم الإنسان على مستوى التعليم والتربية والوعي.. لذلك، يرى برتولت برشت، أن خلق هذا الوعي الفعال في المجتمع، لا بد أن يمر من خلال توضيح المفاهيم والتحليلات الصائبة للتاريخ. إن الحاضر يصبح بعدئذ مغربا كما أن التاريخ يصبح المجال الحيوي لجعل الجدلية (الديالكتيك) القانون الرئيس للتاريخ»(١٨).

وإذا كان أرسطو في كتابه «فن الشعر» قد اعتمد مفهوم التطهير Catharsis محورًا لنظريته عن المسرح «الكلاسيكي»، فإن برتولت برشت قد عمل على تقويض هذه النظرية من أساسها، وطرح البديل النظري والعملي لها، من أجل مسرح فاعل غير منفعل، فجاء بمفهوم التغريب Distantiation(١٩).

والتغريب، هو جعل المألوف غريبًا، والتوصل إلى تغريب الحادثة أو الشخصية، يعني فقدانها لكل ما هو بديهي ومألوف وواضح، بالإضافة إلى إثارة الدهشة والفضول بسبب الحادثة نفسها(٢٠). ففي «التغريب» يصبح الاعتيادي والمعروف لافتًا للانتباه ومفاجئًا، والبديهي غامضًا.. كل ذلك من أجل أن تظهر الأمور

المسرح يتيح للإنسان إمكانية تأمل واقعه ومصيره وردود فعله إزاء الأحداث والوقائع، وتقويمها من أجل الخروج باقتراحات للحياة فكرًا وممارسة

مفهومة أكثر، وهذا ما يرمي إليه «تأثير التغريب» أساسًا: «إننا نستخدم عادة «تأثير التغريب» عندما نسأل أحدهم: هل نظرت يومًا بانتباه إلى ساعتك؟ إن السائل يعرف أني أنظر باستمرار إلى ساعتي، غير أنه بسؤاله قد قضى على اعتيادية الأمر بالنسبة إليّ، وللسبب ذاته قضى على تصوري للساعة الذي لم يكن ليعني لي شيئًا، إنني أنظر إلى الساعة باستمرار لأحدد الوقت، غير أنه عندما أسأل بإلحاح وإصرار عنها، أفهم أني لم أنظر إلى الساعة نظرة مملوءة بالدهشة، وأنها من نواح متعددة تعدّ ماكنة مدهشة»(٢١). إذن فالطبيعي، يجب أن يبدو مدهشًا، ومن خلال الاستغراب والدهشة، ينبثق فهم جديد للموقف الإنساني.. ومن أجل الحصول على «تأثير التغريب»

حسب برشت «يتعين على الممثل أن ينسى كل ما تعلمه عندما كان يحاول أن يحقق، بوساطة تمثيله، الاندماج الانفعالي للجمهور بالشخصيات التي يخلقها، فإذا كان الممثل لا يسعى إلى الوصول بجمهوره إلى حالة من النشوة والوجد، فعليه، من باب الأولى ألاّ يقع هو نفسه في مثل هذه الحالة»(٢٢) بمعنى، أنه عليه أن يترك المسافة قائمة بينه وبين الشخصية التي يمثلها، محاولاً في ذات الحين استفزاز المشاهد، وإثارته لإصدار موقف انتقادي تجاه تلك الشخصية. من هنا، فإن الجدار الرابع الذي هو التحام الصالة بالخشبة يُعدّ مجالا مثمراً للمشاهد، لقطع الصلة بينه وبين الممثل، فيقول المشاهد مع نفسه: «لم يخطر على بالي هذا الشيء.. لا يجوز أن يقوم المرء بهذا العمل.. أو.. هذا عجيب ولافت للنظر ولا يمكن تصديقه..

إن فاعلية المسرح أن يكون وسيلة معرفية توسع أفق المشاهد معرفيا، وأن يكون في الوقت نفسه، وسيلة جمالية توقد في ذهن المشاهد قابليات مختلفة للذوق والتذوق، وتتقاطع مع القيم الجمالية التي يعممها الفن والإعلام

ويجب منع هذا العمل وإيقافه عند حده.. أو.. إن عذابات هذا الإنسان ومعاناته تهزني، إذ ينبغي أن يوجد لها مخرج أو حل ناجع.. أو.. إنه حقا فن رائع ولا يوجد هنا شيء حاسم وبديهي.. إنني أضحك على الباكين وأبكي على الضاحكين»(٢٣) فالممثل إذن، يبلور الحدث الصغير، من خلال أهميته ويجعله غريباً ومدهشاً.. «ويذكر برشت ثلاث طرائق من أجل تجسيد علة التغريب على المسرح:

- نقل الدور إلى الشخص الثالث.
- الانتقال إلى الماضي.
- ربط توجيه التمثيل والتعليقات في الحوار»(٢٤).

إن برتولت برشت يخدم عملية صقل الوعي من خلال استخدامه لعملية التغريب، وتأريخ الأحداث، لكي يصبح الإنسان واعياً بأحداث وجوده الاجتماعي، وممارسة النقد من أجل تغيير هذا الوجود للوصول إلى أهداف الثورة الاجتماعية(٢٥). فبرشت يتناول نصوص التراث المسرحي بالتبديل والتغيير، رغبة منه في إخضاعها للتغريب، وفي العروض المسرحية الملحمية، يلجأ إلى كثير من الوسائل لإحداث التغريب، ومن أهمها: شخصية الراوي، الذي يفسر ما هو كائن وما يجب أن يكون(٢٦).

وللاقتراب أكثر من مسرح برشت، لا بد من الوقوف بالضرورة على الديالكتيك، بصفته المحرك الرئيس لجميع أفكاره وأعماله. فما هو الديالكتيك؟(٢٧).

الديالكتيك هو الجدل، أي محاولة الوصول إلى الحقيقة، فمن خلال رأيين متناقضين، ينشأ حوار ثالث يقودنا إلى الحقيقة والصواب.. وقد ربط برشت هذا القانون بالمسرح، فإنّ الصراع الدرامي هو صراع جدلي، مما دفعه إلى الانشغال طويلاً بضرورة نقل الديالكتيك إلى المسرح، ليكشف للمشاهد التناقضات الاجتماعية والاقتصادية التي تحرك التاريخ وتطور المجتمعات. مادام الإنسان وليد التناقضات الاجتماعية المنعكسة على مساره في الحياة - التي لا يمكن أن تظل جامدة - وعلى تصرفاته وأخلاقه وحاجاته المستمرة إلى التغيير ونبذ الركود.. إذ إن قانون الديالكتيك يفرض نفسه حيث لا توجد حتمية للأشياء، لأنها في تغيير مستمر(٢٨) وقديماً قيل «إنك لا تستحم في النهر ذاته مرتين» أو على حد تعبير هرقليطس «إن مثل هذا التغيير ينبغي أن يعتمد على العقل والحكمة، لأن الحاكمين عبر التاريخ لم يتنازلوا طواعية عن امتيازاتهم وظلمهم للناس دون أن يعمل البشر على إثارة عملية التغيير؛ إذ لا توجد ثمة سلطة تساعد بل وساعدت الإنسان عبر التاريخ على تغيير مسار حياته دون أن يشارك هو نفسه في هذه العملية»(٢٩) إن أثر

برتولت برشت في المسرح العالمي كان يتسم بالثورة على تناقضات المجتمع، وكانت كتاباته التي تتفجر أسئلة عن واقع الإنسان وحقائق المجتمع، تؤدي إلى تحريك التفكير وجذب القارئ والمشاهد، إلى حلبة الصراع الدرامي، والمساهمة في إصدار الأحكام والحلول الناجعة(٣٠). مادام المسرح يشكل واجهة ثقافية إستراتيجية للدولة من أجل ترسيخ نمطها السياسي. «إن المجتمع السائر نحو التغيير، وصراع الإنسان ضد أزمات الحياة وتناقضاتها، هما الموضوعان الرئيسان في مسرح برشت، كما أن أفكاره وطريقة تصويره لهذه الصراعات تقودنا إلى تعرف علة التغريب التي ابتكرها برشت لاستفزاز المشاهد من خلال تعايشه مع الأحداث اليومية، وهذه الأساليب تمنح المسرحية قدرة كبيرة على استخدام الديالكتيك وكيفية التعامل اليومي معه، فيصبح بالنسبة إلى المشاهد نوعاً من المتعة اليومية، وكان برشت يميل دائماً إلى تسمية مسرحه بالمسرح الديالكتيكي، وكان يقول: من خلال استخدام الديالكتيك في المسرح يمكن للمرء أن يكشف عن التناقضات المثيرة»(٣١).


أرسطو

محددة.. كان لا بد لسعدالله ونوس، أمام هذا الوضع من التفريق بين المسرح السياسي ومسرح «التسييس»، أي تعميق الهم السياسي وتوضيحه في العمل المسرحي.. بمعنى الانتقال إلى التسييس.

فمفهوم التسييس عنده يعني محاولة «طرح المشكلة السياسية من خلال قوانينها العميقة وعلاقاتها المترابطة والمتشابكة داخل بنية المجتمع الاقتصادية والسياسية، وأنك تحاول استشفاف أفق تقدمي لحل هذه المشكلات»(٣٣). إذن

كانت كتابات برشت التي تتفجر أسئلة عن واقع الإنسان وحقائق المجتمع، تؤدي إلى تحريك التفكير وجذب القارئ والمشاهد، إلى حلبة الصراع الدرامي، والمساهمة في إصدار الأحكام والحلول الناجعة

سعدالله ونوس ومسرح التسييس

نشأ المسرح سياسياً، ولا يزال كذلك حسب رأي سعد الله ونوس، والنص المسرحي عنده يسير في خط مسرح «التسييس» الهادف إلى تحسيس الجمهور وتفتيح عيونه. «وهذا الخط يضع فرقاً أساسياً بين ما يقال له «مسرح سياسي» وبين المسرح «التسييسي».. فكل مسرح هو بالنهاية، مسرح سياسي.. والمهم أية «سياسة» يخدمها هذا النص المسرحي أو ذاك؟ باتجاه تثبيت الوضع القائم أم باتجاه التغيير لمصلحة التقدم الاجتماعي؟»(٣٢). وما دامت فكرة «المسرح السياسي» فضفاضة، عائمة وغير

بالتسييس أراد سعدالله ونوس أن يمضي «خطوة أعمق في تعريف المسرح السياسي بأنه المسرح الذي يحمل مضموناً سياسياً تقدمياً. ومن نافل القول أن الطبقات الفعلية التي تحتاج إلى التسييس هي الطبقات الشعبية»(٣٤).

لقد بدأ المسرح العربي الحديث، بعد نكسة ١٩٦٧م مرحلة جديدة، عندما وجد نفسه مواجهاً بسؤال كبير: «من نحن؟ إلى أين؟ كيف؟» وهذا يؤكد أن المسرح أداة تغيير بالغة الأهمية، من أجل تجاوز الهزيمة والتمزق والتخلف(٣٥). «ولقد خضع المسرح بعد النكسة لمراجعة إحساسية، واتخذ طريقاً جديدة لرؤياه محاولاً إعادة اكتشاف الواقع العربي وكشفه والإسهام

في تغييره بدءاً برسم الحاضر بكل تناقضاته لتحديد أفق المستقبل بنظرة مغايرة»(٣٦). وكانت الخطوة الأولى في تعميق علاقة التجربة المسرحية بالواقع الذي تنمو فيه وإغنائها، تقر على أن «للمسرح علاقة بالسياسة، وأن المسرح لا يستطيع أن يدير ظهره للأحداث السياسية القائمة في مجتمعنا»(٣٧) وهذا ما ذهب إليه رفيق الصبان في قوله: «إن المسرح أداة سياسية بالدرجة الأولى، ولا يكمن أن يجد مسوغاً لوجوده إذا ابتعد عن معالجة القضايا السياسية والاقتصادية النابعة من العصر»(٣٨). وهذا ما يزكيه سعد أردش بقوله: «وفي المسرح الملتزم يختار رجل المسرح موقفه من المجتمع، ويلتزم به، وهو بطبيعة الحال موقف واضح في جانب الجماهير، وعلى وجه الدقة في جانب الطبقات المستغلة، ويدخل في التزام

نقل برشت قضايا المجتمع وتناقضاته ومصير الإنسان من الشارع إلى الخشبة؛ لأن المسرح عنده مدرسة لتنوير المجتمع، وصقل الوعي الإنساني، وتربيته

رجل المسرح السياسي أيضاً أمر توصيل المسرح إلى هذه الطبقات»(٣٩). إلا أن هناك جانباً آخر للتسييس، يتحدد في الجانب الجمالي، إذ عليه أن يبحث عن أشكال اتصال جديدة ومبتكرة، لا يوفرها دائماً التراث الإنساني، كما يرى ذلك سعدالله ونوس.

فلابد إذن، من مواجهة ما هو سائد من تفاهة وذوق ساقط سقيم، وخلق جماليات جديدة ومبتكرة، أو، كما يرى (بسكاتور)، أنه يجب على المسرح أن يخدم الحركة الثورية، ومعنى هذه الخدمة «أن يقدم المسرح لجماهير هذه الطبقة عروضاً مسرحية تحرره علمياً وثقافياً بما يتوازى مع قيام المؤسسة السياسية بالإعداد للتحرير الاجتماعي»(٤٠). ليكون بذلك مسرح التسييس، إطاراً للعمل والتجربة.

ولقد التقط سعدالله ونوس في تجربته صورة من صور الإنسان العربي، أو كما عبر عنها «الصورة التي هزتني وأثرت في، ومن ثم انعكست في أعمالي هي صورة الإنسان العربي المهزوم المقهور، والذي يتلمس إمكانية أن يتفتح وأن يحمل قدره بنفسه، ولكنه لا يجد حوله إلا الصعوبات والعراقيل والأكاذيب؛ عراقيل سببها بالدرجة الأولى الوضع السياسي الذي يعيش فيه، سببها القمع المنظم الطويل الذي خضع له، سببها أيضاً شراسة القوى الخارجية التي تحاول هزيمته ومنعه من أن يتفتح ويحمل قدره بنفسه»(٤١).

من ثمة فإن سعد الله ونوس، يريد أن يبني وعياً لا أن يعطي وعياً جاهزاً، فتأملوا معي ما يقوله سعدالله ونوس من أن «يأتي الجمهور وهو يحمل أحزان يومه وهموم حياته فنمتص نقمته على الواقع، ونحولها إلى ضحكات تملأ فراغ الصالة، ولا يتجاوز تأثيرها عتبة النفس والمسرح، ونفرغه من شحنة غضب كان يمكن أن نوجه إليها سهاماً ما ونفجرها في ذاته ناراً حارقة»(٤٢).

إن بناء الوعي، يمكن أن يتم عبر عرض ما هو سلبي، كأن نأخذ عيباً من العيوب ونظهر آثاره، وبذلك نكون قد قدمنا مثالاً حياً ودرساً فعلياً لهذه الحالة. دون أن ننسى أن المسرح أساساً، عملية جدلية بين الصالة والخشبة.

إذن فهاجس ونوس، هو البحث في المجتمع عن مشكلاته وقضاياه.. وعن النماذج التي تتحكم في سيرورته وحركته، من هنا حاول بناء مسرح عربي عبر طرح إشكالية المجتمع العربي(٤٣) دون أن يطمح إلى أن يكون المسرح عمل تغيير فوري وراهن «إن فاعلية المسرح في تقديري الآن [كما يقول سعدالله ونوس] هي بالضبط ألا يشغل نفسه في التغيير الثوري والسريع، هي أن يكون وسيلة معرفية توسع أفق المشاهد معرفياً، وأن يكون في الوقت نفسه، كما قلت وألححت على هذه النقطة، وسيلة جمالية توقد



المشاهد يظل الطرف الأساسي لأي عرض مسرحي

في ذهن المشاهد قابليات للذوق والتذوق مختلفة، وتتقاطع مع القيم الجمالية التي يعممها الفن والإعلام السائد»(٤٤).

لقد أدرك ونوس أن «جدوى الإنسان الرئيسة أو الجوهرية هي أن يكون سياسيًا، وأن على كل منا أن يعمل ما يستطيع»(٤٥)، واضعًا نصب عينيه هدفين: الوضوح الفكري السياسي أولاً، ثم طبيعة المشاهد الذي يريد مخاطبته. وإذا كان هذا هو ما يطلب من المبدع المسرحي، فما المطلوب من المشاهد أو المتلقي من أجل خلق تواصل فعال يحقق التغيير؟.

إن المسرح في أعم تعاريفه، ظاهرة اجتماعية تتحدد في أبسط أشكالها من مشاهد وممثل، وأي تطوير للمسرح يتعلق بهما معًا.. «فلا معنى لأي إبداع يتطور من غير أن يكون هناك تطور مشابه ومماثل على مستوى الجمهور»(٤٦). فبإمكان المشاهد أن يقوم بدور كبير في توجيه المسرح، لذا وجب تعليمه، وتشجيعه، حتى يباشر وظيفته بشكل فعال، وأول ما يجب أن يقوم به المتلقي، هو أن يغير من سلوكه داخل قاعة العرض، ويتخلى عن سلبيته المتمثلة في جلسته السكونية، التي هي أشبه ما تكون بالخضوع للمناهج التعليمية العتيقة، والتي هي إلى الاستسلام أقرب منها إلى التعلم، الذي يحث على مناقشة ما يجري وتمحيصه وانتقاده وإبداء الرأي فيه.

ينبغي على الجمهور، أن يعي أهميته في أي عرض مسرحي، وكل ما يدور على الخشبة يستهدفه، ويهمه، ويعنيه، لذا عليه أن يتخذ موقفًا منه، وبناء على هذا الموقف تتحدد قيمة العرض. على المشاهد، أن يحس بالمسؤولية، وبأنّ لمواقفه نتائج مهمة وخطيرة أيضًا عليه وعلى أوضاع بلاده(٤٧). فالمشاهد هو الطرف الأساس لأي عرض مسرحي، لذلك عليه أن يمارس حقوقه كاملة، عليه أن يؤدي دوره بشكل تام وإيجابي. عليه أن يملأ حيزه في كل نشاط مسرحي، وأن يقبل ويرفض.. أن يضغط ويقاطع، عليه ألا يكون سلبيًا يأخذ ما يقدم له دون اعتراض ودون تمحيص(٤٨). أو عليه حسب رأي سعدالله ونوس «أن يكون واعيًا ووقحًا، وبذلك فقط يمكن أن يتساقط كثير من التفاهات والأكاذيب، وأن يصبح المسرح نشاطًا اجتماعيًا وثقافيًا فعالاً يجمع الخشبة والصالة في علاقة جدلية وثيقة وغنية»(٤٩).

بهذا سيكون العرض المسرحي، هو الحدث المقلق الذي يجمع عددًا من الناس، لا يلبثون عند انصهار الخشبة والصالة في وحدة لا تتجزأ، أن يحسُّوا وحدة مشكلاتهم وحميميتهم، عبر الارتجال، وأحيانًا

المشاركة في العرض. ولنا أن نتصور ما يمكن أن ينتج عبر هذا التفاعل بين المشاهدين!(٥٠).

وصفوة القول، أن سعدالله ونوس مبدع صنع بالكلمات مسرحيات رائعة، كان يطمح من ورائها إلى تأسيس «الكلمة/الفعل» ويناضل بقلمه كما يناضل الجندي ببندقيته، وعاد يمشي على جرحه وهو يقول: «المناضل الذي أريد أن أكونه، ليس في النهاية سوى كاتب فعلُه الكلمات [...] إنه ما من هزيمة أدّت فيها الكلمات الدور الذي أدته في هزيمة حزيران. كنت أحس الكلمة شركًا سقطنا في حبائله. كانت خديعة، أو جثة تتحلل، وتتحول غازاتها في دخائلنا خجلا صامتًا وعارًا باردًا [...] وما فائدة الكلمات حين يكون ما نحتاج إليه هو «الفعل» الذي يغسلنا من دجل الكلمات وعفونتها التي فاحت رائحتها في قيظ الهزيمة؟ ما فائدة الكلمات إن لم يندغم فيها الفعل ويكونها؟»(٥١).

وبدأ بحثًا دائبًا عن طموحه الذي يتأسس بالكلمة/الفعل، كلمة عارية مكثفة تكشف الواقع وتغيره في آن... وانتصب السؤال ثانية: هل تستطيع الكلمة أن تكون فعلاً حقيقيًا؟ وفي فترة اعتقدَ أن ذلك كان ممكنًا، وغمره إحساس بالتوازن(٥٢). وبعد مخاض صعب، جاءت لحظة الوضع العسير، وجاء معها ونوس يحمل على أكتافه ثقل التجربة والممارسة.. ولسان حاله يقول: «اهتز حلمي، وأخذت تترمد الصورة المتقدة التي اشتعلت في رأسي وأنا أكتب»(٥٣). ليخلص إلى القول والأسى يعتصر قلبه: «الكلمة كلمة، المسرح مسرح، وإن الكلمة ليست فعلاً، وإن المسرح ليس بؤرة انتفاضة. كان الاستنتاج مخيبًا ومرًا. وكان الحلم ينأى منطويًا في سرابٍ أو وهم، نعم تبدد الحلم وانطوى، أما الإشكال فبقي في مواجهتي يقلقني، ويدفعني إلى رحلة بحث جديدة»(٥٤). ولم يتحقق حلمه، فربما «كان خطأ في العمل أو في الحلم نفسه، وربما كان هناك كسل في تحقيق التجربة ومواصلتها»(٥٥). فلماذا جاءت النتيجة سوداء حالكة كليل حزيران؟ ويأتينا الجواب من سعدالله ونوس: «إنني (مشروع) دائب وقلق كي أكون فعالاً في زمني وبيئتي، [لكنني] أجد هذا المشروع مطوقًا بالصعاب، مهددًا بالشكوك والوساوس. وما فعلته حتى الآن لا يستوعب ما أريده»(٥٦). مضيفًا، لقد: «كنت أطمح إلى إنجاز «الكلمة - الفعل» التي يتلازم ويندغم في سياقها حلم الثورة وفعل الثورة معا [... لكن] كيف أصوغ «الكلمة - الفعل» وكيف أنجز بالكتابة طموحًا مزدوجًا أو ربما متعارضًا؟ أم إن هذه المحاولة مستحيلة، ومحكومة دائمًا بالإخفاق»(٥٧).

الحضور البرشتي في أعمال بعض المسرحيين العرب، هو حضور مؤقت أو بكلمة أكثر دقة، إنه تقليعة Mode نادت بها ظروف معينة تراجعت بتراجع تلك الظروف

هكذا كانت النتيجة التي توصل إليها سعد الله ونوس مخيبة ومرة وصادمة، وربما كارثية أيضًا.

وختامًا، هل يسمح لنا الحضور البرشتي، في أعمال سعدالله ونوس بإطلاق حكم عام مضمونه أن سعدالله ونوس تأثر إلى حد النخاع ببرتولت برشت؟!.

إن ركوب هذه الموجة مغامرة محفوفة بالمخاطر، وغير مأمونة العواقب.. خاصة وأننا تطرقنا لقضية واحدة دون سواها، فحصل التقاء ربما قد يكون وليد (المصادفة)، في حين قد يكون بينهما اختلاف كبير في عدد من القضايا الأخرى - وهذا أمر وارد دون أدنى شك - وجانبناه بحكم احترامنا للخط المرسوم سلفا لهذه المقاربة. والحال، أن كل نظرية أو دعوة - كيفما كانت - لا يجب انتزاعها من تربتها ومحاولة زرعها ثانية، وبشكل تعسفي في أرض غير الأرض، وتربة غير التربة، ونجاح تجربة أو إخفاقها، يجب محاكمتها تحت سمائها وليس تحت أي سماء أخرى؛ أي يجب وضعها في إطارها التاريخي

والسوسيوثقافي (الاجتماعي الثقافي).

من ثمة، فإن الحضور البرشتي في أعمال بعض المسرحيين العرب، هو حضور مؤقت، أو بكلمة أكثر دقة، إنه تقليعة Mode نادت بها ظروف معينة تراجعت بتراجع تلك الظروف. أما بالنسبة إلى سعدالله ونوس، فمراجعته تُعفينا من الخوض في المتاهات التي يمكنها أن تبعدنا عن صلب الموضوع، إذ يقول: «اكتشفت أنه من الصعب جداً، رغم موافقتي التامة وتبنّيّ الشخصي لأهم مقومات برشت، أنه من العسير جداً تقديم مسرحية لبرشت كما هي لبيئة محلية كبيئة دمشق مثلاً»(٥٨). وهو ما يعني أن سعدالله ونوس قدم اجتهادات وتجارب، تراعي خصوصيات المجتمع العربي، دون النقل المحايد والبارد لأهم مرتكزات المسرح الملحمي، مقدماً مسوغاتٍ للصعوبات التي ذكرها، في قوله: «نحن كجمهور عفوي - وهذا امتياز - ليست لدينا تقاليد مسرحية ثقيلة تنيخ على أكتافنا وتمنعنا مثلا من معاناة تجربة مسرحية بتلقائية مختلفة، ليس لدينا جمهور متيبس، وليست لدينا عادات وتقاليد في الفرجة، وليست لدينا صالات مقسمة تقسيماً اعتباطياً، وليست لدينا بنية ذهنية للمسرح أو المسرحية المتيبسة، ونطالب بأن نجدها دائماً في كل مسرح ندخله»(٥٩). أي إن لدينا مكتسبات تحتفظ بها الذاكرة الجماعية، وتراثنا المشترك في وطننا العربي الكبير، يسعفنا في صقل تجربتنا المسرحية الفنية، «لذلك فإن التجديدات التي اقتطعت الكثير من الجهد والوقت لدى برشت هي مبذولة لنا بشكل تلقائي، وبعض محاولاته لكسر الإيهام المسرحي تبدو بالنسبة إلينا غير مفهومة لأننا لم

الهوامش والمراجع

١. يمكن الرجوع إلى مداخلة محمد برادة الموسومة بـ: الأدبي والسياسي: جدلية معاقة؟ مجلة البحث العلمي، العدد: ٤٣/٤٤ - السنة: الثلاثون - ١٩٩٧، والتي تعرض فيها لهذه الإشكالية في الثقافة العربية، يقول: «ما كتب عندنا حول إشكالية علاقة الأدب بالسياسة، لا يندرج ضمن اهتمام نظري أساسي، يكون تراكماً وينجز تحييناً للأسئلة، ويرصد التبدلات في طرائق التفكير وبالموازنة مع الممارسة الأدبية والوعي السياسي». ص١٤٩.
٢. المرجع نفسه، ص١٤٩.
٣. برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي، ترجمة: جميل نصيف، عالم المعرفة، بيروت، من دون طبعة، من دون تاريخ، ص١٤.
٤. أو جستو بول، نقلا عن: فؤاد دوارة، مسرح المقهورين، رؤية جديدة تهدم نظرية أرسطو من أساسها، مجلة العربي الكويتية، العدد ٢٧٢، يوليو ١٩٨١م، ص١٤٦. والإيتمولوجية دراسة تعنى بأصل الكلمات وتاريخها.
٥. أحمد بلخيري، معجم المصطلحات المسرحية، مطبعة سندي، مكناس (المغرب)، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص١١٨.
٦. عبدالكريم برشيد، كتابتنا المسرحية في أفق التساؤل، مجلة الوحدة، العدد: ٥٨/٥٩ - يوليو - ١٩٨٩م، ص١٢٨، ١٢٩.
٧. سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد:١٩، يوليو ١٩٧٩م، ص٢٠١.
٨. علي عقلة عرسان، سياسة في المسرح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، من دون طبعة ١٩٧٨م، ص٧.
٩. سعدالله ونوس، بيانات لمسرح عربي جديد، دار الفكر الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ص٤١.
١٠. أحمد العشري، المسرح التحريضي، الإثارة والدعاية، مجلة عالم الفكر الكويتية، العدد: الأول - أبريل، مايو، يونيو ١٩٨٧م، ص١٠٣، ١٠٤.
١١. هوبرت هرنغ، نقلاً عن: علي عقلة عرسان، سياسة في المسرح، مرجع سابق، ص٢٨٤.
١٢. برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي، مرجع سابق، ص١١.
١٣. سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، مرجع سابق، ص٢٠٦.
١٤. برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي، مرجع سابق، ص٨٧.
١٥. عدنان رشيد، مسرح برشت، دار النهضة العربية، بيروت، من دون طبعة ١٩٨٨م، ص٨٥.
١٦. برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي، مرجع سابق، ص٨٨.
١٧. فؤاد دوارة، مسرح المقهورين... مرجع سابق، ص١٤٩.
١٨. عدنان رشيد، مسرح برشت، مرجع سابق، ص٩٣.
١٩. يطلق على التغريب في اللغة الألمانية: Verfremdung وباللغة الإنجليزية Alicnation، وعند نقاد الدراما في أمريكا Estrangenent، وفي اللغة الفرنسية فهو كما ذكرنا: Distantiation، أما في لغتنا العربية فقد درج الدارسون على ترجمته: التغريب أو الإغراب أو الإبعاد في القليل النادر، ولا شك أن الكلمة الأولى لائقة وشائعة.
٢٠. برتولد بريخت، نظرية المسرح الملحمي، مرجع سابق، ص١٢٤.
٢١. المرجع نفسه، ص١٤٣.
٢٢. المرجع نفسه، ص٢٣٥.
٢٣. عدنان رشيد، مسرح برشت، مرجع سابق، ص٢٣٧.
٢٤. المرجع نفسه، ص٢٤٣.
٢٥. المرجع نفسه، ص٩٠.
٢٦. سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، مرجع سابق، ص٢١٠.
٢٧. Dialectique، جدلي، ديالكتيكي، وهو: فن حوار يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول (حسب أفلاطون). استدلال على وجه الاحتمال (حسب أرسطو) منطق الوهم (حسب كانط)، إبراز تماسك التناقضات ووحدتها (في نظر هيغل)، استدلال يعتمد المتناقضات وتفاوت الأفكار ليصل من بعد إلى عملية تركيبية (في رأي المحدثين).

نعش مرحلة الإيهام المسرحي، أو لم تترسخ لدينا تقاليد فرجة تتضمن الإيهام المسرحي»(٦٠).

ومهما يكن من أمر سعدالله ونوس: استجابت ممارسته لتنظيراته أو عاكسه الحظ، حقق الكلمة/الفعل في مسرحه، أو أخفق في ذلك، وجد واقعًا لحلمه أو ظل حلمه يحلق في الفضاء دون أن يجد أرضًا تؤويه أو سماء تقيه.. سواء تكلم قليلاً أو غزاه الصمت طويلاً، أو العكس، فقد تأثر ببرتولت برشت إلى حد النخاع، أو لامس أهم مقولاته دون التغلغل فيها... فإنه يبقى «عاشق المسرح بامتياز، ووجهًا من أنضر وجوه المعاصرة، أثبت جدارته في أعماله الطويلة [...] قضيته كانت واحدة: من نحن؟ ولماذا يحدث لنا وفينا ما يحدث؟ عينٌ إلى الفهم وإلى التحليل، وأخرى إلى الحفز والتحريض، عين إلى الواقع المعيش وأخرى إلى التراث والموروث، عين إلى مجددي فن المسرح في الغرب وأخرى إلى الراوي والحكواتي، عين إلى وضوح الفكر ونصاعته وأخرى إلى إحكام العمل الفني وإثرائه، وبعبارة واحدة: عين إلى الفعل وأخرى إلى المتعة»(٦١).

لقد ظل سعدالله ونوس ممزقًا بين موقعين «لم يتخل عن الخصوصية الإبداعية لنصوص المسرحية، ولم يتخل عن طموحه إلى تغيير البنى السياسية الاجتماعية بهذه الأداة مما يطرح عليها تحديًا كبيرًا [...] والمتمثل في عجز الإبداع والتعبير على مستوى النص من الانتقال إلى مستوى الواقع السياسي والاجتماعي. فقد نجح في إضاءة إشكالية المسرح وفي تحليل الانقطاعات، لكنه مسرح الحل أو حوله إلى حكاية، إلى مسرحية ثانية، إلى حلم بجماعية الكلام وعفويته»(٦٢).

ليبق المسرح والسياسة، الإنسان والقضية، وللموضوع صلة.

---

٢٨. عدنان رشيد، مسرح برشت، مرجع سابق، ص٦١، ٦٢، ٦٣، ٢٣٥.
٢٩. المرجع نفسه، ٢٣٥.
٣٠. المرجع نفسه، ٧١.
٣١. المرجع نفسه، ٧٦.
٣٢. حوار مع: سعدالله ونوس، أجراه: نبيل حفار، مجلة الطريق، العدد الثاني، أبريل، مايو ١٩٨٦م، ص٩٥.
٣٣، ٣٤ . المرجع نفسه، ٩٨.
٣٥. أحمد العشري، المسرح التحريضي.. مرجع السابق، ص١٢٤.
٣٦. المرجع نفسه، ص١٢٤، ١٢٥.
٣٧. حوار مع: سعد الله ونوس، مجلة الطريق، مرجع سابق ص٩٧.
٣٨. رفيق الصبان، نقلاً عن عبدالله أبو هيف، التأسيس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، من دون طبعة، من دون تاريخ، ص٥١.
٣٩. سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، مرجع سابق، ص١٩٣.
٤٠. المرجع نفسه، ص٢٠١.
٤١. حوار مع: سعدالله ونوس، مجلة الطريق، مرجع سابق، ص١٠٥.
٤٢. علي عقلة عرسان، سياسة في المسرح، مرجع سابق، ص٣١.
٤٣. حوار مع: سعدالله ونوس، مجلة الطريق، مرجع سابق، ص١٠٧، ١٠٨.
٤٤. المرجع نفسه، ١١٦.
٤٥. إسماعيل فهد إسماعيل، سعد الله ونوس ورحلة الالتزام والوضوح، مجلة الآداب، العدد ٦، يوليو ١٩٧٨م، ص١٢٨.
٤٦. هيئة التحرير، التأسيس، الورقة الأولى، مجلة التأسيس، العدد:الأول، يناير١٩٧٨م، ص١٢.
٤٧. سعدالله ونوس، بيانات لمسرح عربي جديد، مرجع سابق، ص٤٢.
٤٨ ، ٤٩. المرجع نفسه، ٤٣، ٤٤.
٥٠. كان المشاهدون أيام الثورة الفرنسية يتعاركون ويختصمون ويقتتلون في أثناء العرض المسرحي ثم ما تلبث أن تبدأ المعركة الحقيقية خارج المسرح.
٥١. سعدالله ونوس، بيانات لمسرح عربي جديد، مرجع سابق، ص٢٨٤.
٥٢. المرجع السابق، ص٢٨٤،٢٨٥.
٥٣. المرجع السابق، ص٢٨٦.
٥٤. المرجع السابق، ص٢٨٦.
٥٥. حوار مع: سعدالله ونوس، مرجع سابق، ص١٠٢.
٥٦. إسماعيل فهد إسماعيل، الكلمة/الفعل في مسرح سعدالله ونوس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، مايو ١٩٨١م، ص٢٢٢.
٥٧. سعدالله ونوس، بيانات لمسرح عربي جديد، مرجع سابق، ص٢٨٣/٢٨٦.
٥٨. حوار مع: سعدالله ونوس، مجلة الطريق، مرجع سابق، ص١٠١.
٥٩، ٦٠. المرجع نفسه، ص١٠١.
٦١. فاروق عبدالقادر، صراع المساحات عند سعدالله ونوس، ربيع المسرح، العدد:١، الجمعة ٢٥مايو ١٩٩٠م، ص٢.
٦٢. خالدة سعيد، لغز النص القاتل بين السلطة الكاتبة والرأس المكتوب «قراءة في مسرح سعد الله ونوس»، مجلة الطريق، العدد الثاني، مايو ١٩٨٥م، ص٣٦.

العولمة فن تحقيق المصالح بالمصطلحات

صابر حارص محمد
الرياض - السعودية

لم يكد المثقفون العرب يفرغون من مناقشة مصطلح «النظام الدولي الجديد» مع بداية التسعينيات حتى لاحقهم مصطلح آخر هو «العولمة»، ولأن هذه المصطلحات نتاج غربي وأمريكي على وجه الخصوص، وتعكس صياغة جميلة لمصالح الولايات المتحدة في الفترة المقبلة، فإنها في الغالب تتسم بأمرين بالنسبة إلى الكتّاب والمفكرين العرب: الأمر الأول: هو الغموض، والثاني: هو الخلاف. ولم يقتصر هذا الأمر على الإسهامات أو المشاركات الفردية التي تظهر من خلال الصحف أو المجلات أو المحاضرات، بل إن المؤتمرات الجماعية التي تضم - في الغالب - مشاركين ينتمون إلى تيار واحد أو متقارب قد تصل إسهاماتهم إلى الشيء نفسه (الغموض والخلاف).

فالمؤتمر الفكري الذي عُقد في القاهرة لمدة خمسة أيام بعنوان «العولمة وقضايا الهوية الثقافية» انتهى بقول أحد المعلقين: إننا أمام حيرة أكثر وعلامات استفهام أكثر من قبل الدخول في المؤتمر(١) وفي المؤتمر السابق نفسه جاءت ورقة كاملة ضمن الأوراق المقدمة إليه بعنوان: «أسئلة العولمة»، ترى الورقة أن العولمة تثير من الاستفهامات أكثر مما ترتب من القناعات والمسلمات(٢). وفي الندوة التي عُقدت في بيروت، جاءت توصياتها دالة على غموض العولمة على الرغم من تجانس المشاركين فيها، وانتمائهم إلى التيار القومي، ويتبيّن ذلك من إثارة نقاط خلافية وضيقة مثل الوحدة الوطنية داخل الأقطار العربية، والتفاهم على تسوية المشكلة الكردية، وتنظيم انتقال العمالة بين الأقطار العربية... إلخ(٣).

مصطلح غير ملطخ بالدماء

وبسبب هذا الغموض والخلاف اللذين يكتنفان مصطلح «العولمة» كان هو المصطلح الأكثر ذكاءً من مصطلح «النظام العالمي الجديد»؛ لأن الأخير كان يتضمن بعداً عسكرياً بالإضافة إلى أبعاده الأخرى (القانونية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية)، وهذا البعد العسكري لم يتم تجريبه إلا على أرض عربية وإسلامية فقط، وكانت نتائجه تدميرية على اقتصاديات الشعوب العربية والإسلامية ونفسياتها، (العراق، وليبيا،

والبوسنة والهرسك، والصومال، والسودان أمثلة واضحة لذلك).

أما مصطلح العولمة فلم يتضمن حتى الآن بعداً عسكرياً تدميرياً، ولعل من الذكاء الأمريكي (سياسياً وإعلامياً) أنه لم يتم الربط بين استخدام القوة العسكرية لحل النزاعات، والعولمة، «أزمة كوسوفا والشيشان.. نماذج لذلك».

ومن ثم فإن العولمة تبدو للرأي العام العالمي مصطلحاً غير مُلطّخ بالدماء، ولا يرتبط بالحروب والنزاعات العسكرية وتهجير المواطنين خارج بلدانهم، وغيرها من المآسي الإنسانية التي شهدتها البشرية مع مطلع مصطلح «النظام العالمي الجديد».

ومن هنا كانت إمكانية استثمار مصطلح العولمة في الهيمنة الثقافية والفكرية على الشعوب أسهل بكثير من إمكانية استثمار ما يُسمى بالنظام العالمي الجديد، إضافة إلى أن مصطلح النظام ليس مصطلحاً جديداً يمكن أن يأخذ فترة طويلة لاكتشافه واختباره - كما هو الحال في العولمة - ولكنه مصطلح قديم ومتداول، ولدى المثقفين والسياسيين والرأي العام فكرة واضحة عنه منذ أن عكسته عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى، أو الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، أو الشرعية الدولية ونهاية التاريخ لصالح الليبرالية بعد سقوط الشيوعية في بداية التسعينيات.

والملاحظ هنا أن كل هذه المنظمات أو الهيئات كانت في وقتها تمثل نظاماً دولياً جديداً بالنسبة إلى الفترة التي سبقتها، وأن الجديد في عقد تسعينيات القرن العشرين هو إضافة كلمة جديد على النظام نتيجة حدوث بعض المتغيرات الدولية المهمة على الساحة السياسية والاقتصادية والعقدية (الأيديولوجية)، ومن الملاحظ أيضاً أن القوى الفاعلة في النظام في أي عصر ترفع شعارات السلم والأمن والتفاهم والتقارب، ونبذ الصراعات والحروب. ونشر العلم والتقانة (التكنولوجيا) وارتفاع مستوى المعيشة وتحسين الأحوال الصحية، ثم سرعان ما يلمس الرأي العام العالمي على أرض الواقع خلاف ذلك.

أما العولمة فهي مصطلح جديد لم يحمل عنه العرب أو المسلمون أو حتى شعوب العالم كله تصوراً مُسبقاً بالإيجاب أو السلب، والأفكار الجديدة أو المستحدثة، دائماً تحظى بانقسام المثقفين نحوها حسب طبيعة توجهاتهم الفكرية وطبيعة شخصياتهم أيضاً؛ فهناك المجددون بطبيعتهم وهم الذين يميلون إلى تبني الأفكار الجديدة بسرعة وخاصة في بدايتها، وفي مقابل هذا هناك التقليديون الذين يميلون بطبيعتهم إلى رفض كل ما هو جديد أو معارضته وخاصة في بدايته، وبين هذا وذاك توجد درجات متفاوتة بين القبول والرفض.

> استطاعت العولمة على الأقل أن تصنع جيلاً من المثقفين الوسط الذين لم يعارضوا ولم يؤيدوا ولكنهم تبنوا موقفاً مزدوجاً يجعل العولمة في حد ذاتها ظاهرة محايدة

ظاهرة محايدة

وبهذا الذكاء الأمريكي المخطط والمقصود استطاعت العولمة كمصطلح أن تصنع حولها رأياً عاماً متجدداً يحمل في طياته اتجاهاً مؤيداً إن لم يكن بحكم الثقافة الأمريكية الرائجة، فهو بحكم طبيعة البشر واتجاهاتهم المُسبقة كما أوضحنا سابقاً، كما استطاعت العولمة على الأقل أن تصنع جيلاً من المثقفين الوسط الذين لم يعارضوا ولم يؤيدوا ولكنهم تبنوا موقفاً مزدوجاً يجعل العولمة في حد ذاتها ظاهرة محايدة، وأن خيرها أو شرها يتوقف على كيفية التعامل معها، وعدوا شأنها، شأن وسائل الإعلام، سلاحاً ذا حدين يحمل الخير والشر، والحق والباطل في آن واحد، وأن الحكم عليها يتوقف على كيفية استخدامها ونوعية التأثيرات التي تتركها في الشعوب والنتائج الاقتصادية والثقافية والتربوية التي تفضي إليها.

وعلى الرغم مما يبدو عليه «وجاهة» هذا الاتجاه وظهوره بمظهر الاعتدال الفكري الرافض للجمود والتقوقع، أو المعارض للانفتاح والذوبان، إلا أنه يجعل تأييداً للعولمة بنسبة ٥٠٪ ورفضاً لها بنسبة ٥٠٪ وهو افتراض يبدو - على المستوى النظري - موضوعياً، بينما

يبدو - على مستوى الواقع العربي والإسلامي - منحازاً إلى صف العولمة بما يحقق المصالح والأهداف الأمريكية على حساب المصالح والأهداف العربية والإسلامية.

هذا الانحياز - غير المقصود - إلى الأفكار الأمريكية إنما يأتي دائماً من التقوقع في إطار الفكر النظري المجرد، الذي لا يربط الظواهر السياسية بدوافعها وأهدافها التي تسعى إليها على مستوى الواقع الدولي، أو على مستوى أهداف أصحاب هذه الظواهر التي تبدو في طرحها الإعلامي مسألة ثقافية وفكرية فقط.

ومن ثم فإن الاتجاهات التي تعتقد بذاتها أنها اتجاهات موضوعية ومتوازنة، هي في حقيقة الأمر اتجاهات منحازة إلى العولمة أكثر بكثير من وقوفها ضدها، ولنأخذ العولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية مثالين لتوضيح ذلك:

فالعولمة الاقتصادية أبسط تعريف محايد لها هي عملية انتقال وتداول للسلع والخدمات والأشخاص ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والمعلومات والأفكار الاقتصادية بحرية كاملة بين الدول على أساس المنافسة الاقتصادية بهدف تقديم الأفضل جودة، والأقل سعراً للإنسان في أي مكان بالعالم.

تنافس غير عادل

وبمراجعة هذا المفهوم الذي يزعم الحياد أو التوازن أو الموضوعية يمكن الخروج بالملاحظات الآتية:

- إن هناك فصلاً تعسفياً بين مصلحة المواطن الشخصية والمحدودة بوقت قصير، ومصلحة الاقتصاد الوطني للدولة، والذي ينعكس إيجاباً أو سلباً على مصلحة المواطن نفسه، فليست المشكلة في انخفاض سعر سلعة ما في وقت معين، ولكن المشكلة في حماية الاقتصاد الوطني الذي يسمح بالاستقرار الاقتصادي، والاستقلال السياسي، والحفاظ على الشخصية الثقافية.

- إن التنافس الاقتصادي بين دول متقدمة صناعياً وتملك رؤوس الأموال والخبرات والتقنية العالية، ودول متخلفة أو نامية صناعياً وتكنولوجياً وبشرياً تنافسٌ ليس في مصلحة الطرف الأخير؛ لأنه تنافس غير عادل وغير شريف، والقصد منه هو فتح أسواق أوسع لبيع منتجات الدول المتقدمة وتصريفها وترويجها والتي لم تجد حلاً لمواجهة أزماتها الاقتصادية والحفاظ على اقتصادها ومستوى إنتاجها ورفاهية أفرادها إلا بالمزيد من صادراتها إلى الدول الفقيرة. ومما يؤكد هذا ما ينفق على الإعلان التجاري سنوياً (٣٣٠ مليار دولار) بهدف تنشيط الاستهلاك؛ لأن الناس على مدار التاريخ ينتجون ما يحتاجون إليه. أما اليوم فإن عليهم أن يستهلكوا ما لا يحتاجون إليه(٤).

- عدم صحة ما تدَّعيه العولمة الاقتصادية من خلال آلياتها الأربع: منظمة التجارة العالمية، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والشركات المتعددة الجنسية من أنها تسعى إلى تحسين مستوى العيش العالمي، وتضييق


مصطلح العولمة لم يتضمن حتى الآن بعداً عسكرياً تدميرياً

فجوة التفاوتات الاجتماعية، ومساعدة الدول على إصلاح اقتصادياتها وتحسينها، والدليل على ذلك بالأرقام هو الزيادة الكبيرة التي طرأت على عدد الفقراء في العالم، فقد زادوا بنسبة ١٠٠ مليون نسمة خلال التسعينيات من هذا القرن، وأن مليار نسمة من سكان العالم يعيشون اليوم بأقل من دولار في اليوم الواحد، وأن عدد من سيعيشون بأقل من دولار سيبلغ عام ٢٠٣٠ خمسة مليارات(٥).

ومما تقدم يتضح أن العولمة الاقتصادية تدعو إلى الاقتصاد الحر، وفرض آليات السوق، بينما تطبق على أرض الواقع نظاماً ديكتاتورياً يعتمد اقتصاد السوق نمطاً وحيداً، ويوفر الظروف التي تُمكِّن الأقوى اقتصادياً من السيطرة على الأضعف، فيحتكر الأول السوق على

حساب الثاني الذي سيُصبح في المستقبل مهمشًا ومسحوقًا(٦).

أما العولمة الثقافية فإن أبسط تعريف محايد لها هو حرية تبادل الثقافات بمعناها الشامل (أساليب الحياة والتفكير والذوق والقيم والمأكل والمشرب والملبس والمظهر...إلخ) بهدف الاستفادة المتبادلة، وتحقيق التقارب والتفاهم بين الشعوب، ومن ثم تجنب الصراعات والحروب.

وبمراجعة هذا المفهوم على أرض الواقع يتضح:

- أن التبادل الثقافي الذي تعنيه العولمة الثقافية هو في حقيقة الأمر غزو أو هيمنة ثقافية، وفرض ثقافة الآخر المغايرة لثقافتنا، حتى إن كان هناك مشتركٌ ثقافي بين الإنسانية جمعاء؛ إذ إن هذا المشترك لا يعني بأي حال من الأحوال إلغاء الخصوصية الثقافية، كما أن النظرة الموضوعية للثقافات تعترف بأن هناك مشتركًا وهناك نوعيًا.

- أن هناك فارقًا بين الاتصال الثقافي والغزو الثقافي، فالاتصال والتبادل الثقافيان اللذان تتحدث عنهما العولمة ينبغي أن يكونا متوازنين في الكم والنوع بين الدول المتبادلة، أما أن يكون ما يصل إلينا من الغرب مئات أضعاف ما يصل إلى الغرب منا، فهذا شكل من أشكال الغزو، وليس التبادل، وحينما يكون كل ما يصل إلينا من الغرب مما يبهرنا ويشعرنا بتقدم الغرب وإنسانيته وتحضره، بينما يصل إلى الغرب منا كل ما يشوه صورتنا، ويحط من قدرنا، فإن هذا ليس اتصالاً ثقافيًا ولكنه غزو واضح.!!

وهناك عدد من الدراسات الإعلامية التي قامت بتحليل محتوى الصحف العربية، والصحف الأمريكية، واكتشفت أن هناك خللاً واضحًا في التوازن الكمي والنوعي للمعلومات والأخبار والأفكار المتبادلة بيننا وبين الولايات المتحدة، واستدلت هذه الدراسات بما يشغل الصفحة الأولى من الصحف الأمريكية من الحروب والصراعات والمجاعات والجرائم الشاذة ومظاهر التخلف في البلدان العربية، في الوقت الذي تهتم الصحف العربية بالاكتشافات العلمية الجديدة ومظاهر الديمقراطية في الولايات المتحدة وأوربا(٧).

- في الوقت الذي يريدنا الغرب أن ننظر إلى ثقافته، بما فيها الإباحة الجنسية، وحرية المراهقات، والحق في ممارسة الشذوذ على أنها ثقافة التنوير التي يجب أن تسود العالم، ينظر هو إلى ثقافتنا بما فيها القيم الإسلامية التي تدعو إلى الحشمة والوقار، وعدم الاختلاط، والتزام الشرع في الحياة على أنها ثقافة بالية ومرتبطة بالعصور الأولى ويعدّها أسباب تخلف البلدان العربية.

وبذلك تتعارض العولمة الثقافية مع أبسط معاني الحرية والديمقراطية التي تقوم على احترام الآخر وقبوله، والتعايش معه في ظل الاختلاف عنه، وتتحول العولمة من تعددية القرن العشرين التي كان يدعو إليها النظام الليبرالي، إلى تطور خطير ومُفزع وغير مقبول قائم على القولبة والتنميط والتوحيد لقيم الشعوب كلها وثقافاتها، وخاصة قيم المرأة والأسرة التي تعاني عندهم تمزقًا وانحلالاً لايجدون لهما حلاً، ومع ذلك يريدون فرضها على العالم العربي والإسلامي!

المراجع

١. المجلس الأعلى للثقافة. العولمة وقضايا الهوية الثقافية. مؤتمر فكري عقد بالقاهرة في الفترة من ١٢ ـ ١٦ أبريل عام ١٩٩٨م.

٢. كمال عبداللطيف. أسئلة العولمة. ضمن ملخصات المؤتمر السابق التي نشرتها مكتبة القاهرة الكبرى. ص١١٠.

٣. مركز دراسات الوحدة العربية. ندوة العرب والعولمة. بيروت. ١٨ ـ ٢٠ ديسمبر عام ١٩٩٧م.

٤. د. عبدالكريم بكار في محاضرة له بنادي أبها الأدبي «العولمة والحلول المركبة» بجريدة اليوم ٢٠/١٠/١٩٩٩م ص٨.

٥. عبدالهادي أبو طالب «هل تستطيع العولمة إنجاز وعدها بمحاربة الفقر والرشوة». الشرق الأوسط ٢١/١٠/١٩٩٩م ص٨.

٦. المرجع السابق نفسه.

٧. د. راسم الجمال. الاختراق الإعلامي في الوطن العربي. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية. عام ١٩٩١م.

- د. محمد سيد محمد. الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي. عام ١٩٩٤م.

- سعد لبيب. الاختراق الإعلامي في المنطقة العربية ضمن أعمال ندوة: الاختراق الإعلامي للوطن العربي. معهد البحوث والدراسات العربية من ٢٣ ـ ٢٤ نوفمبر عام ١٩٩٦م.

- مصادر الصور: أرشيف الفيصل.

مقامات الحريري في اللغة الروسية

مرتضى غازي سيد عمر
الرياض - السعودية





إن للنثر العربي في القرون الوسطى تأثيرًا كبيرًا في آداب العالم الإسلامي من العصور الوسطى إلى يومنا هذا، وتدل على ذلك البحوث والدراسات العلمية الكثيرة حول النثر العربي عامة، والمقامات خاصة، ويمكننا تسمية الفترة بين القرنين العاشر والثاني عشر فترة المراحل في الأدب العربي بشكل عام، والنثر العربي بشكل خاص.

ويعدّ فنّ المقامة فنًا خاصًا «للمرحلة المدنية» في الأدب العربي في العصور الوسطى. وقد أثر فن المقامات تأثيرًا كبيرًا في آداب الشعوب الشرقية المتعددة، وهنالك بعض الآراء تقول: إن له دورًا مهمًا في نشوء النثر الأوربي المعروف بأدب الشطارة والشطار Picaresque(١).

وتعدّ مقامات الحريري (أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري ت: ٥١٦هـ) قمة التطور في فن المقامة، ولذلك كان في البلدان الأوربية اهتمام كبير بدراستها وترجمتها. ويمكننا أن نعدّ ترجمة مقامات الحريري التي قام العالم الفرنسي سيلفيستر دي ساسي Silvestre De Sacy إلى اللغة الفرنسية ديباجة في دراسة مؤلفات الحريري، ونجد وصفًا مختصرًا لمؤلفات

الحريري في مؤلفات العالم الروسي أ. كريمسكي. وكذلك نجد وصفاً لهذه المؤلفات في ضوء وصف المجتمع الأدبي لعهده، وذلك في الكتب المخصصة لتأريخ الأدب العربي للعلماء مثل هـ. جب H.A.R. Gibb، وغريونيباوم G. Von Grunebaum، ونيكولسون R. Nicholson..إلخ.

إن مقامات الحريري بدأت تترجم إلى اللغات الأوربية في القرن التاسع عشر الميلادي. وتمت ترجمتها إلى الفرنسية كما ذكرنا، على يد العالم الفرنسي سيلفيستر دي ساسي (باريس، عام ١٨٢٢م)، وترجمها إلى الإنجليزية ثيودور بريستون Theodore Preston (لندن، عام ١٨٥٠م)، وتشينيري وشتاينغاس Th. Chenery & F. Steingass (لندن، عام ١٨٩٧م)، وترجمها إلى الألمانية فريدريخ ريوكيرتFriedrich Ruckert (شتوتغارت، عام ١٨٤٤م). وترجمها محمد شمس الدين إلى اللغة الفارسية، وقد ترجمت إلى اللغة التركية، وكذلك ترجمت مقامات الحريري إلى اللغة العبرية من قبل مترجم لا يعرف اسمه ونشرت في مجلة Азиатский вестник (٢).

وقد قام كاتب هذه المقالة بترجمة بعض مقامات الحريري إلى اللغة الأوزبكية ونشرها في مجلة «شرق يولدوزي» في طشقند(٣).

وبدأت المحاولات الأولى لترجمة بعض مقامات الحريري إلى اللغة الروسية في النصف الثاني للعشرينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. وتحتاج ترجمتها من المترجم إلى مهارة عالية لأهمية نقل البلاغة والسجع وبراعة الكلام؛ وهذا النوع من الترجمة كان اتجاهاً جديداً في دائرة موضوعات الترجمات من الأدب العربي إلى اللغة الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي.

وهنا نتوقف عند ترجمات مقامات الحريري إلى اللغة الروسية. كان مؤلف إحدى الترجمات المترجم ن. كونوبليوف (عام ١٨٣٢م). ولم يتقيد هذا المترجم في ترجمته للمقامة البرقعدية بنقل هيكل السجع، وترجم الشعر بكلام منثور، وكذلك كان أسلوب ترجمته معقداً وجافاً. ولكنه أعطى معلومات مفيدة عن معاني بعض المفردات، والبنية الفنية للمقامات في هوامش ترجمته.

بعد ذلك قام إ.ن. خولوغوروف بترجمة المقامة الدينارية عام ١٨٧٧م، والمقامة الإسكندرية عام ١٨٨٥م ونشرهما، وكانت هناك ترجمة أخرى نشرت قبل هذا التاريخ، لمقامة بعنوان «القافلة» في عام ١٨٢٦م، وهي المقامة الدمشقية، وفي عام ١٨٣٠م نُشرت المقامة الدينارية. وكانت هذه الترجمة تتميز من الترجمات الأخرى بشكل تام. وقد تمكن المترجم د.ب. آزنوبيشين من حفظ إيقاع النص كما ترجم الشعر شعراً، وهناك بعض الآراء تقول: إن مترجمها ليس (د.ب. آزنوبيشين)، بل هو إ.آ. سينكوفسكي. إذن في القرن التاسع عشر الميلادي ترجمت إلى اللغة الروسية أربع مقامات للحريري فقط، وجاءت الترجمات المذكورة لتعريف القارئ الروسي نماذج الأدب العربي في العصور الوسطى.

تعدّ مقامات الحريري قمة التطور في فن المقامة، ولذلك كان في البلدان الأوربية اهتمام كبير بدراستها وترجمتها

وأخيراً في عام ١٩٧٨م قام العلماء الروس في الدراسات الشرقية وهم: ف.م. باريسوف، وأ.أ.دالينينة، وف.ن. كيربيتشنيكو بترجمة ٤٠ مقامة من ديوان مقامات الحريري إلى اللغة الروسية ونشرها، ولم تشمل هذه الترجمة عشر مقامات وهي ذوات الأرقام ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٤، لأن هذه المقامات العشر تكثر فيها ألغاز لغوية تعتمد على خصائص اللغة العربية؛ وبعد مرور تسع سنوات على الطبعة الأولى، وفي عام ١٩٨٧م صدرت الطبعة الثانية، وهي ترجمة كاملة لجميع

مقامات الحريري مع ترجمة المقدمة التي كتبها الحريري.

وسعى المترجمون إلى نقل خصائص بلاغة مقامات الحريري إلى القارئ بالروسية، وفي الوقت نفسه أخذوا في الحسبان أن الحالات الطبيعية للأدب العربي في العصور الوسطى قد يكون لها في الشكل الروسي طابع غير عادي، ورشاقة زائدة، وهذا قد يسبب ظهور فكرة خاطئة عند القارئ عن المقامات، وعلى الرغم من كثرة المحسنات اللغوية، والرشاقة الأسلوبية، فإن مقامات الحريري ليست مجرد تركيب لكلمات ميتة، بل هي حكايات حيوية زاهية.

ولهذا يتم في الترجمة شرح التعابير المجازية والاستعارات، وذلك لتقليل الإيضاح والشرح للنص، وحفظاً للطابع الحي للحديث وأسلوب الحكاية؛ فمثلاً في المقامة الدينارية يشكو أبوزيد، وهو بطل رئيس، من فقر ومصيبة أصابته وأصابت عائلته، ويقول:

... واستوطنا الوهاد؛

أما في الشرح وإيضاح ما تدل عليه هذه الحالة: «الوهاد - جمع وهدة وهي ما انخفض من الأرض، معناه أنهم جعلوها وطناً لهم من الفقر حتى لا ترى نارهم الضيوف»(٤).

لكي تكون هذه العبارة واضحة ومفهومة في الترجمة من دون إيضاح وهوامش فقد ترجمت إلى اللغة الروسية:

«Я на видном месте больше не жгу огней, боясь привлечь незваных гостей.»

أنا لا أشعل ناراً في مكان مكشوف، خوفاً من الضيوف المتطفلين.

في المقامة المراغية ألف أبوزيد رسالة للأمير واستخدم فيها أسلوب «الخيفاء» (تناوب الحروف المعجمية مع الحروف المهملة)، يقول: «... أو تنشي لي أمام ارتحالك، رسالة تودعها شرح حالك، حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط، وحروف الأخرى لا يجمعها قط،...).

وقد ترجمت هذه القطعة إلى اللغة الروسية مضموناً بشكل صحيح، أما شكلاً فقد تم تغييرها وجاءت كما يأتي:

« прошенья я должен написать, в котором слова бы так размещались, чтобы согласные с гласными перемещались, а вступление к прошению казалось бы голым: содержало бы лишь имена и глаголы, чтобы строго они чередовались, а глаголы меж собой рифмовались.»

أي، في ترجمة الرسالة تتناوب الحروف الصائتة مع الحروف الصامتة، وأما في مقدمة الرسالة نفسها فتتناوب الأسماء والأفعال، وتستخدم الأفعال على القافية (السجع)، ونحاول مقارنة مقطعين بين الترجمة والنص الأصل من المقامة الرقطية:

تحتاج ترجمة مقامات الحريري من المترجم إلى مهارة عالية لأهمية نقل البلاغة والسجع وبراعة الكلام

أخلاق سيدنا تحب، وبعقوته يلب، وقربه تحف، ونأيه تلف، وخلفه نسب، وقطيعته نصب:

«Наш эмир у народа кумир. Обычай у эмира народу мил, и народ его полюбил, а любовь эмира любого манит, удаленье же ранит »

إن التصرف في النقل والترجمة جعلت هذه العبارة كما يأتي:

«إن أميرنا محبوب لدى الشعب، وكذلك فإن عاداته محبوبة أيضاً، وأحبه الشعب، ويتقرب أفراد الشعب إلى الأمير بحبه، لأن البعد عنه يؤذي».

وفي المقامة السمرقندية نقرأ خطبة الإمام في المسجد: «الحمد لله الممدوح الأسماء، والمحمود الأداء، والواسع العطاء، المدعو لسم الأواء...»

في الترجمة:

«Аллах велик, имена его восхваляются, милости воспеваются, дары его обильны, заступничество всесильно ..»

تصبح العبارة: «الله أكبر، أسماؤه ممدوحة، ورحمته محمودة، هباته وافرة (واسع العطاء)، وشفاعته واسعة»(٥).

إن النص الأصلي ٢٣٤ كلمة لم يستخدم فيها حرف منقوط، أما في الترجمة فلا تبدأ أي كلمة بحرف ساكن مجهر. وهناك أمثلة مشابهة في المقامة الحلبية.

وكما نرى في الأمثلة المذكورة أعلاه فقد استخدم المترجمون عند ضرورة نقل عناصر النص الشعري غير الموجودة في اللغة الروسية، تشابهاً في دائرة إمكانات اللغة الروسية بأسلوب آخر.

إن تجنيس الخط هذا موجود في مقامات كثيرة، وهو أسلوب محبّب عند المؤلفين العرب في العصور الوسطى، وفي الترجمة استبدل بهذا الأسلوب أساليب الصوتية، أي ترك تناوب الحروف المنقوطة والمهملة، وحل مكانه تناوب الأصوات المتشابهة لتستقيم الترجمة للقارئ بالروسية.

سعى المترجمون إلى نقل خصائص بلاغة مقامات الحريري إلى القارئ بالروسية، وفي الوقت نفسه أخذوا في الحسبان أن الحالات الطبيعية للأدب العربي في العصور الوسطى قد يكون لها في الشكل الروسي طابع غير عادي

وفي بعض المقامات توجد خطب وأشعار وحوارات وألغاز بنيت على خصائص اللغة العربية، وفي مثل هذه الحالات ابتعد المترجمون عن نقل المضمون، وحاولوا إعطاء مضمون جديد مبني على اللعب بالكلمات الروسية والشكل الأسلوبي الذي يقترب من الشكل الأدبي للعصور الوسطى، ونلاحظ مثل هذه الحالات في المقامات القطعية والملطية والشتاوية. وفي ترجمة المقامتين المغربية والقهقرية استخدمت مقلوبات باللغة الروسية تخالف مضمون النص العربي، ولكنها تشبه ماجاء به الحريري، مثل:

إن هذه العبارة تقرأ من الأمام ومن الخلف بلفظ واحد (يستطيع المدقق التحقق من ذلك بموازنة أشكال الحروف). وهي تعني (مدينة عكا غالية).

ومعناها: أنا مسرور برؤية الزخرفة مقدماً وردة إلى الجد. وهو معنى متكلف كما يلاحظ. وهذا يشهد للمترجم بصدق محاولة نقل المقامة بما توحي من قدرة على التلاعب بالألفاظ.

فهل هذه المناسبة في الترجمة محاولة للحصول على التأثير الذوقي عند القارئ أو السامع أو ماذا؟ برأينا: إن هذا الموضوع مفتوح للبحث.

في الوقت نفسه سعى المترجمون للحفاظ على الوسائل المجازية التي تسود لغة المقامات، وهي خاصة بمقامات الحريري بشكل خاص، والأدب العربي بشكل عام، وهذه الوسائل عدّ غير عادية في اللغة الروسية. ونضرب بعض الأمثلة:

«эмир», «халиф», «вали», «закят», «адиб», «калам», «тамга», калансува», «тайласан», «асыда», «бейт», «джильбаб», «марсия», «мискаль», «майдан», «фута», «хутба», «шербет», «самум» الخ.

مثل هذه الكلمات في الترجمة كثيرة، وهي مترجمة بأسلوب الاقتباس.

إن بعض هذه الكلمات اقتبست في الروسية، ويمكن فهمها دون ترجمة أو شرح، والأغلبية المطلقة لهذه الكلمات يمكن فهمها بعد الترجمة أو الشرح فقط.

وقد استقبلت الترجمة في علم الدراسات الشرقية الروسية بتقدير إيجابي، وفي الوقت نفسه كان هناك آراء تقول: إن المترجمين استخدموا قوافي زائدة في الترجمة(٦).

المراجع والهوامش

١. مقامات الحريري، ترجمة إلى اللغة الروسية ومقدمة داليلينة وباريسوف. موسكو. دار النشر ناؤكة، عام ١٩٨٧م ص٤.

٢. تاريخ الأدب العالمي، المجلد١، ص٣٥٧ ـ ٣٦٠، سانكت ـ برسبورغ عام ١٨٨٥م، ومذكرات الوطنية المجلد ٥٨، عام ١٨٤٨م، العدد٦، ص١٢٤ ـ ١٢٧. ومجلة Азиатский вестник الجزء الأول ص ٥٢ ـ ٥٦، و ص ٢٦٧ ـ ٢٧٥، عام ١٨٢٥م.

٣. مجلة شروق بولدوزي، عام ١٩٩٠م، العدد ١٠، ص٧٦ ـ ٩٠.

٤. شرح مقامات الحريري.

٥. ترجمة مقامات الحريري، موسكو، ١٩٨٧م ص٢٥.

٦. ب.شيدفار، حول ترجمة مقامات الحريري، مجلة شعوب آسيا وإفريقية، موسكو، ١٩٨٩م العدد٣، ص١٩٥.

الشعر المبصر
في سيكولوجية الصورة الشعرية

سليمان حسين
دمشق - سورية

حفل التاريخ الإنساني عبر عصوره المتعاقبة بالمبدعين الذين اختصتهم الحياة والأقدار بفقدان عضو من أعضائهم الحسيّة، وكذلك حفل التاريخ العربي في شتى عصوره الأدبية والفكرية بهذه الفئة المبدعة، ويمكننا أن نخصَ بالذكر التاريخ الأدبي العربي الذي كان من بين أعلامه مبدعون أفذاذ في حقول الشعر والأدب والفلسفة، ابتداءً ببشار بن برد وأبي العلاء المعري وصولاً إلى العصر الحديث الذي تفجرت فيه عبقرية الأديب الناقد والروائي والباحث طه حسين الذي يعد ظاهرة أدبية مهمّة في تاريخ الأدب والفكر العربيين.

ومما لاشك فيه أنّ هناك تجارب شعرية فائقة من شعراء كثيرين لم يُتح لهم أن يكونوا في مضمار الاهتمام لأسباب كثيرة.

وإذا تخطينا مرحلة طه حسين وانتقلنا إلى الفترة المعاصرة من حياتنا الأدبية، طالعتنا تجربة ناضجة ومكتملة الأبعاد والرؤى، وهي تجربة الشاعر العربي اليمني عبدالله البَردّوني الذي تميّزه قدرة شعرية عالية وأفق واسع.

إنّ أول سؤال يمكن أن نطرحه مدخلاً إلى عالم بحثنا هو: ألسنا نمارس نوعًا من الظلم من الناحية الإبداعية عندما نحيل الخصوصية الإبداعية لشاعر أو مبدع إلى النقص الجسدي (الفيزيولوجي) في مكوناته العضوية؟

صحيحٌ أن فقدان البصر مثلاً، عامل مهم في تكوين الشخصية النفسية والشعرية والفكرية، وصحيح أن ذلك يشكل الأدب وفق تصورات ودلالات وقدرات وموضوعات ذات خصوصية تتعلق بهذا العامل، وصحيح أنّ عقدة النقص التي تنشأ وترسو في الزوايا العميقة للنفس الشاعرة، إنّما تدفع المبدع دائمًا إلى الأمام، وتحفّزه إلى إنجاز الإبداع الذي نفترضه تعويضًا، وفق مفهومات (سيكولوجية الإعاقة)، ووفق مفهومات إثبات الذات والوجود في عالم يعتمد في أكثر مجرياته على البصر؛ كل هذه الفرضيات لا نستطيع ردّها والتشكيك في صحتها على المستوى النفسي (السيكولوجي)، لكن أليس هناك قضيّة فيها من الأهمية ما يعادل أهمية هذه الفرضيات، جوهر هذه القضية: الخصوصية التي يتمتع بها المبدع أو كل مبدع، والشخصية الفردية التي يتحلى بها؛ فليس فقدان البصر وحده الملهم أو المسبب


أبو العلاء المعري

للإبداع أو الدافع إليه، كما أن البصر أو الإبصار ليس هو الذي يخلق الصور الإبداعية؛ لذلك نقول: لَمْ نجد كل فاقدي البصر مبدعين، وليس كل المبصرين لديهم قدرة الانتباه إلى لحظة الإبداع، أو إلى مكمنه في صور الكون والحياة والطبيعة، إذًا هناك عامل نستطيع أن ندعوه الطبيعة الذاتية، وربما لا نأتي بجديد في هذا، ولكننا نود التأكيد: تأكيد الطبيعة الذاتية للنفس الشاعرة أو المبدعة في إبداعها، وفي تعاملها مع شرطها العضوي (الفيزيولوجي)، و عند ذلك تتم لنا الإحاطة بالعالم الشعري لكل شاعر على حدة، وفي تصورٍ آخر يتاح لنا فهم التقاطعات الدلالية؛ البلاغية والإبلاغية بين جميع هؤلاء الشعراء الذين ندرسهم.

مفهوم الشعر المُبصِر

لا يحمل اصطلاح «الشعر المبصر» دلالة معنوية تتعلق بموضوع الشعر ومقولاته، وإنما نوجهه في الأصل إلى الدلالة الفنية؛ ويفهم ما نقصده بالدلالة الفنية من تعبيرنا «المبصر» إذ يشير التعبير إلى الصور البصرية التي ابتدعها الشعراء الذين افتقروا إلى الوسيلة التي يتوسلون بها إلى هذه الصور، وهي الإبصار.

وفي هذه الورقة سأقتصر على تحليل نماذج من شعر ثلاثة من الشعراء المكفوفين، وهم أبو العلاء المعرّي، وبشار بن برد، وعبدالله البردّوني.

وقبل البدء في عملية التحليل لابد من الإشارة إلى بعض القضايا التي تشكل مداخل تسويغية أو تمهيدية إلى التحليل:

أولاً: يجب الانتباه إلى المصادر الثقافية والفكرية والعقدية (الأيديولوجية) لكلٍّ من الشعراء الثلاثة.

ثانيًا: الانتباه إلى طبيعة العصر السياسية والاجتماعية والأدبية التي ينتمي إليها كلٌّ منهم.

ثالثًا: الاعتناء بالتميز الفني لكل شاعر في عصره وفي العصور السابقة، وعلاقته باللاحق من الزمن الأدبي، والتركيز بدقة على الفروق الحضارية والفكرية لكلٍّ من شاعرَي التراث المعري وبشار من جهة، ولشاعر العصر الحديث (البردّوني) الذي ينزع منزعًا تراثيًا في أنماط الأداء الشعري وأشكاله من جهة أخرى.

رابعًا: لا بد من الاهتمام الدقيق العميق بالمشترك بينهم، وهو فقدان البصر.

أخيرًا: من المفروض، وفق ما قدمناه في البداية، الاهتمام بالخصوصية النفسية والعقلية والروحية لكل منهم.

أولاً: في ما يتعلق بالمصادر العقدية «الأيديولوجية» والثقافية والفكرية:

من خلال استقراء العالم الروحي المضمر في العالم الشعري لأبي العلاء المعري يتراءى لنا أن المصدر الفكري الأول والأهم الذي ساعد على تكوين شخصيته روحيًا وثقافيًا هو الفلسفة بمفهومها المصطلحي، إضافة إلى التراث الشعري الهائل الذي يبدو أن المعري قد تمثله تمثلاً يوازيه في قدراته الإبداعية، ودليلنا على ذلك الكتب النقدية التي ألفها كـ«الصاهل والشاحج» و«معجز أحمد» و«عبث الوليد» وغيرها مما يظهر ثقافة لغوية واسعة تتسم بالموسوعية والمعجمية المفرطة في انتمائها إلى الماضي، وإلى الغرابة.


بشار بن برد

أما بشار فيتلامح لنا أنه لم ينل الحظَّ العظيم من الثقافة الذي ناله المعري على المستويات كافة، وبخاصة إذا تنبهنا إلى أنه لا ينتمي في أصوله إلى العرق الذي يستعمل لغته وفنه، بل يزداد الأمر وضوحًا من ناحية الموقف الفكري إذا عرفنا أن بشارًا كان يعرّض بالعرب أحيانًا وبحياتهم، وهذا يدلنا في وجه من الوجوه على المصادر الفكرية والثقافية والأيديولوجية لبشار، على أن هذا الكلام لا يعني أن نغمطه حقه في ثقافته العربية التراثية التي استقاها من سابقيه ومعاصريه، وهذا يبدو جليًا تمامًا في لغته الشعرية، وسنرى جزءًا منها لاحقًا.

وحين ننتقل في امتداد زمني طويل عبر القرون إلى

العصر الحديث لنتأمل في المكوّنات الثقافية و(الأيديولوجية) للشاعر اليمني المعاصر عبدالله البردّوني، نجد أنه «انتقل إلى ذمار من قريته، وفي مسجدها تعلّم شيئًا من أصول الدين وقدراً من علوم اللغة على الطريقة التقليدية، وحين بدأ يعي ما حوله ويتنبه إلى قلة الزّاد الفكري في مسجد ذمار أخذ يعاند ويكابر ويعادي، يهجو، ويسجن..»(١). بين لنا هذا المقطع المقتبس البسيط المصادر الفكرية (الأيديولوجية، وموقف الشاعر منها، ويمكن هنا ببساطة ربط المواقف بين المعري والبردّوني على فارق في التناول ومدى الجرأة والشجاعة على طرح المسائل الشائكة التي تقترب من المحرمات، وتميل الكفة برجحان بيّن لمصلحة المعري بالطبع إذا ما قسنا الموقفين.

ثانيًا: فيما يتعلق بالعصر الأدبي:

أود أن أشير هنا إلى أن حديثي في هذه النقطة لا يعتمد مصادر تاريخية منجزة موثقة يُتّكأ عليها اتكاءات مرجعية، وإنما هو استفادة تأملية استنتاجية مما قرأناه عن العصور، بل العصرين اللذين عاش فيهما هؤلاء الشعراء الثلاثة؛ فالعصران الأدبيان (بكل مميزات العصر الأدبية) لكل من بشار والمعري متقاربان إذا لم نقل إنهما ينتميان إلى العصر الأدبي والسياسي والاجتماعي ذاته مع فارقٍ في نوع الانتماء؛ ومعروفةٌ المميزات الأدبية والفنية والاجتماعية والسياسية والحضارية للعصر العباسي، وليس هنا مجال الخوض في تفصيلات هذه المميزات.

ومن المعروف أيضًا أكثر المميزات الأدبية والفكرية والثقافية والسياسية للعصر الأدبي العربي الحديث وتتلخص في الانقلابات الجذرية في المفاهيم والرّؤى والآفاق الأدبية. وعلى الرغم من أن البردّوني الذي ينتمي إلى هذا العصر ينزع في إبداعه الشعري منزعًا تراثيًا في الصّوغ والأحلام والرؤى، إلا أنه يختلف اختلافًا كبيرًا عن الشعراء التراثيين العرب، بسبب انتمائه الزمني إلى حضارة العصر الحديث، إذ لا بد من أن يتأثر ويستقي ويتمثل ويستفيد. ولا بد من الإشارة إلى هذا البون الشاسع بين صوغ الشاعر التقليدي الحديث، والشاعر التراثي الأصيل، فإذا أخذنا مثالاً على ذلك الشاعر العربي التقليدي الكبير الجواهري الذي يمثل التيار التقليدي في أقصى قدراته، وفي أشد نزوعاته وتوجهاته نحو إعادة صناعة اللغة التراثية بل الشعر التراثي، نجد أن أسلوب النظم لديه، أو روح النظم لديه تختلف اختلافًا كبيراً عن صناعة لغة الشعراء التراثيين، ونجد لزامًا علينا أن نعيد هذا التباين إلى الاختلاف في طبيعة الأعصر الأدبية.

كان بشار يرتد إلى الطاقات النفسية العميقة في نفسه ويستخلص منها رؤى وصورًا وخيالات شكلها اللغوي الخارجي مستمدّ من الرصيد اللغوي والصوري والفكري العربي

ثالثًا: فيما يتعلق بالتميز الفني:

مع الانتباه الشديد لكل ما تقدم من خصائص مميّزة لكل شاعر نودّ تأكيد أهميّة التميز الخاص لكل شاعر على المستوى الفني، وهي الفكرة التي حاولنا التركيز عليها منذ البداية كما يلاحظ؛ فالمعري يشكل في عصره أفقًا لغويًا خاصًا ينزع إلى الامتداد عبر الأعماق اللغوية التراثية، إلى جانب أنه صاحب مذهب عروضي موسيقي خاص في لزومياته التي التزم بها ما لا يلزم في الشعر، وسمى ديوانه بالاسم ذاته «لزوم ما لا يلزم»، يضاف إلى ذلك الأسلوب الذي يطبع نظمه الخاص، وهذا يحتاج إلى دراسة معمقة مستفيضة للوقوف على البنية الشعرية اللغوية السائدة الخاصة في بنيان الكلام لديه. وكذلك نجد أن بشاراً صاحب مذهب مبتدع، مذهب لغوي شعري، وما يؤكد ذلك تصنيف النقاد العرب القدامى له على أنه أول المولّدين أو المحدَثين بالمعنى النقدي القديم. وما يميز البردّوني ذلك التنوع الأسلوبي الذي يتأرجح بين عذوبة الأسلوب المهجري وبساطته، وسبك الشابي الرصين المتين، في لغة رومانسية إيقاعية تطمح إلى موازاة القضايا التي

تناولها. ولكي نصل إلى كلام دقيق في هذا المضمار لا بد لنا من دراسة خاصة تتناول اللغة الشعرية أو لغة انتظام الشعر لدى الشعراء الثلاثة.

رابعًا: فيما يتعلق بالمشترك بين الشعراء:

تحدثنا عن أثر كف البصر على التصوير الشعري وقدراته الخاصة التي يمنحها للدلالة الشعرية، وللصورة بوجه خاص، وهذا ما سنتحدث عنه في دراستنا جميع الصور الشعرية البصرية التي سنقوم بموازنتها، والوقوف على مكوناتها وخصائصها وفعلها البلاغي والإبلاغي والرمزي، وقدرتها على خلق المعادل النفسي، أو نقله بين الشاعر والمتلقّي القارئ أو المتلقي الناقد.

كان البردوني يتجنب آليًا الدخول في مماحكة غير مجدية مع الصورة البصرية، وكان يتفلّت منها إلى صورة مريحة جدًا وأكثر دقة وأعمق دلالة لديه هي الصورة السمعية

خامسًا: فيما يتعلق بالخصوصية الروحية والنفسية:

توجه المعري في فهمه للعالم والإنسان توجهًا وجوديًا كونيًا، وكان منهزمًا على الصعيد النفسي أمام مجريات الحياة والعالم، على الرغم من أنه منتصر على الصعيد الإبداعي انتصارًا مدهشًا يحقق له العظمة الفكرية والأدبية. أما بشار فتناول العالم - في تصوري - بلا مبالاة روحية، وهذا ما يجعله ينتصر على المستوى السلوكي الإجرائي، ولكنه لا يحقق الانتصار الإبداعي العظيم الذي حققه المعري، ونجد البردّوني يعاقر أكثر الموضوعات الإنسانية والحيوية بروح متأرجحة بين قلق الوجود مرة، وقلق المجتمع أخرى، وقلق السياسة ثالثة، ويحقق مدى جيدًا من الانتصار على المستوى الإبداعي في ديوان حافل.

الصورة المبصرة في شعر عبدالله البَرَدُّونيّ

إنّ قراءة نص البردوني سعيًا وراء اقتناص الصور البصرية تؤدي بالقارئ إلى الإحساس بإضاعة الجهد والوقت، ولكن هذه المتابعة توضّح لصاحبها أيضًا أنّ هناك أبدالاً وظيفية من الصور الحسيّة والحركيّة التي يستعيض بها الكاتب عن صورة البصر، وإذا كان المعري - كما أسلفنا - قد اعتمد على البصيرة الفكريّة والفلسفيّة، مستفيدًا من ثقافته وتكوينه، في خلق صورته الشعريّة، ولم يفته أن يداعب الصور البصريّة بنجاح، فإن البردّوني كان يتجنب آليًا الدخول في مماحكة غير مجدية مع الصورة البصرية، ومهما تكن قدرات هذه الصورة على المستوى الفني فإنّه كان يتفلّت منها إلى صورة مريحة جدًا وأكثر دقة وأعمق دلالة لديه هي الصورة السمعية. لذلك نستمع إلى ما يشبه النشيد في شعره، نشيد السمع والأذن الذي أصبح عنده عالمه الذي يحكم به ويتصورّ ويتقبل ويرفض ويطلب..

يا رفيقي هاتِ أذنيـ
ـك وخُذْ أشهى رنيني
من شفاهِ الفجر أسقيـ
ـك وخمرِ الياسمين

وعندما يحاول الدخول إلى عالم صورته، فأول ما يتفحصه ويعالجه هو الصوت، فلننظر إلى الصورة التالية التي يعتمد فيها اعتمادًا كليًا على السمع:

صَوتُها دَمْعٌ وأنغام صبايا
وابتسامـاتٌ وأنّات عرايا
كلما غنَّت جرى من فمها
جدولٌ من أغنياتٍ وشكايا
أهي تبكي أم تغنّي أم لها
نَغَمُ الطير وآهاتُ البرايا
صوتها يبكي ويشدو آه ما
ذا وراءَ الصوت ما خلفَ الطوايا
لَستُ أدري صوتها يُحرقني
بشجوني إنّه يُدمي بكايا
كلما طافَ بسمعي صوتها
هزّ في الأعماقِ أوتار شجايا
وسرى في خاطري مرتعشًا
رعشة الطيف بأجفان العشايا

الصورة الأولى التي يستند إليها الشاعر في هذه الصورة بل في هذا الكمّ التصويري هو الصوت، وهو لازم سمعي لجأ إليه الشاعر ليبني صورته النفسية واللغوية والفنية، ويخلق في النتيجة معادله الشعوري.

فالصوت يساوي الدمع أو يشابهه، والدمع مصدره العين وسيلة البصر، والصوت مصدره الجهاز الصوتي، ولكن ليس المهم عند الشاعر هذا المصدر وإنّما المهمّ هو مورد هذا الصوت الذي يَردُ إليه، وهو المسامع والآذان صوتُها، الصوت من الجهاز الصوتي (الأذن)، الدمع من مستلزمات العين، من العين إلى خارجها، والدمع والصوت هنا معادل شعوريّ عبر تراسل الحواس الذي يخلق التضاد مرّة والتّواؤم مرة أخرى.

ويستمر الشاعر في تصويره فينتقل إلى صورة بصرية ولكنها أيضًا ترتبط بالصوت والسمع فيقول وابتسامات وأنّاتٌ عرايا، فالابتسام صورة بصرية صامتة، لذلك لم تؤدّ غرضها عنده فألحقها بالأنات العرايا وكلمة (عرايا) على الرغم من أنها بصرية، إلا أنها ليست بصرية صرفًا بل هي بصرية عامة، ويكسر بصريتها استخدام الشاعر لها مع أنات، والأنات صوتٌ فاعل، وكذلك العُري فاعل، فارتبط العري الفاعل بالأنين الفاعل أو في تصور آخر الأنين منفعل والعري منفعل، وهو الأدق، والمنفعلان لهما أثر نفسي قوي، إذ يتحولان إلى فاعل في المتلقي، وهو ما ندعوه النّجاح في نقل المعادل الشعوري.

وفي البيت الثاني يُمْعن الشاعر في المزج بين الحواس، ولكنْ مع سيادة الصورة السمعية، فهي تقود المشهد التصويري دون منازعة، فقوله: غنَّت هو مستلزم سمعي، وقوله: جرى من فمها جدول، هو تجلٍّ بصريّ لكن اللواحق التالية أغنيات وشكايا تجعل كفّة السّمع ترجح على كفة الإبصار، فالجدول الذي يجري، يجري بالصوت بالأغنيات والشكايا.

كلما غنّت (سمعي)

جرى من فمها جدول (بصري)

من أغنيات وشكايا (سمعي)

وتتلاحق الصّور السمعيّة على مدى بقية الأبيات في النص السابق الذي اخترناه، كما يأتي:

- أهي تبكي (مستلزمٌ سمعيٌ).
- أم تغنّي (مستلزمٌ سمعيٌ).
- أم لها نغم الطير وآهات البرايا (مستلزمان سمعيّان: النّغم والآهات).
- صوتها يحرقني (صوتها مستلزم صوتيّ)، ويحرقني (مستلزم بصري وحسي). ولكنه يطفئ هذه الصورة البصرية بلفظ يأتي بعده وهو (شجوني) فتتحول الصورة من بصرية إلى شعورية، وهذا دأبُ البردّوني في سعيه التصويري الذي يبدو من خلاله كأنه يأنف أيّ صورة بصرية، وإذا اضطرّ إلى إحداها فإنه لا يقبلها بصريّة صرفًا، وإنّما يعدّل منها ويضيف إليها ولا بُدَّ للتعديل من أن يكون فيما يَخُصُّ السمع والصورة السمعية.
- (إنه يُدْمي بُكايا): التعبير التقليدي أن يكون المُدْمى هو العين أو العيون؛ لذلك فمن المتوقع تقليديًا أن يقول (يدمي عينيَّ) لكنّ هذا ليس مما يُرضي البردوني ويحقق له الدلالة الذهنية أو النفسية، لذلك استعاض عن العيون بالبكاء، وهو في أكثره مستلزم سمعي، لأنه يرافق صوت النشيج أو النحيب.
- كلَّما طاف بسمعي صوتُها: الفعل طاف، صورة بصرية ترصدُ بالرؤية، ولكن الشاعر يكسر هذه البصريّة ويحولّها إلى سمعية عندما يربط الطواف بالسّمع (طاف بسمعي صوتُها).
- و يفاجئنا الشاعر في النهاية بصورة بصريّة غير مشوبة بأي تراسل مع حاسة السمع، فيصوغ الصورة البصرية الآتية: (رعشة الطيف بأجفان العشايا)، وهي تعتمد العناصر التكوينية المبصرة، غير أنّ هذا الإبصار مَرضيٌّ، إذ يلجأ الشاعر إلى حالة مَرَضية من حالات البصر ليستند إليها في تقديم دلالاته الفكرية والفنية.

البردوني

الصورة المبصرة في شعر بشار بن برد

رأينا فيما سبق كيف حاول البردوني أن يُجافي الصورة المبصرة ويتفلّت منها مدفوعًا بإحساس ذي طبيعة نفسية (سيكولوجية)، ولا نُريد أن نتجرأ ونتحدث عن عقدة نقص نحو البصر ومحاولة التعويض بالسمع عن المفقود، وإنّما نريدُ أن نلقي ضوءًا على هذا العزوف المقصود عن التصوير البصريّ والسّعي المعذّب وراء خلق صورة بديلة قادرة ومبدعة.

ومن المستغرب ألا يسعى البردّوني إلى مثل هذه الصورة على الرغم من أنّ أكثر الشعراء الذين أسرَ بصرهم كانوا يحاولون أن يُثبتوا أنّهم قادرون على ابتداع صور لا تقلّ أهمية عن صور المبصرين، بل إنهم قادرون على اجتراح عوالم تصويرية بصرية لا يجرؤ أحد من أفضل المبدعين على أن يتوصل إليها.

ومن هؤلاء الشعراء على سبيل المثال بشار بن برد الذي قال: «ما زلتُ منذ سمعتُ قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد إذ يقول:

كأنّ قلوب الطير رَطْبًا ويابسًا

لدى وَكرِها العنّابُ والحَشَفُ البالي

أعملُ نفسي في أن آتي بتشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلتُ:

كأنّ مُثار النّقع فوق رؤوسنا

وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ(٢)

ويعلق أبو هلال العسكري على التماثل في جودة هذين البيتين بقوله:

«وبيت امرئ القيس أجْوَدُ؛ لأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا أشبه بالعُنّاب والحشف من السّيوف بالكواكب»(٣)، ومقياس العسكري هنا هو القرب في تشابه المتشابهين، غير أننا يمكن أن نقول: إن صورة بشار أكثر تطورًا وعمقًا دلاليًا، وأكثر إحاطة، على المستوى الشعريّ والتصويريّ، بمفردات الصورتين، والأهم من ذلك كلّه الإيحاء الواسع والباعث على التخيل عند بشار، ولا نجده عند امرئ القيس في صورته الحسية الواقعية جدًا، في حين يُمكننا أن نصف صورة بشار بالصورة الباحثة عن الإدهاش والتميّز، وهو ما كان يسعى إليه من خلق صورة يفوق بها الشعراء المبصرين، وإذا كان الأمر يتعلق بهذا البيت، فيمكننا أن نقول إنه حقّقَ التفوق فعلاً، «وقد اتفق أيمّة الأدب على أن تشبيه بشار قد فاق تشبيه امرئ القيس الذي تقدمه، وفاق تشبيه من تأخر عن بشار.. وقد أشار إلى فضل بيت بشار عليه كلام عبدالقاهر في فصل من أسرار البلاغة»(٤).

وهو بذلك يحقق إلى جانب تفوّقه مقولة التعويض عن المفقود أو التعويض عن النقص دون أن يكون لذلك أثر نفسي سلبي في سلوكه في هذا المضمار، ودون إحساسه بالانتقاص من شاعريته أو من كينونته النفسية، بل إنّنا نراه يفتخر بأنّه يُعمِل نفسه في أن يأتي بتشبيه شيئين بشيئين في بيت، وهذا ما لم نجده عند البردّوني الذي كان يرتد إلى أعماقه النفسية (السيكولوجية) ليدفن في قعرها فقدانه البصر، ويرفع

المصدر الفكري الأول والأهم الذي ساعد على تكوين شخصية المعري روحيًا وثقافيًا هو الفلسفة بمفهومها المصطلحي، إضافة إلى التراث الشعري الهائل الذي تمثله، أما بشار فلم ينل الحظّ العظيم من الثقافة الذي ناله المعري

إلى السطح صورًا بديلة متناسبة مع واقعه، ويقمع في نفسه ومخيلته النزوع التصويري البصريّ الفطري أو الغريزي في الإنسان. وإذا أردنا أن نتتبع الصورة البصرية عند بشار لم نستطع إيفاءها حقّها، لأنّه عدّدها بشكل كبير يستعصي على الدراسة المستقصية، إلا ببحث مفرد خاص بها في شعره وحده، ونحن هنا في مقالتنا هذه سنستعرض بعض صوره التي استطاعت أن تتخطّى واقع الشاعر المبصر.

ولكننا قبل أن ندخل في تحليل بعض الصور لابد لنا من الإشارة إلى أن بشارًا لم يكن متخلصًا من عقدة (العمى) كما قد يُظنُّ أننا قصدناه بحديثنا السابق، لأنه

يذكر موازنة بين الأذن (عالمه الأمثل لأنه العالم الواقع) والعين (العالم الحلم العصيّ والعاصي) ويفضل عالم الواقع على عالم الحلم:

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وفي قول بشار:

فلا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً
فإنّ الخوافي قوةٌ للقوادم

محاولة للتلاؤم مع التصوير، فالصورة: «إن الخوافي قوة للقوادم» صورة بصرية فيها خوافٍ تُرى إذا انطلق الطائر، وقوادم ظاهرة ترصدها العين دون عناء. ولكن السؤال هو: هل رأى بشار هذه القوادم وتلك الخوافي أم إنها صورة تقليدية استمدّها من محفوظه الصّوري في خلق صورته تلك؟

والإجابة عن هذا التساؤل معروفة، إذ إنّ أكثر الشعراء طرق هذا المعنى وكرّره بشار هنا في بيته. ولنلاحظ الصورة الآتية:

فرجْنا ساطعَ الغمرات عنّا
وعن مروانَ فانفرج الغبارُ
بطعنٍ يَهْلِكُ المسْبارُ فيه
وتضرابٍ يطيرُ له الشرارُ
بكلِّ مُثقَّفٍ وبكلِّ عَضْبٍ
من القلعيِّ خالطهُ اخضرارُ

في هذه الأبيات هناك مستلزمات بصريّة هي:

- انفرج الغبار - بطعن يهلك المسبار فيه - تضراب يطير له الشّرار - خالطه اخضرار.

وهذه المستلزمات لا يمكن أن يتحدث عنها بواقعها الحقيقي إلاّ من عاينها ببصره، لكن بشار بن برد - كما يبدو - حاول أن يحشد لنا هذه المستلزمات لكي يبيّن لنا أنّه قادر على الإتيان بما يأتي به البَصر بسبيل البصيرة أو الذاكرة، فانفراج الغبار وانقشاعه تصوير سائد في القصيدة العربية التراثية، وكذلك الضرب الذي يثير الشرار، وكذلك السيف الذي يخالطه الاخضرار من جودته، أما الصورة التي استطاع أن يتعمّق فيها بقدر عمق طعنته فهي «بطعن يهلك المسبار فيه» ومعنى هذه الصورة أن بطولته وبطولة قومه وصلت إلى تعميق الطعنة في الأعداء إلى درجة يغيب فيها المسبار الذي يسبر عمق الجرح ونفاذه.



طه حسين

وكما رأينا عند البردّوني نجد عند بشار استخدام لفظ (العين) في غير موضع البصر، وهو استخدام لا يعني اهتمامه بهذا العضو، وإنما يعني استفادة دلالية من مدلولات سائدة وتراكيب تقليدية موروثة ومعروفة «قرّة العين»:

العَيْنُ تأملُ فيكَ قُرّتَها
وغنىً لها من داخلِ الفقرِ

ويقول في مشهد تصويري:

وانشق عنّي بابها المسمورْ
كما يشقُّ الصخرةَ الناقورْ
أيامَ رأسي قصبٌ ديجورْ
ترنو إليّ البقراتُ الحُورْ
ثمّ ارعويتُ والهوى تبصيرْ
ومدخلٌ غالٍ به شهيرْ

إنّ هذا الحديث الذي يبدأ بوسيلة الإبصار العين، وينتهي بالبصيرة والتبصير، يحفل بالصّور البصرية «انشقاق الباب المسمور كما يشق الصخرةَ الفأسُ» وهي صورة غير واقعية فيها انزياح دلالي. فالفأس تشق حنان الخشب وليس قسوة الصخر، واستخدام الفعل شقّ يوحي بحدّة الفأس، والواقعي أن يستخدم «فَلَقَ» مع الصخر، و«شقَّ» مع الخشب.

والصورة الأخرى «أيام رأسي قصب ديجور، ترنو إليّ البقرات الحورُ» تقدّم لنا مستلزمات بصريّة (قصب ديجور) السواد، وترنو مستلزم بصري، وكذلك الحور مستلزم لوني، وكلّ ذلك في مشهد غير أصيل، وإنما منقول عبر الذهن المجرّد، والصورة المقلّدة لغيره من الشعراء، مع الإشارة إلى أن بشاراً

استطاع أن يعاقر الصور البصرية بدقة فنية عالية، ولكنها خالية من الصدق النفسيّ والواقعي.

وإذا أردنا أن نتعمق في مستوى الحديث النفسي (السيكولوجي) فإننا نقول: إن بشاراً كان يرتد إلى الطاقات النفسية العميقة في نفسه ويستخلص منها رؤى وصوراً وخيالات شكلها اللغوي الخارجي مستمدّ من الرصيد اللغوي والصوري والفكري العربي، ومن ثقافته التي حصلها، ومن رصيده المعرفي الخاص، غير أن دلالتها (السيكولوجية) مستمدة من العمق النفسي لديه، إذ يسبغ عليها من معادلاته الشعورية ومن خصائصه اللاشعورية، وأحياناً أخرى تصبغ صورته بصبغة اعتلائية، لكن أثر الإحساس بالنقص أو الفقدان يبقى مائلاً حتى في أنجح الصور وأكثرها دقة.

الصورة المُبصرة في شعر المعرّي

قد يكون أبو العلاء المعرّي أكثر الشعراء الثلاثة الذين نتحدث عنهم تأثراً من الناحية النفسية بفقدانه البصر، إذ تنقل لنا أخباره ما كان من ارتكاسه النفسي في هذه المسألة، فقد اصطبغ شعره كاملاً بصبغة وجودية متفجعة بأحداث الوجود ومجرياته، ومتفجعة بالكون كلّه. وفيما يتعلق به أو بشخصيته المفردة فقد ألزم نفسه بقضايا إنسانية وسلوكية قادته أيضاً إلى الالتزام الفني، فقد ألزم نفسه عدم المشاركة في الخديعة الكونية كما يراها في استمرار الذرية والنسل فأحجم عن الزواج والإنجاب خشية الجناية التي ارتكبت بحقه (هذا جناه أبي عليّ وما جنيتُ على أحد) وكذلك أحجم عن المشاركة الاجتماعية الأخرى (الانغماس في اللذائذ والطعام، والتزامه نوعاً من الطعام لا حياة في مصدره). كلّ ذلك وأشياء أخرى كانت - في تقديرنا - الارتكاس النفسي (السيكولوجي) الذي حدّد سلوك المعري، وحدد السبل التي سيسلكها على مستويات حياته كافة، في وجه الضرر الذي أصابه.

وفيما يتعلق بالصور المبصرة لدى المعري، فإنه يمكننا القول: إن المعرّي كان يتحاشى أن تكون الصورة البصرية هدفاً من أهدافه المباشرة، لكننا نكتشف أن هذا التحاشي لا يلبث أن يتكشف عن بحث دائب عن الصورة البصرية، وأشهر صور المعري المبصرة التي يقول فيها:

ليلتي هذه عروسٌ من الزّنـ
ـج عليها قلائدٌ من جُمان

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال فاحص: ما غرض المعري من وراء صورته هذه؟ هل هو ذو بعد سيكولوجيّ، أم إنه ذو مرام فنية صرف؟ والإجابة عن هذا السؤال يجب أن تعتمد على الرؤية الشاملة لموقف المعري من فقدانه البصر، وكذلك الاعتماد على التكوين الفني لهذه الصورة، وفحوى الإجابة عن هذا السؤال المقصود أن منزع المعري بالدرجة الأولى في صناعته للصورة المبصرة هنا منزع تعويضي أولاً، وفني ثانياً؛ أي (سيكولوجيّ) أولاً، وتصويري فني ثانياً، ولنوضح هذا الكلام، نقوم بدراسة هذه الصورة وفق عناصرها الفنية المكونة:

> توجه المعري في فهمه للعالم والإنسان توجهًا وجوديًا كونيًا، أما بشار فتناول العالم بلا مبالاة روحية

ليلتي: مستلزم لوني (السواد).

عروس من الزنج: مستلزم لوني (السواد).

وينشأ من تماثل الحدين مستلزمٌ شعوري نفسي يقدم لنا مشهداً جمالياً في نفس الشاعر، ويزداد هذا الإحساس بالجمال عندما تأتي المستلزمات البصرية الأخرى التي تكمل الصورة:

قلائد من جمان على هذه العروس (وهي مستلزم لوني في هذه الصورة أيضاً)، وعندما نبحث عن مقابل لهذه الصورة (قلائد من جمان) نجد المقابل هو النجوم وهو مستلزم بصري أيضاً، وعند ذلك نكتشف مدى القدرة البصرية في هذه الصورة ومدى السعي الحثيث للمعري نحو ارتياد عالم التصوير البصري، لنرى في النهاية أن الصورة تحرث في سطح الشكل، ولا تغوص وراء رؤية فكرية، ونحن نعرف مدى بحث المعري عن العمق الفكري في أي تناول شعري لأي موضوع

إنساني أو نفسي أو في أقل تقدير فنيّ.

وقبل أن نغادر الحديث عن هذه الصورة لا بد من أن نشير إلى التعبير اللافت للانتباه في بيت المعري (عليها قلائد)، وهو تعبير يدل على كون عامّ لا تخصيص فيه، فشبه الجملة (عليها) لم يحدد أين القلائد بل في أي موضع من هذه العروس، ومن عادة الشعراء أن يحددوا بدقة موقع القلائد؛ لأن ذلك يدني من تصورهم (الجيد واللبّات وما تتدلّى عليه القلائد من صدرٍ ناهد...) غير أن المعري اقتصر على وضع القلائد عليها دون أن يحدّد موضعها الدقيق مع أنّه لا يخفى على إنسان، مهما تكن خبرته بالقلائد والنساء قليلةً، موضعُ القلائد عند سماع قول المعري (عليها قلائد). وبهذا يتوضّح لنا أن مقصد المعرّي ليس إلى خلق صورة بصريّة طبيعية متوافقة مع الواقع، ولكنّ مقصده أن يعمد إلى خلق معادل شعوري في نفسه يطمئنه على قدرته وشاعريته التصويرية، ويؤمن له موضعًا بين المصورين

لم يكن مقصد المعرّي خلق صورة بصريّة طبيعية متوافقة مع الواقع، ولكنّ مقصده أن يعمد إلى خلق معادل شعوري في نفسه يطمئنه على قدرته وشاعريته التصويرية

المبصرين، ويعمد إلى خلق معادل فنّيٍّ يجمع فيه التشبيهات المتعددة التي كانت هدفًا عند بشار كما رأينا سابقًا، والتي كانت معيارًا فنيًا مهمًا يحقّق الشعريّة والإبداع عند البلاغيين العرب، سواءٌ منهم النقلة أو الرّواد والنقاد الأصليون.

وفيما يلي سنحاول استيضاح بعض الدلالات البصرية في تصوير المعرّي، يقول متحدثًا عن الدهر:

«وقد كانَ يَهْوَى الطّعْنَ، أمّا قَنَاتُهُ
فذاتُ لَمىً والخِرْصُ كالنّابِ أشْنَبُ

الطّعن: الفَتْكُ، ومن معانيه: اللهو، قَنَاته ذات لمى: امرأة سمراء الشّفة، الخرص السنان، وسنانه بياض الأسنان، الدهر يهوى الفتك لكنّ سلاحه الحسان الملامح»(٥). بعيدًا عن اقتناعنا أو عدمه بما قدّمه شارح اللزوميات من معانٍ للمفردات ومعنى لهذا البيت، فإننا معنيون بتلمس الصّوى البصريّة التي أوردها الشاعر، فالقناة اللمياء، الصلبة الشديدة السمرة مستلزم لوني اكتسبه المعري بثقافته وخياله، وسنانه أبيض كالناب وعندها يصبح معنى البيت بعيدًا جدًا عن شرح اللزوميات، وهو أن الدهر يطعن بقناة لمياء سمراء صلبة، وسنان هذه القناة أبيض أو فيه بياض. وليس كما شرح بقوله: (إن الدهر يهوى الفتك لكن سلاحه الحسان الملامح).

وفي مقطع شعريّ آخر يُلاحق المعري اللون بطريقة ملحة؛ فكأنه يتشفى من البصر بحشد مستلزمات بصريّة كثيرة خاصة اللون، ويجاور بينها ويقابل بينها وبين متضاداتها ضمن لوحة فنية ذات منطق خاص، بل لوحة فيها منطقية واقعية إلى جانب منطقها التخييليّ. يقول:

«لوْ انّ سوادَ كيوانٍ خضابٌ
بكفِّكَ، والسُّهى في الأذْنِ حِبُّ
لما نجّاكَ منْ غِيَرِ الليالي
سَنَاءٌ فارعٌ وغنىً مُرِبُّ
وما يحميكَ عزٌّ أنْ تُسبَى
ولو أنّ الظّلامَ عليكَ سِبُّ
أرى جُنحَ الدُّجى أوفى جَنَاحًا
وماتَ غُرابَهُ الجَوْنُ المُلِبُّ

كيوان: زُحَل وهو كوكب مظلم جعَل من لونه خضابًا للشيب، السُّها: نجم صغير، الحِبُّ: القرط، غِيَر الليالي: غوائلها، السَّناء الفارع: الحُسْن البارع، المُرِبُّ: الدائم، أي لو أن سواد زحل خضابٌ لشعرك، والسها قُرطٌ بأذنك، ونورك باهر، وثروتك طائلة، لما حماك العزّ الذي أنت فيه من أن تؤسر وتُسلب حتّى ولو أخفاك الليل عن عين الدهر، السِّبُّ: السّتر»(٦).

أوّل تناول نقوم به لهذا النصّ هو فهم الشّارح الذي وجدت أن كثيرًا من شروحه (٧) يعتورها عدم الدقة، والفهم المغاير، والذي يضيف ما ليس في معنى الشعر؛

على الرغم من أن البردّوني الذي ينتمي إلى هذا العصر ينزع في إبداعه الشعري منزعًا تراثيًا في الصّوغ والأحلام والرؤى، إلا أنه يختلف اختلافًا كبيرًا عن الشعراء التراثيين العرب، بسبب انتمائه الزمني إلى حضارة العصر الحديث

فمثلاً في شرحه للشطر الأول من البيت الأول جعل الخضاب للشيب، والشاعر لا يريد ذلك وإنما يريده للكفّ، ولكنّ الشارح يصرّ على أن الشاعر قصد به الشيب، ويثبته مع أن الخضاب كما هو سائد للكفّ أكثر منه للشيب، وليس كلُّ من يختضب أشيب. ولننتقل بعد ذلك إلى رصد العناصر البصرية في هذه الأبيات:

سواد: لون

كيوان: كوكب أسود، لون.

خضاب: لون ويجب أن يكون الخضاب في الكف ليكون في متناول الإبصار.

السُّها: نجم مضيء، لون وضوء.

السُّها وكيوان: تضاد، لأن كيوان مظلم والسّها مضيء، وهما بذلك لوحة لونيّة فيها مفارقة تخلق لذّة التضاد.

سناء فارع: نور بارع: لون وضوء، الليالي: السواد، لون الظلام: لون ودلالة نفسيّة يحيلنا إلى سواد كيوان.

جنح الدّجى: لون وأثر نفسي.

الجون: أسود، لون.

غراب: أسود، لون.

يبلغ عدد الألفاظ التي تدل على الصورة البصرية اللونية (السواد) سبعة ألفاظ، مقابل لفظين يدلان على النور والضياء وهذا يوحي بدلالة (سيكولوجية) أوّلا، وهي سيطرة هذا الطيف النفسي على نفس الشاعر ورسوه في الآفاق النفسية العميقة، ولون هذا الطيف ستر مظلم أسود، ويوحي بدلالة فنية، ثانيًا - مرتبطة بالسيكولوجية وهي صدى لها - والدلالة الفنية البحث عن قدرات تصويرية بصرية متقنة لتشكل صورة كلية متعددة نستطيع أن نشبهها بالفسيفساء التي تعج بالألوان والصور، ولكنه في النهاية صورة واحدة ذات عناصر متواشجة متداخلة تؤدي غرضًا ولها هدفٌ ودلالة ورؤية. ومن المهم الحديث عن قضية لا بد من التنبيه عليها عند المعرّي، وهي أنه كان دائم التعميق في الرّؤية الفكرية، وكلُّ ما يقدّمه من صور أو قدرات فنية عالية فهو في سبيل خدمة هذه الرؤية، ومع ذلك فقد كان يزيح هذه الرؤية جانبًا ويعاقر التصوير والفنّ أو يكرّر مفاهيمه ومعانيه في أشكال تصويرية جديدة متعددة، ولكنها تبقى ضمن العام في التفكير والتصوير.

وفي النهاية لا بدّ من الإشارة إلى أنّ البحث في مسألة الصورة البصريّة ومدلولاتها النفسية (السيكولوجية) لدى شاعر واحد من هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين تناولناهم يحتاج كتابًا مستقلاً تدرس فيه بكل تفصيلاتها، ودلالاتها النفسية، وقدراتها اللغوية، وعناصرها التصويرية، وإيحاءاتها البلاغية والإبلاغية الأخرى، فكيف يكون الأمر إذا أردنا أن نفصل في قراءاتهم جميعًا، وإن ما توخيناه هنا هو الولوج في هذا العالم وإعطاء لمحات بسيطات عن إمكانات هؤلاء الشعراء، وفي النفس طموح وأمل إلى توسيع هذا البحث لإيفائه حقه.

المراجع

١. من مقدمة د. عبدالعزيز المقالح لديوان عبدالله البردوني، ص١١و١٢، دار العودة، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.

٢. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشعب، القاهرة: ١٣٨٩ . ١٩٦٩م.

٣. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد بجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص٢٥٦، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ١٩٧١م.

٤. مقدمة ديوان بشار بن برد، علق عليه محمد رفعت فتح الله، محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٦٩هـ . ١٩٥٠م.

٥. ديوان لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعرّي، دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦. المرجع السابق.

٧. ديوان سقط الزند، أبو العلاء المعرّي، شرحه وضبط نصوصه، وقدم له، د. عمر فاروق الطبّاع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

تاريخ

الإسكندر الفاتح

كارولين ألكزاندر - تصوير: جيمس.ل. ستانفليد *
ترجمة:
فؤاد حمد رزق فرسوني
الرياض - السعودية



يمتدّ «السهل البويتي» عند منحدرات جبل بارناسوس شمال غرب أثينا مكشوفًا تحت شمس الصيف الحارة؛ هنا، وعلى بعد خطوات من جانب الطريق يجثم تمثال رخامي ضخم لأسد ارتفاعه ثمان وعشرون قدمًا تحت الظلال الوارفة للأشجار الملتفة؛ ولم يك يتوافر غيره من المظاهر الطبيعية أو الاصطناعية ما يدلّ على أنّ هذه البقعة قد شهدت وقائع معركة دموية طاحنة؛ فتحت شمس أغسطس/آب الحارة عام ٣٣٨ ق.م، وعلى مقربة من المدينة القديمة «شيرونيا» واجهت القوات الأثينية والطيبية وغيرها من القوات الإغريقية المتحالفة قوات فيليب الثاني ملك مقدونيا الذي كان يبسط نفوذه على السهول الشمالية المنبسطة للبلاد المتحدثة باليونانية، وقد هُزمت القوات المتحالفة شرَّ هزيمة.

وكان جيش طيبة الممتاز يتمتع بشهرة خرافية، وكان معروفًا بالعصبة المقدسة، وقد قاتل رجالُهُ حتى آخر رمق، ملتزمين ميثاق الشرف الذي قطعوه على أنفسهم بمواصلة القتال حتى الموت؛ وقد دُفنوا في قبر جماعي يشرف عليه نصبُ الأسد السابق الذكر.

وكانت قوة الفرسان التي شكلت نخبة القوات الراكبة لمقدونيا بقيادة الإسكندر، نجل الملك فيليب الحذر ذي الثمانية عشر ربيعًا، وقد اغتنم وجود ثغرة في صفوف قوات العدو فقاد الهجوم ضد «العصبة المقدسة»؛ وبرز دوره الحاسم في القتال، ولم يَدُرْ في خلَد أحد أن

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

الإسكندر سوف يتقدم إلى الشرق فاتحا البلاد المعروفة وقتذاك خلال أربعة عشر عاما فحسب، محولًا بذلك مجرى التاريخ!

الإسكندر الأسطورة

لُقب الإسكندر الثالث المقدوني الشاب (ماجنوس) أو الأكبر، وتراجم حياته قديمة، وقد دونت بعد مرور قرون على وفاته؛ وقد كانت مصدرا للحكايات الشائعة التي تناقلها التاريخ الشفوي عنه، ومنها: حكاية الإسكندر الشاب وترويضه للجواد (بوسيفالاس)، الذي كان رفيقه المخلص في غزواته؛ وحكايته في (غوردبوم) حيث حلّ العقدة الغوردية، لحبل رُبطَ على نحو مستعسر، وذهبت الأسطورة المحلية إلى أن الذي يفكّ تلك العقدة سوف يكون سيد آسيا؛ وقد تمكّن الإسكندر من فكها بسيفه؛ والحكايات عن قسوته وبسالته في الحروب كثيرة.

وعلى الرغم من أن الإسكندر لم يعمر طويلاً إلا أنه كان أسطورة؛ والآن، وبعد مرور ثلاثمئة وألفي عام على وفاته، فإن شخصيته تبدو أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة البشرية. وهو من الرجال القلائل الذين وجدوا على مسرح الحياة وغادروها تاركين بصمات خالدة لا تُمحى.

مثّلت غزوات الإسكندر للشرق فجر ما يُسمى بالعصر الهيليني أو (الهيلينستي) الذي يبدأ بوفاة الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م، ويمتد حتى عام ٣١ق.م؛ وسادت فيه الثقافة الإغريقية، وانتشرت في شمال إفريقية وجنوب غرب آسيا، وخلّفت آثارا مهمة لها في مصر، وليبيا، والعراق، وإيران، وأفغانستان وباكستان إضافة إلى أقطار أخرى.

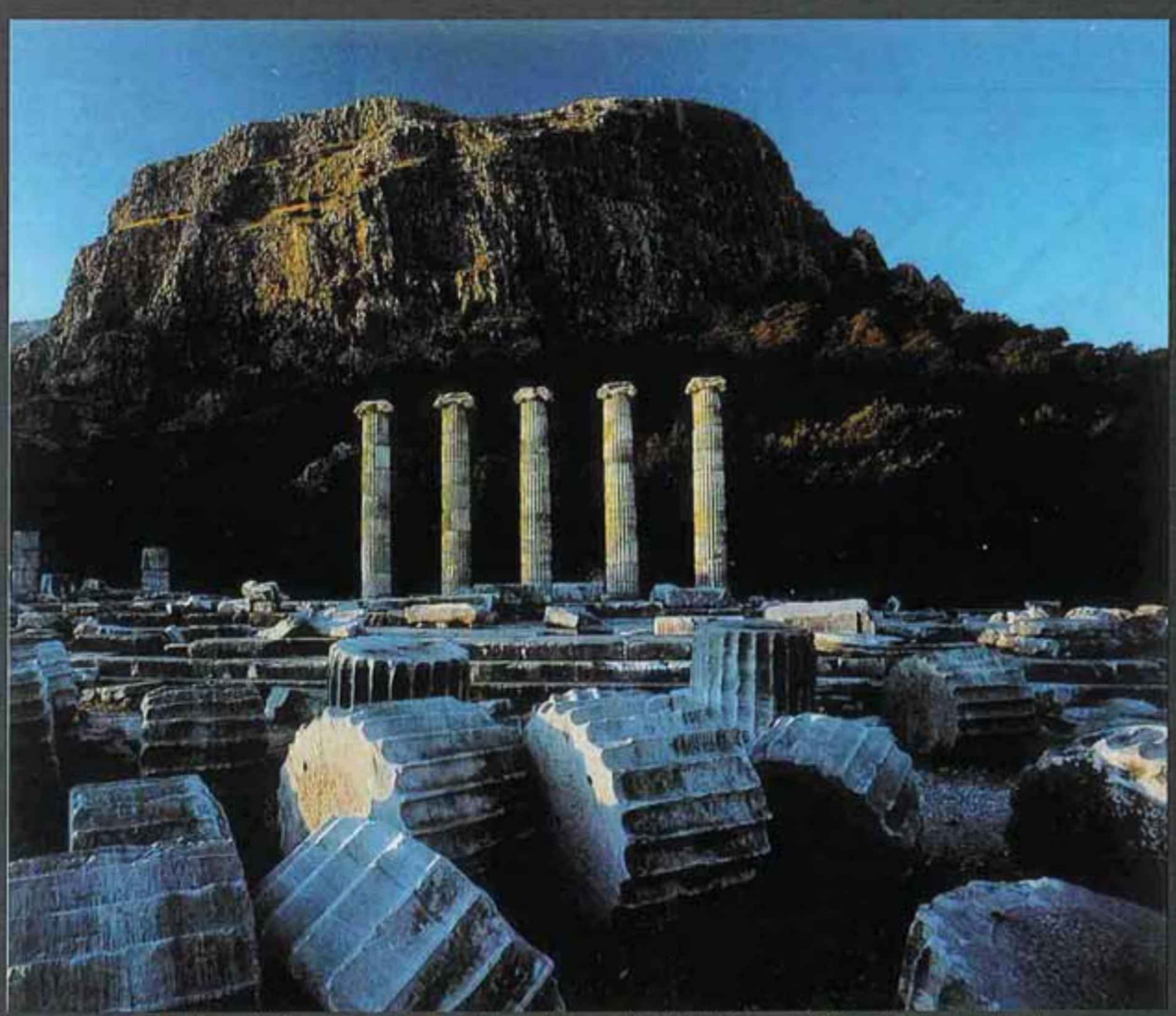
إن تلاقح الثقافات الإغريقية والفارسية وغيرها، قد أثر في شتى مظاهر الحياة في تلك الأمصار، سواء ما اتصل منها باللغة، أو الحكم، أو الفن، أو الأدب، أو الديانة، ولم يسلم من تأثيرها إلا القليل من مظاهر الحياة؛ ولقد كانت هذه الحقبة بمنزلة خطوة عملاقة أولى نحو بناء ثقافة عالمية. عزا بعضهم إلى الإسكندر هذه الرؤية حول تشكيل عصر متعدد الثقافات؛ والحقيقة أنه



الإسكندر وجواده بوسيفا لاس لم يفترقا لا في رسوماتهما الفنية ولا في الحياة!

من غير المحتمل أن يكون قد قصد تحقيق ذلك.

إنّ عبقريته العسكرية لا يرقى إليها الشك، غير أن الآراء منقسمة حول خصاله الأخرى، ولشخصيته صور متباينة في مخيلات الآخرين. ففي ترجمة لحياة الإسكندر منشورة بالألمانية عام ١٩٤٩م صُوِّر الإسكندر بطلا مقوِّضا لدعائم النظام القديم، ومؤسسا لدولة عالمية جديدة. أما بالنسبة إلى وليام تارن، الباحث البريطاني الذي كان يكتب قبل الحرب العالمية الثانية في مقره في ضيعته الأسكوتلندية، فإن الإسكندر كان شابا رياضيا لطيفا مشابها إلى حد كبير أبناء الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية. ويذهب فرانك



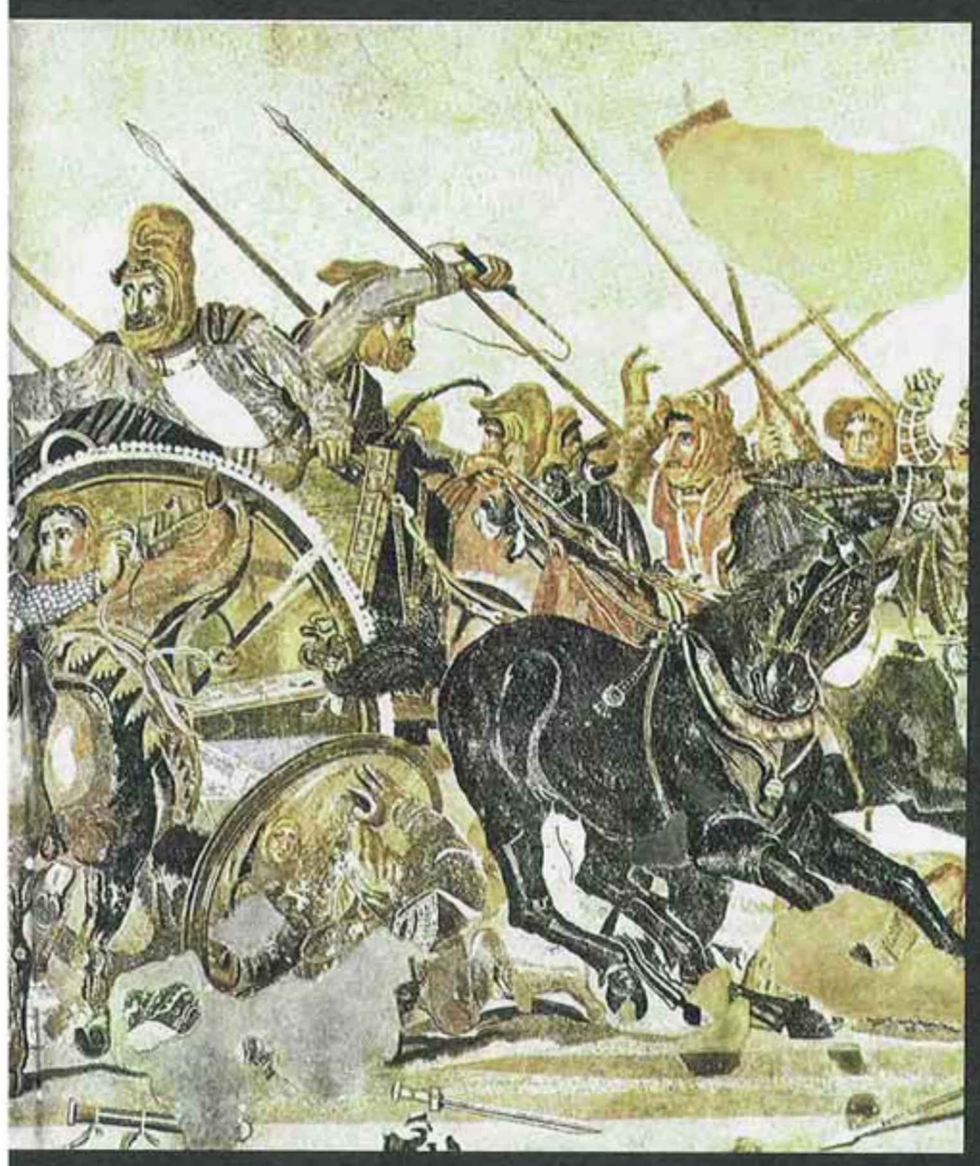
المعبد الرخامي المقداعي لأثينا في برين على الساحل التركي، حيث كان نابليون يقدم القرابين اليومية لينال دعم الآلهة

هولت من جامعة هيوستن إلى أنه يُنظر إلى سيرة الإسكندر بشعور من الأسى لا يخالجنا لدى النظر إلى سير الفاتحين الآخرين كقيصر؛ وإن المرء ليتمنّى أن يرى جانباً نبيلاً في سيرته!.

سيرة حياة

وعندما شرعت كاتبة هذه الدراسة في البحث عن الإسكندر كانت تدرك مقدماً أنها لن تكتشفه؛ بيد أن الأمل كان يساورها في أن يكشف الإسكندر عن حقيقته من خلال رسومه وسيرته. كان الإسكندر قد تصرَّف كالنجم الجذاب المعتدّ بشكله حين أجاز لثلاثة من فناني عصره: ليسيبوس وكان نحاتاً، وأبليس، وكان رساماً شهيراً، وبيرجوتليس الذي كان صائغ مجوهرات - رسم صورته. وتقدِّم النسخ الباقية من عمل ليسيبوس، إضافة إلى الصور الأخرى، وأوصاف الإسكندر التي حفلت بها أدبيات العصر، صورةً محددة المعالم للإسكندر؛ حيث كان مثل نابليون قصير القامة - وربما لم يتجاوز طوله خمس أقدام، وممتلئ الجسم، واشتهر بمنظره الوسيم، وشعره المسترسل المتجعد، وبشرته الشقراء الضاربة إلى الحمرة خاصة في وجهه وصدره - وفق رواية المؤرخ بلوتارك الذي ترجم لحياة الإسكندر في القرن الأول للميلاد - وينعطف رأسه إلى اليسار قليلاً، ويتمتع

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني



بنظرات نافذة. وقادت ملامح شخصية الإسكندر المذكورة بعض أطباء العصر الحديث إلى الظن بأنه كان يعاني من مرض عيون نادر معروف بـ «تناذر براون»؛ وإذا كان هذا التشخيص دقيقًا، فإن الانعطاف المميز لرأس الإسكندر كان يمكّنه من الرؤية المستقيمة.

ويبدو أنه كان من المتعذر عليه تربية لحيته كاملة فبدأ تقليل قص اللحية؛ غير أن ملامحه الناعمة الحسنة تنم على طبيعة شخصيته العنيدة القوية التي كانت واضحة منذ طفولته؛ فقد شكا لرفقائه في اللعب مع الصبية يومًا أن أباه سوف يكون سبّاقًا للفوز بكل شيء، وأنه لن يدع له المجال لتحقيق عمل بارز عظيم؛ وقال ذلك عندما نُمي إليه أن أباه الملك فيليب قد فتح مدينة جديدة!

وعلى الرغم من أن الإسكندر هو المشهور بلقب «الأكبر»، فإن أباه فيليب الذي كان من القادة اللامعين في عصره هو الذي وحّد مملكة مقدونيا، وعمل على تنمية ثرواتها، ورفع مكانتها بغزواته، وبالتجارة، وبالتحالفات المعقودة بدهاء، والتي غالبًا ما داخلتها حالات زواج سياسي بلغت في مجموعها سبع حالات.

حكمت عائلة فيليب مقدونيا أكثر من ثلاثمئة سنة؛ وكان التنظيم السياسي لهذه الملكية المطلقة أقرب إلى الدولة القبلية في شمال اليونان منه إلى الدول المدينية في جنوب اليونان.

وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد، كانت هذه الدولة الملكية من العالم القديم بتقاليدها في مجالات الصيد والقتال ومعاقرة الخمرة تعدُّ مفارقة تاريخية؛ فقد ذكر المؤرخ بيتر جرين من جامعة أيوا الأمريكية أن الإغريق الآخرين قد عدوا المقدونيين برابرة متوحشين. وبينما يدين الإسكندر في كثير من عبقريته التكتيكية لأبيه، إلا أنه كان من الناحية العاطفية أقرب إلى أمه، أولمبياز، وهي أميرة من إبيروس الواقعة في شمال غرب اليونان؛ كانت قوية الإرادة، معتدة بنفسها، قاسية لدرجة مثيرة، كما يدل على ذلك صنيعها بزوجة فيليب الصغرى الأخيرة، إذ أقدمت

على شيّها بالنار حيّة عقب وفاة فيليب. كانت متديّنة، كما كانت باخوسية(١)، وعضواً في عصبة نسائية تعبُد الإله ديونيسوس عبادة طقسية معربدة تسودها النشوة والقصف؛ وكان تعاملُها مع الأفاعي الحيّة جزءاً من الطقوس العابثة التي مارستها، والتي أثارت أعصاب فيليب نفسه. أخذ ابنها الإسكندر عنها التأثر بالخُرافات، وشعوراً معتزّاً بأنه سليل أخيل، البطل الأسطوري في ملحمة هوميروس «الإلياذة».

تقع خرائب بيلا Pella، مقر قصر فيليب وعاصمته، في شمال اليونان على بُعد مسيرة ساعة من المدينة الحديثة (ثيسالونيكي)، وتحيط بها منطقة ريفية جبلية برية؛ وليس من المتعذر تخيّل ماضيها عندما كان نبلاء المقدونيين يصطادون ويتناوشون في مرتفعاتها المحرّجة؛ لقد ولد الإسكندر هنا في العشرين من شهر يوليو /تموز تقريباً عام ٣٥٦ ق.م، وهنا قضى كل سني عمره القصير خلا إحدى عشرة سنة منه. ومع أنه كان نجل ملك، إلا أنه تربّى تربية إسبارطية؛ واعتاد الإسكندر القول بأنه يعتقد أن الإفطار هو المسيرة الطويلة ليلاً، وأن العشاء إفطار خفيف.

واقتداء بأبيه فيليب ورفاقه، فقد تربّى بين الجنود المحترفين والصيادين ومروضي الخيول السّكّيرين. كانت ملحمة الإلياذة(٢) أثيرة لديه، وكان معجباً بشخصيات المحاربين فيها، وأخذ عنها منذ صغره مبدأ أن المجد في الحرب أشرف مكاسب الحياة.



جيش الإسكندر في إحدى غزواته

تلميذ أرسطو

وعلى الرغم مما كان من خلاف بين فيليب والإسكندر، إلا أنه أعدّ ابنه لوراثة الملك وفي عام ٣٤٣ ق.م، نال موافقة تلميذ أفلاطون: أرسطو ليكون المدرس الخصوصي لنجله؛ وكان أرسطو ابن طبيب البلاط الملكي أيام والد الملك فيليب، كما أخبر بذلك إرنست باديان، الأستاذ الفخري في جامعة هارفارد؛ وأضاف أن فيليب كان يعرف أرسطو شخصياً كما كان يدرك موقعه في مجتمع البلاط الملكي.

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

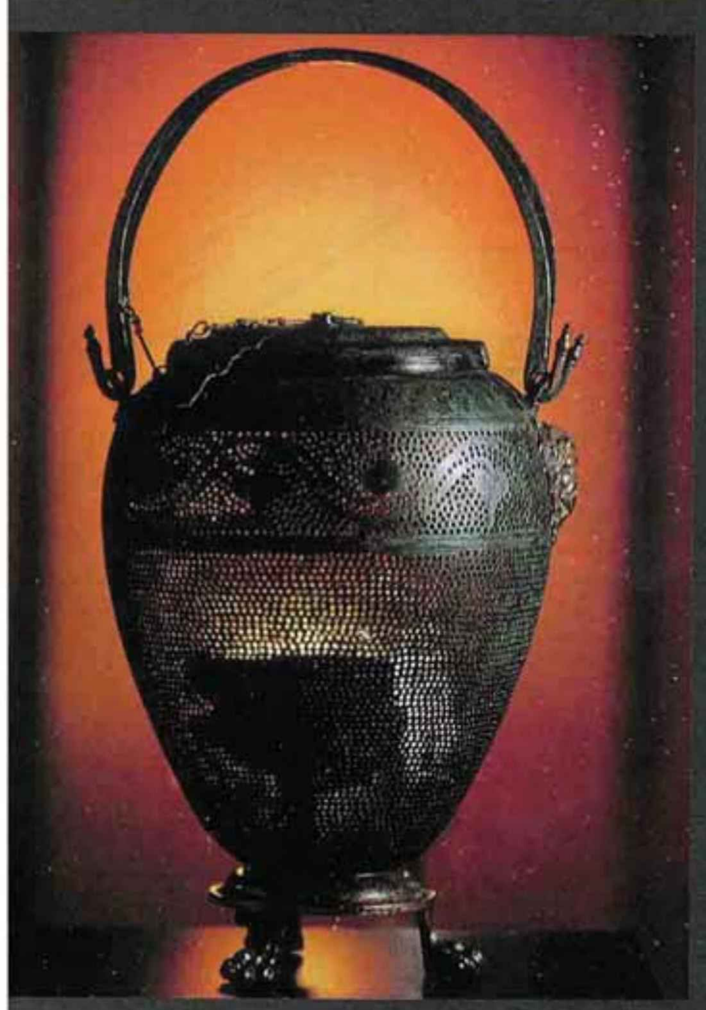
كانت غاية فيليب مهاجمة بلاد فارس، عدو اليونان القديم في منطقة البحر الإيجي، لكن المنية عاجلته قبل تحقيق هدفه، فقد اغتاله أحد حراسه عام ٣٣٦ق.م وكان عمره ستًا وأربعين سنة؛ ويعتقد أن قاتله كان معشوقه السابق. (لأن فيليب كان لوطيًا كسائر أبناء الطبقة العليا اليونانية)؛ فبادر الإسكندر للتحرك بسرعة لإحباط محاولات الطامعين في العرش فنصّب نفسه ملكًا مكان والده، ولم يتجاوز العشرين ربيعًا بعدُ!

وبعد سنتين، قاد الإسكندر ستة آلاف فارس وثلاثة وأربعين ألفًا من المشاة وعبر مضيق هيلزبونت المعروف، الآن بالدردنيل.

وتقدم إلى آسيا الصغرى؛ وكان هذا التقدم المرحلة الأولى من حملته لتحقيق حلم فيليب في استعادة المدن الإغريقية التي كان الفرس قد استولوا عليها؛ وكانت حدود إمبراطورية الفرس ممتدة ما بين بلاد تركيا الحديثة حتى الباكستان. ومن وجهة رسمية، ادّعى الإسكندر أنه كان يقود حملة إغريقية موحّدة للثأر من الفرس الذين غزوا اليونان أيام (إكزيركزيس) قبل قرن ونصف القرن.

وفي الحقيقة، شارك في حملته إلى جانب المقدونيين كتائب إغريقية قليلة؛ وعبر الإسكندر بجيشه مرة مضيق هيلزبونت متوجهًا إلى طروادة التي لم تفارق مخيلته منذ الطفولة؛ وكان الإسكندر يعدّ الإلياذة مرجعًا عن فن الحرب، وقد أخذ معه نسخة منها تحمل شرحًا لأرسطو. وكتب المؤرخ بلوتارك أن الإسكندر كان يحتفظ بالإلياذة دائمًا تحت وسادته إضافة إلى خنجر. وعند أسوار طراودة المنهارة وقف الإسكندر وصديقه المقرّب (هيفايستيون) وقفة إجلال أمام القبور المزعومة لأخيل وَ باتروكلوس، المجسديْن لصور ذواتهم الأخرى، وضمخا المذابح بالزيت، وقدما القرابين.

وقع الاشتباك الأول للإسكندر مع الفرس في شمال شرق طروادة في موقع على ضفاف نهر غرانيكوس (المسمّى الآن كوكاباس)، وكان ذلك في شهر مايو/أيار عام ٣٣٤ ق.م. وذكرت كاتبة المقالة أنها قد لاحظت



استخرج علماء الآثار في عام ١٩٧٧م محتويات قبر في فيرجينيا، وقد ضمت مش
ويعتقد العلماء أن القبر يشتمل ع

خلال زيارتها في الصيف للموقع أن مجرى النهر جاف أجرد، وأرضيته مكشوفة واضحة للعيان. ويمتد سهل غرانيكوس على جانبي النهر، وقد بدت خلفه على الضفة المقابلة سلسلة جبال منخفضة؛ وكان الفرس قد نظموا صفوفهم في هذا الموقع استعدادًا للمعركة، وضمت قواتهم خمسة عشر ألف فارس في المقدمة، إضافة إلى ثلثهم في المؤخرة.

تجاهل الإسكندر نصيحة بارمينيو - الذي كان قائد جيش فيليب - في أن يرجئ الهجوم، وعبر النهر باندفاع وتوجه إلى المرتفع المواجه لضفة النهر الأخرى حيث تتربص قوات الفرس؛ ثم اشتبك ورجاله مع

لقد كان الإسكندر عبقرية عسكرية منظمة (تكتيكية) وقائداً ملهماً؛ فعندما أصدر أمره بالهجوم المباشر على العدو، كان يعرف أن رجاله سيمتثلون لأمره بثقة؛ «تعلمنا أن مفتاح القيادة في أشد الظروف قساوة يكمن في تلقي الضباط والجنود التدريب نفسه»؛ هذا ما ذكره الأميرال راي سميث عن نظام الأسطول الصارم؛ وأضاف أن الجنود يدركون أن قائدهم لا يطالبهم بالقيام بمهمة لا يستطيع هو نفسه القيام بها، أو لم يسبق له القيام بها؛ وأخذ الإسكندر بالفطرة بهذا المبدأ. دفعته ذاته واعتداده بنفسه إلى السعي ليكون الأفضل في كل شيء؛ فقد قاد بنفسه هجوم قوة الفرسان في موقعة غارنيكوس، مميزًا بخوذته المريشة البيضاء؛ وبوجه خاص، كان تعاطفه مع جنوده جزءا من النظام الحربي للمقدونيين، إذ كان يولي الجرحى عناية كبيرة كما ذكر أريان من مؤرخي الإغريق في القرن الثاني قبل الميلاد. ويعد وصفه لحملات الإسكندر واحدا من أفضل المصادر التاريخية القديمة؛ وكتب هذا المؤرخ أن الإسكندر كان يتفقد جنوده الجرحى جميعا، ويلقي نظرة على جراحهم، مستفسرا من كل منهم عن الكيفية والظروف التي أصيبوا فيها مبيحا لكل منهم أن يقول ما يشاء ويبالغ في سرد ما يشاء. وكانت معركة غرانيكوس مقدمة لمعارك أخرى ضد الفرس، فبينما انهزمت قوات الفرس نحو الداخل، مضى الإسكندر في مسيرته المظفرة بمحاذاة الشاطئ محررا المدن الإغريقية من سيطرة الفرس، ومنها إفسوس، وماغنيسيا، وبرين مشترطا ولاءها له؛ وتقدم الإسكندر نحو غورديوم، ثم توجه نحو الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وواصل تحركه باستمرار لمواجهة داريوس الثالث ملك بلاد فارس، وتواجها خارج إيسوس، وعلى مقربة من موقع الحدود التركية السورية الراهنة؛ وشعر جنوده بالإجهاد لمسيرتهم يومين متواصلين؛ وكانت جنود داريوس الثالث تفوقهم عددا، فقد كانت قوات المقدونيين تتألف من خمسين ألف مقاتل مقابل سبعين ألف مقاتل من الفرس؛ ونظم الإسكندر صفوف كتائبه، وأسرع لمواجهة الأعداء، قائدا الهجوم بنفسه ضد قوات الفرس؛ وقد وقع





...ونزية مثقبة، وصندوقًا ذهبيًا مزينًا بإكليل فخم من أوراق وجوز البلوط المذهبة،
...لام فيليب الثاني أو فيليب الثالث

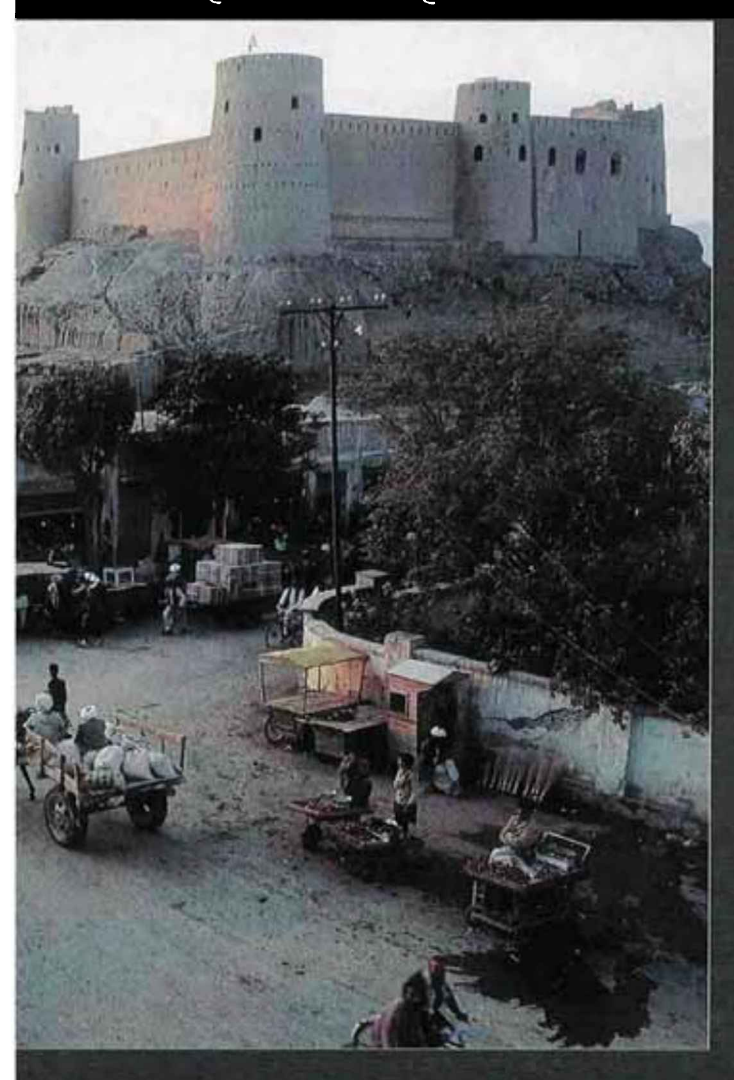
قوات الفرس، واخترقوا صفوفهم، وأحاطوا بمرتزقة الإغريق الذين استخدمهم ملك الفرس، وتجسدت عدة ملامح لهذا الظفر في الانتصارات المقبلة للإسكندر. لقد أفاد الإسكندر مما خلَّفه له والده؛ فتوافر تحت قيادته نخبة من فرسان فيليب، إضافة إلى الكتيبة المقدونية التي جعل منها فيليب وحدة متحركة فعّالة من جنود المشاة المسلحين برماح خشبية يصل طول الواحد منها إلى ست عشرة قدما، أي أكبر من الطول المتوسط للرمح بتسع أقدام؛ وهذه الرماح الطويلة هي التي أسهمت في حماية جنود الإسكندر عندما تسلقوا ضفة النهر من موقعهم الحرج الذي يشرف عليه الأعداء!

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

يجسر الإسكندر على الملك داريوس وسط النقع والجند، وكان في عربته الحربية، وشق الإسكندر الطريق إليه متبوعاً بفرسانه ففر داريوس مخلفاً جنوده في فوضى، وخسر المعركة. ومع أن داريوس قد انسل هارباً، إلا أن معركة إيسوس قد وقعت في خريف عام ٣٣٣ ق.م، مما يوضح أن الإسكندر لم يشكل مجرد مصدر إزعاج للفرس بل كان مهدداً لنفوذهم؛ وحتى ذلك الوقت كان أهم إنجاز رئيس حققه الإسكندر متمثلاً في إخضاع الدول المدينية، والقبائل الصغرى الإغريقية المتعادية وتوحيدها. عدّ الفرس المتشككون انتصار الإسكندر في غرانيكوس مصادفة حظ؛ ولكن تسنى في ذلك الوقت للقائد المقدوني الشاب ذي الثلاثة والعشرين ربيعًا أن يواجه ملك بلاد فارس العظيم، وأن يهزمه هزيمة منكرة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أجبر داريوس على ترك متاعه وأسرته في مخيمه؛ فقام المقدونيون بأسر زوجته وبناته، وفرحوا لما أصابوه من الأسلاب الثمينة، غير أنهم لم يتعرضوا لزوجة الملك الفارسي وبناته بالأذى امتثالاً لأوامر الإسكندر. وتقدم الإسكندر على شاطئ البحر الأبيض المتوسط فاتحًا المدن التي كانت خاضعة لسلطان الفرس؛ وكانت أولى وقائع المقاومة المهمة التي واجهها في تقدمه إلى أرواد، وكانت على جزيرة تبعد عن الشاطئ ميلاً، وتمتعت بموقع إستراتيجي بسبب قوتها البحرية الخرافية، ورافقت الإسكندر وحدة هندسية خاصة، وقد أنشأت جسراً موصلاً للجزيرة؛ ولم يسيطر المقدونيون على الموقع إلا بعد مرور سبعة أشهر، وعندما اقتحموها حملوا على أهلها تقتيلاً بكل ضراوة، فذبحوا منهم سبعة آلاف شخص، وصلبوا ألفي شاب، وسبوا ثلاثين ألفاً آخرين باعوهم عبيداً. اصطبغت حملة الإسكندر بكاملها بالدم، كما ذكر إرنست باديان، وأضاف أن تلك الحملة الدموية لم يكن لها مثيل في التاريخ القديم ما خلا صنيع قيصر بأهل غاول Gaul.

الإسكندر في مصر

وقد واصل الإسكندر تقدمه جنوباً واضعاً حداً لتأثير حلفاء الفرس، حتى إذا دخل مصر لقي ترحيباً حاراً؛ وكانت مصر في الماضي قوة يُحسب حسابها، بيد أنها خضعت فيما بعد كارهةً للفرس قرابة مئتي عام، وفي ممفيس العاصمة المصرية أُقرّ بسيادة الإسكندر ورسم فرعوناً لمصر المتميزة بحضارتها القديمة الثرية الشامخة؛ علاوة على ذلك، فإن الفرعون حسب التقاليد المصرية هو ابن آمون ـ رع، كبير الآلهة. وتقع واحة

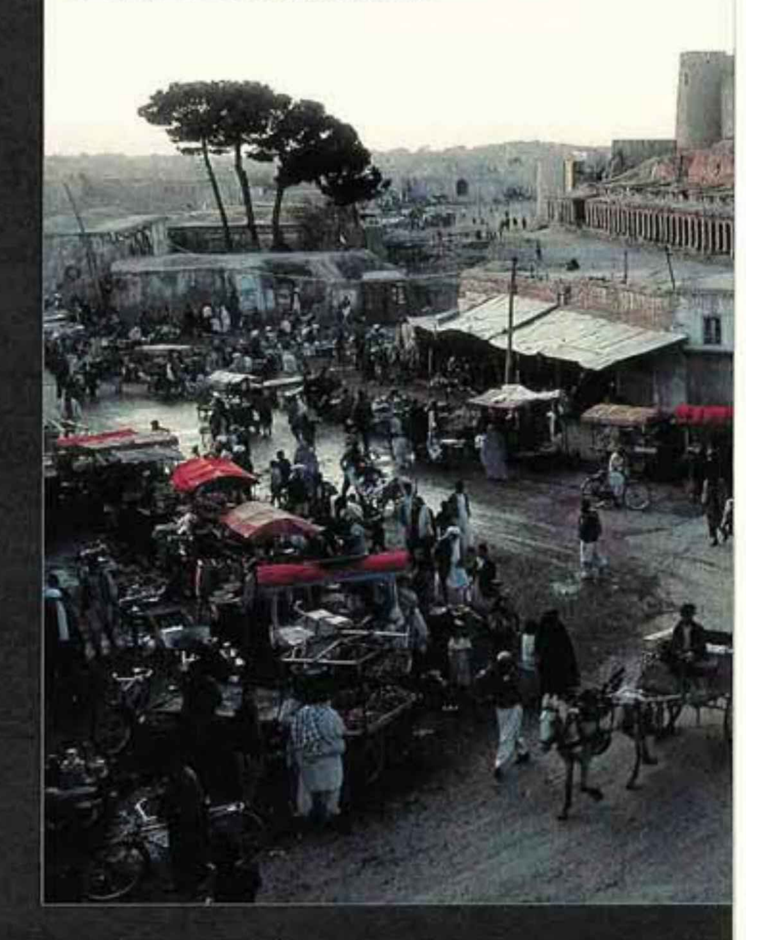


سيوة الخضراء في الصحراء الغربية الجرداء بعيدة عن أطلال ممفيس المتناثرة. وعند الغروب شقّت كاتبة المقالة طريقها وسط البيوت الطينية الموزعة بغير انتظام مشكلة مستوطنات هذه الجزيرة الصحراوية النائية، وذهبت إلى مبنى قديم بسيط مهجور على تلّ منخفض؛ كان هذا المبنى أيام الإسكندر معبدَ زيوس ـ آمون الذي كان يجسّد

امتزاج المعتقدات الإغريقية المصرية، وموقعاً من أهم هياكل الوحي(٣) في عالم الإغريق، ولم يخطر ببال كاتبة المقالة وهي هناك أنها تسلك فوق تلك الرمال طريقاً وطئته أقدام الإسكندر ذات يوم.

وفي مستهل عام ٣٣١ ق.م حجّ الإسكندر الفرعون

تقدم أوضاع التجارة في الحيرة Herat صورة متناقضة مع ماضيها المشوب بالعنف، وترتفع فيها قلعة مهيبة بين خرائب حصن بناه الإسكندر



إلى المعبد المذكور قاطعاً ما يُنَيِّف على ثلاثمئة ميل عبر رمال الصحراء الملتهبة؛ فلم يكن الهدف العسكري باعثه على تلك الرحلة؛ لقد كان يؤمن بالخرافة والكهانة، فجاء يستشير الكاهن حول مسألة شخصية مهمة. وكتب آريان أنه كان لدى الإسكندر شعور أنه متحدّر من آمون؛ وأضاف أن الإسكندر وجّه سؤالاً، وقال: إنه تلقى الإجابة التي رغبت فيها نفسه؛ وكان قبل ثلاث سنوات في طروادة قد أعرب عن تعصبه الساذج لمعتقده أنه متحدر من أخيل!

وفي مصر، موطن واحدة من أهم الحضارات القديمة على ظهر الأرض، أسبغوا على الإسكندر هالة من التقديس، ولمّا يتجاوز عمره الخامسة والعشرين عاماً! كما أنه خلّف فيها معلماً تالداً باقياً، الإسكندرية، وكانت من أعظم مدن زمانها؛ وفي الوقت الحاضر؛ فإنها تعد بمينائها مدينة عالمية مزدهرة؛ وتتميز بمقاهيها القديمة، وحدائقها العامة، ومتنزهاتها المحيطة بآثارها الإغريقية والرومانية القليلة الباقية؛ والمصريون، والأتراك، والمشارقة، والنوبيون، واليونانيون، وغيرهم من الأوربيين يملؤون شوارعها وأحياءها، إنها مدينة تعج بالحركة والنشاط؛ وفي ربيع عام ٣٣١ ق.م، أي قبل ثلاثمئة وثلاثين وألفي عام، أدرك الإسكندر بفطرته السوية إمكانية بناء مدينة منيعة على ذاك الساحل؛ وذكر آريان أن الإسكندر قام بنفسه بوضع التصميم العام للمدينة، بحيث يأخذ مخططها شكل الكلامس(٤)، المعطف العسكري الإغريقي؛ كما حدّد موقع سوق المدينة، وعدد معابدها، والحدود الدقيقة لدفاعاتها الخارجية.

أهم معاركه

أرسل داريوس رسالتين إلى الإسكندر بعد معركة إيسوس وعرض هبات من الأراضي، كما عرض عليه ابنته ليتزوجها مقابل السلام بينهما، ورفضت رسالتاه بغطرسة؛ فلم يجد داريوس مفراً من أن يستعد لحرب شاملة؛ فقام بتعزيز قواته وتجهيزها، وتوفير الأجناد لها من القوة البشرية غير المحدودة تقريباً في إمبراطوريته الشاسعة؛ واشتبك جيشا داريوس، والإسكندر في الفاتح من أكتوبر/ تشرين الأول عام ٣٣١ق.م في جاوجميلا شمال مدينة بغداد الحديثة (وكان موقع تلك المعركة قد شهد عام ١٩٩١م حرب الخليج؛ وعلّق ضابط أمريكي بجفاء أن الإسكندر لم ينتظر خمسة أشهر لشن الهجوم).

ومرة أخرى كان لداريوس دوره في تحديد ميدان

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

المعركة، فقد نظم صفوف جنده على امتداد سهل واسع ملائم لتحركات فرسانه الأقوياء، وعرباته العسكرية المزودة بالمناجل القاتلة؛ وأطلّ الإسكندر على جيش داريوس الهائل الذي يفوق جيشه عدداً؛ وكانت قوة الفرسان الفارسية من البخاريين Bactrians، والدهائيين Dahae، والأراكوسيين Arachosians، والبارثيين Parthians، والميديين Medes، والهنود، والبابليين، والمارديين Mardians، ويصل عددهم إلى أربعة وثلاثين ألفًا، أي خمسة أضعاف قوة فرسان الإسكندر؛ وقف الإسكندر مشدوها لمرآها، وتأمّل في إمكانية شن الهجوم في الحال، لكنه أخذ يتفحص تضاريس المنطقة، ودعا ضباط جيشه لمحادثتهم، ثم أصدر أوامره لرجاله لتناول الطعام والخلود للراحة، بينما انصرف هو لمهجعه.

وكتب بلوتارك عن صبيحة ذلك اليوم الذي سبق نشوب أهم معركة في حياة الإسكندر أن ضباط جيشه جاؤوه مبكرين صباحًا، ودهشوا لما ألفوه مستغرقًا في نومه؛ وبينما هو كذلك وقف داريوس وجنوده بدروعهم المتألقة يترقبون طوال الليل؛ وفي اليوم التالي، تقدم المقدونيون بانتظام تام امتثالاً لأمر قائدهم، وكان الإسكندر في الميمنة؛ ولم تتقدم صفوفهم إلى الإمام، بل تحركت تحركًا (تكتيكيًا) جاعلة الإسكندر في مواجهة داريوس؛ وكان الإسكندر يدرك أن جيش العدو قد التف حوله، فقرر أن يستدرج داريوس إلى جناح جيشه، ليحمل بعد ذلك على قلب جيش الفرس الذي أخذ يدبّ فيه الضعف؛ ونجح في تنفيذ خطته، وبينا كانت أجنحة الجيشين تشتبك في قتال ضار، كان فرسانه قد صمدوا أمام فرسان الفرس الذين تفوق قوتهم قوة أعدائهم عشرة أضعاف، وقد لاحظ الإسكندر موطن الضعف الخطير المتوقع في صفوف الفرس، فكرّ مع فرسانه المرافقين مخترقًا صفوف أعدائه، عازلاً داريوس عن حرسه، فلاذ داريوس بالفرار - كما فعل في إيسوس -، فكانت الغلبة للإسكندر في ذلك اليوم.

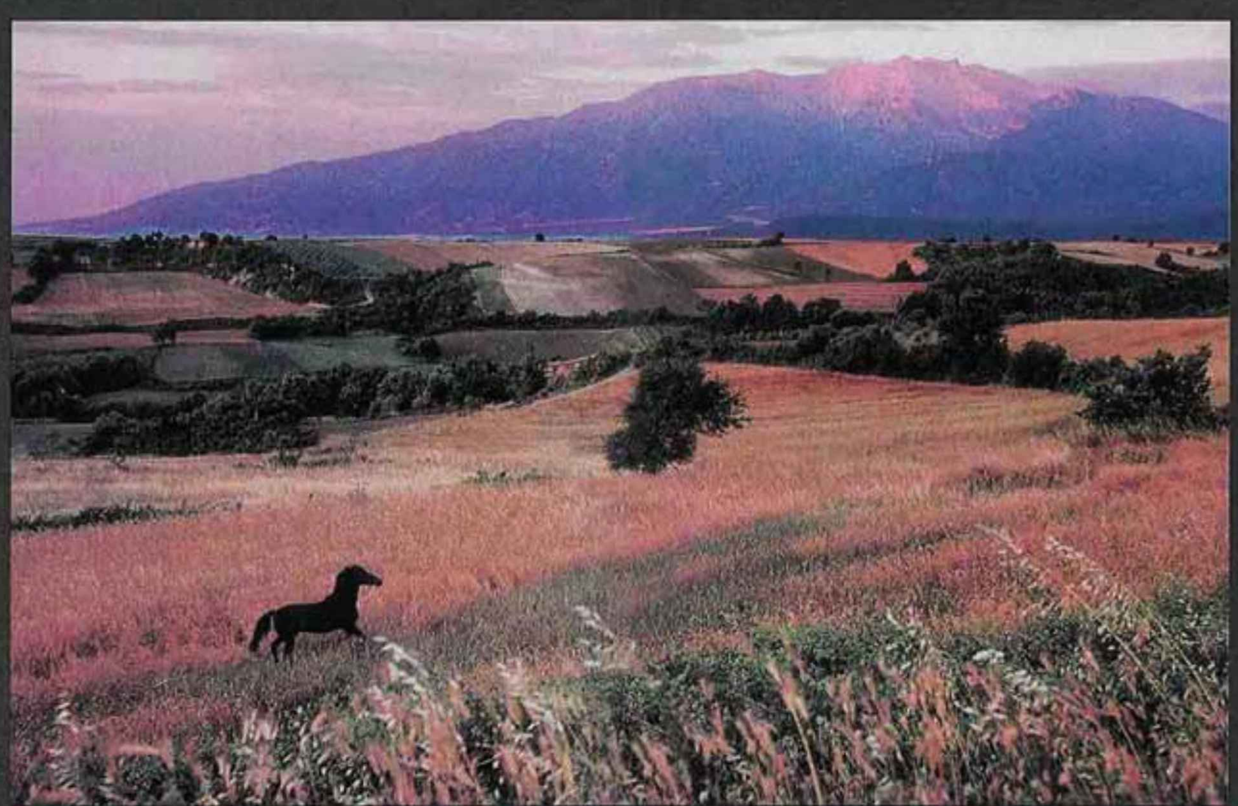
وعلّق الكولونيل كول كنجسيد، وهو مؤرخ عسكري من الأكاديمية العسكرية الأمريكية في وست بوينت، بأن تكتيك الإسكندر هجومي؛ وكان يتوقع ما الذي سيقوم العدو بفعله، فيفرض عليه ردة الفعل التي استشرفها وتهيأ لمواجهتها؛ مضى الإسكندر متسلحًا باتخاذ القرار المناسب لكل ظرف؛ وهذا أمر في غاية الأهمية، وهو أن مكان القائد هو حيث يكون الفعل الحاسم.

تقدم الإسكندر بعد معركة جاوجميلا إلى بابل، ثم إلى سوسة، وكان قد تلقى التعزيزات بإمداده بخمسة عشر ألف جندي من الإغريق؛ وبحلول يناير/كانون الثاني عام ٣٣٠ ق.م، كان الإسكندر قد بلغ بيرسبوليس، العاصمة الرسمية لبلاد فارس؛ وما تزال الآثار الجميلة لمنشآت قصرها الفخم تستقبل الزائرين إلى يومنا الحاضر، ويقع على جُرُف عالٍ مطلّ على منطقة جرداء جافة. (وفي هذا الموقع كان آخر شاهات إيران قد نصب الخيام بأبهّة احتفاءً بمناسبة مرور خمسمئة وألفي عام على تأسيس المملكة الفارسية).

مسكوك ذهبي عليه رأس الإسكندر

أطلق الإسكندر أيدي جنوده في المدينة، فنهبوا ثرواتها الغنية، وقتلوا رجالها؛ ثم أضرم الإسكندر النار بقصورها.

وذكر الدليل المرافق للكاتبة أنه ليس صحيحاً ما يروى عن قيام الإسكندر بإحراق بيرسبوليس وهو مأخوذ بنشوة معاقرة الخمرة؛ وأن علماء الآثار قد اكتشفوا أن إضرام النار قد تم عن قصد، وأنه قد استُهل بإحراق الموقع المعروف بقصر اكزيركزيس؛ وقد يكون ما فعله جنود الإغريق هناك انتقاماً من هجمات الفرس على بلادهم في القرن الخامس. غدا الإسكندر سيد آسيا بعد أن تم له الاستيلاء على أقدس مدن الفرس وكنوزها التي



العدو المجلجل لهذا الحصان في السهل الممتد أسفل جبل أوليميوس يذكّر بقول فيليب لابنه الإسكندر حين رآه يمتطي صهوة حصانه: «يا بنيّ ابحث عن مملكة تضاهي طموحاتك فمقدونيا أصغر من أن تتسع لها»

قدرت بمئة ألف طالن(٥) ذهبًا (وتقدر ببلايين الدولارات في الوقت الحاضر).

ثم شغل الإسكندر بالبحث عن داريوس للقضاء عليه، فقد نمي إليه أنه قد لجأ إلى إكباتانا جنوب غرب مدينة طهران الحديثة؛ لكنه ما إن بلغ المدينة، حتى كان داريوس قد غادرها، ومضى الإسكندر في بحثه الحثيث عنه تحت أشعة الشمس الملتهبة، وقد أصاب الإجهاد الجنود والجياد كليهما، ونمي إليه أن بيسوس قد قبض على داريوس، وبيسوس هذا حاكم بخارى والمطالب بعرش فارس، وواصل مطاردته دون كلل فأدرك قافلة بضائع ففتشها بدقة بحثًا عن داريوس؛ وقد أبصر أحد جنود الإسكندر عربة تسير ببطء يجرها ثوران جريحان؛ ودفعه حب الاستطلاع إلى النظر داخلها فرأى داريوس مصفدا وقد لحقت به إصابات مميتة، وكلبه المطيع إلى جانبه، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أن شرب قليلا من الماء الذي قدمه له جندي إغريقي أخذته الشفقة عليه. وذكر بلوتارك أن الإسكندر قد أبدى الحزن والأسى لوفاة الملك، وخلع معطفه، وألقاه فوق جثمانه. كان الإسكندر أرستقراطيًا بكل ما في الكلمة من معنى، فكان يوقر الملوك؛ بل إنه كان يتطلع أن يتصرف بشهامة في الظرف المناسب، كما بدا من معاملته لنساء داريوس؛ وقد أُعيد جثمان داريوس إلى بيرسبوليس ليوارى الثرى، بينما قاد الإسكندر جيشه إلى مدينة هيكاتومبيلوس لينالوا قسطًا وافرًا من الراحة؛ وهناك سرت إشاعة بين جنوده المجهدين أن الحملة قد انتهت، وأنهم سوف يعودون إلى الوطن، فأفزع الأمر الإسكندر فجمع قادة جيشه، والدموع تملأ مآقيه وأنكر عليهم التفكير بالتوقف وحملته المظفرة مازالت في منتصف الطريق، على حد رواية المؤرخ الروماني كورتيوس من القرن الأول الميلادي: وفيما بعد اختار الإسكندر نبلاء من أسرى الفرس لتدريبهم من أجل إدارة المناطق التي تم له الاستيلاء عليها؛ وقد أبدى المقدونيون تحفظاتهم

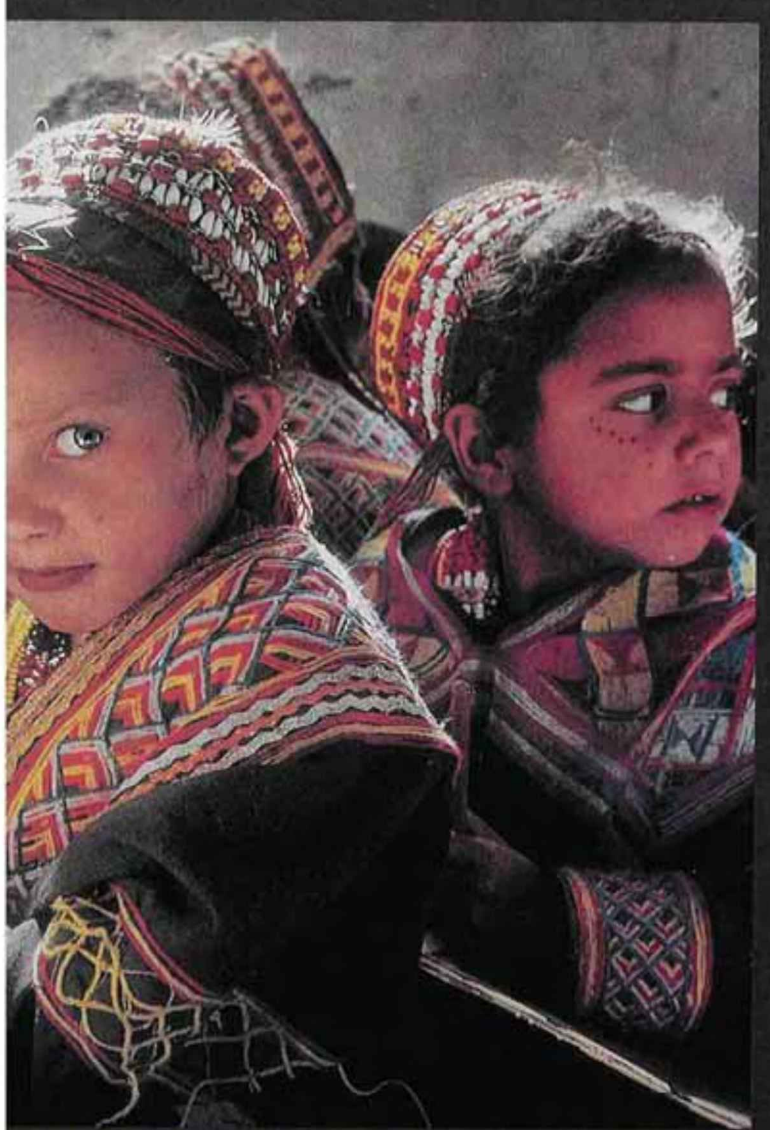
ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

تجاه ذلك؛ وكان منشغلاً بدهاء في إعداد مساعدين جدد له للمرحلة المقبلة من حملته المتواصلة. وتحول انتباه الإسكندر نحو المزيد من الفتوحات الآسيوية وإخضاع بيسوس المتمرد الذي انسحب من جبال بخارى الوعرة إلى صوغديانا المجاورة؛ واستمرت مطاردته لبيسوس سنة كاملة، ووصل إلى التخوم الشمالية الوعرة والمجهولة للإمبراطورية الفارسية؛ وقد أخذ الوهن يدب في رجاله من التعرض لأثر الصقيع القارس والإجهاد والمرض والحرارة؛ وشعروا بالمرارة لمواصلة المسير عبر الشعاب المحاطة بالثلوج؛ ثم انعطفوا شمالاً وعبروا نهر أكسوس إلى سهول صوغديانا.

وقد عرف العالمُ الإغريقي عن المنطقة الشاسعة التي فتحها الإسكندر من الكتابات السابقة للتجار والدبلوماسيين والجنود، لكن معرفة جغرافيا البلاد وسكانها التي لم يفتحها بعد كانت غامضة ومشوشة.

وقد ألقى حلفاء بيسوس المرعوبون القبض عليه صيف عام ٣٢٩ ق.م، وسلموه إلى الإسكندر الذي أمر بتجريده من ثيابه وتقييده بسارية جانب الطريق تعريضاً له لسخرية الجنود المارين واستهزائهم به، وأخيراً مُثِّل به وبترت أعضاؤه، وهكذا كان مصير ذاك الخائن الفارسي؛ وقصد الإسكندر من معاملة بيسوس بقسوة أن يُري حلفاءه الجدد من الفرس أنه ثأر لداريوس؛ وحمل هذا الحدث دلالة وهي أن الإسكندر هو سيد آسيا بلا منازع. غير أن حملة الإسكندر في وسط آسيا لم تبلغ نهايتها بموت بيسوس؛ لقد طرأ أمر غير متوقع بظهور عدو آخر متحد للإسكندر، وهو سبيتاميس أحد زعماء بخارى، الذي انضم لفرسان البدو القادمين من الشمال، فكانوا يكرون على جنود الإسكندر بسرعة البرق ثم يفرون إلى السهوب؛ وكان أولئك الجنود قد أنهكهم طول المسير؛ وقد توسل قدامى الجنود الذين كانوا قد حاربوا مع والده والمتطوعون التساليون إلى الإسكندر كي يعيدهم إلى أوطانهم.

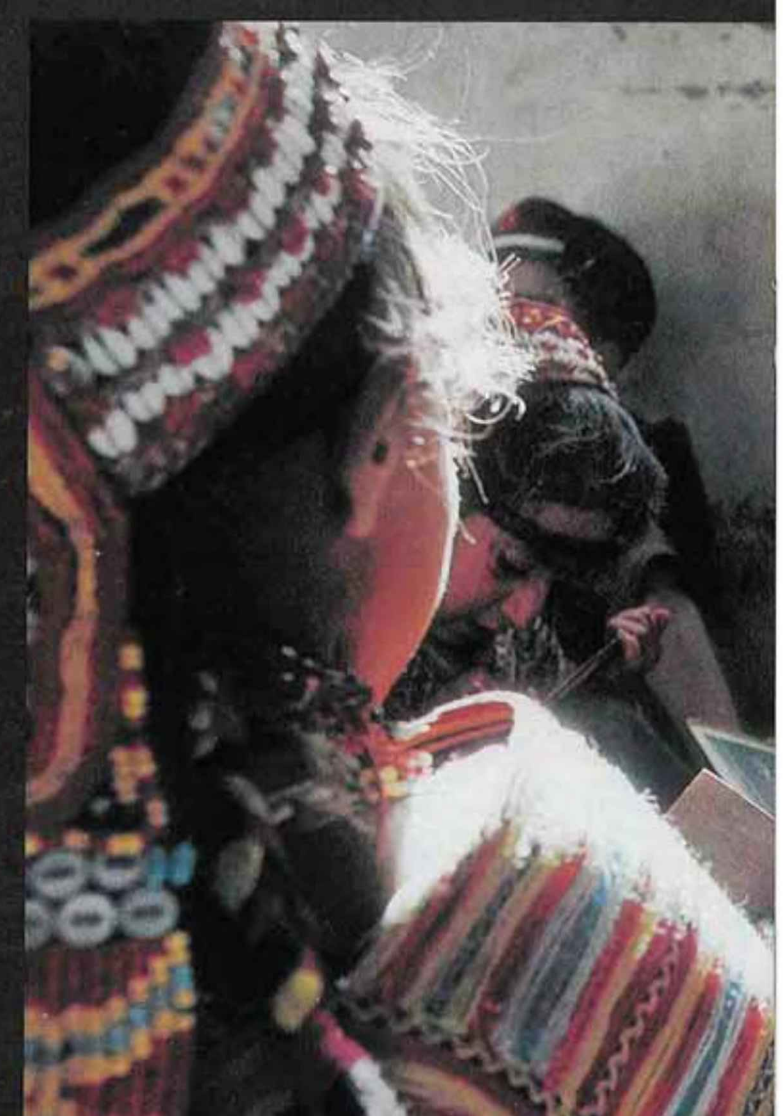
وكان الإسكندر بحاجة إلى تعزيز قواته بالمقاتلين، ولم يكن أمامه خيار آخر سوى إمداد جيشه برجال من البخاريين الذين لم يمض على إخضاعهم له غير فترة وجيزة، وعلق نيكولاس هاموند من جامعة كامبردج أن الإسكندر قد واصل تعزيز جيشه من رجال الأعداء. وقد تستغرق الكتابة عن قيادته وحنكته في إنجاز تلك المهمة بنجاح المجلدات؛ وعلى الرغم من اختلاف جنسيات جنوده فإن إخلاصهم له جدير بالملاحظة.



تحديقة قوية للتلميذة نسرين بيبي تعكس نظرتها لمستقبل غامض غموض بني قومها الكا

بوادر تمرد

ويترافق مع عبور الإسكندر للتخوم الشمالية للبلاد سلسلة أحداث تشير إلى تحول غامض في شخصيته؛



وهم من الكوش الهنود في شمال غرب الباكستان الذين يدعون أنهم أحفاد جنود الإسكندر

الإسكندر في غارنيكوس، وكاليستينز ابن أخي أرسطو، الذين قضوا جميعاً بالإعدام أو الاغتيال. وفي هيركانيا على البحر الكاسبي (قزوين) Caspian أهدي الإسكندر باغوس الخصي فجعله معشوقه.

ومع أن المقدونيين لم يكونوا يترددون في عقد العلاقات اللوطية، لكن التخنث المفرط لذلك الخصي الوسيم قد ضايقهم؛ ومما ضايقهم أكثر إصرار الإسكندر على استعباد الرعية؛ فالإغريق احتفظوا بتقديم العبادة للآلهة، بينما كان الفرس يسبغونها على ملكهم، فيقدمُ أحدهم على تقبيل الإسكندر والسجود له. كانت مسايرة أذواق الفرس مسألة نفعية (براجماتية) بالنسبة إلى الإسكندر، إذ كان بحاجة إلى إخلاص الفرس ورجالهم لحملته المقبلة، على أن مثل تلك الممارسات المسرفة كانت متوائمة مع اعتقاده أنه متحدّر من الآلهة. وقد روى إفيبوس، وهو كاتب معاصر للإسكندر، بأن المرّ(٦) وأنواعاً من البخور كانت تحرق وتتأرّج تعظيماً له، ويسود جو من الهدوء والصمت المشوبين بالتعظيم والمهابة في حضوره؛ لأنه كان شخصاً دموياً لا يطاق، وعرف عنه أنه كانت تنتابه نوبات سوداوية، وكان يعاقر الخمرة بإسراف.

وفي مستهل عام ٣٢٧ ق.م قبض على سبيتامينز، وطرح أرضاً، وقتله حلفاؤه، وأحضر رأسه إلى الإسكندر كعرض للسلام؛ وفي ربيع العام ذاته كان الإسكندر لايزال منشغلاً في مقارعة المتمردين في بقاع متفرقة، وقد تمكّن من الاستيلاء على أحد الحصون الجبلية للصغديين Sogdians كما تزوج روكسان ابنة القائد الأسير، وتخبر الروايات المدونة أنه قد فتن بجمالها، ولم تكن تتجاوز الاثني عشر ربيعاً من عمرها بعد؛ غير أن هذا الزواج كان أيضاً تحركاً ذرائعياً (براجماتياً)، فقد كسب من خلاله حلفاً قوياً له من هؤلاء الذين كانوا من قبل أعداء مزعجين له؛ وبعد ذلك بوقت قصير اختتم الإسكندر حملته التي استغرقت عامين في وسط آسيا، مخلفاً وراءه سلسلة من المواقع المحصنة التي كانت ترابط فيها قوات إغريقية وأجنبية.

وقامت كاتبة المقالة بدراسة رسد على مسكوكة

فمع تغير تركيبة جيشه أخذت التوترات العنيفة تبرز بين المجندين الجدد والحرس القديم في جيشه، وتبنّى الإسكندر زياً وعادات فارسية معدلة مما أزعج المقدونيين، خاصة وأن الإسكندر قد أصبح شديد الارتياب بمن حوله، فكانوا يخشون أن ينظر إلى موقفهم على أنه عصيان، ولم يكن للعصيان عنده عقاب غير الموت! ولقد سقط عدد من رفاقه ضحايا لشكوكه، ومنهم: بارمينيو العجوز الذي كان القائد المخلص لفيليب، ونجل بارمينيو كذلك، وكليتوس الذي أنقذ حياة

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

صغيرة بالية مقتناة في المتحف البريطاني في لندن؛ وكان الرسم لرجل صغير وهو ممتطٍ جواده العادي وشاهر رمحه على فيل هارب؛ وقد ضربت هذه المسكوكة تخليداً لواحد من أصعب انتصارات الإسكندر وأهمها في المنطقة التي كانت معروفة له باسم الهند (شمال غرب الباكستان حالياً)؛ وتحدد مصادر المعرفة في زمن الإسكندر موقعها قريباً من المحيط الشاسع في أقصى الأرض.

وفي ربيع عام ٣٢٧ ق.م قاد الإسكندر جيشه المكون من نحو خمسة وسبعين ألف جندي، منهم خمسة عشر ألفاً فحسب من المقدونيين مرتداً إلى بلاد الكوش الهنود؛ وبحلول يونيو/حزيران من السنة الثالثة كان قد بلغ ضفاف نهر هيراسبيس (جلوم حالياً). وتأهب لملاقاة واحد من أشد الخصوم الذين واجههم في حياته بأساً. كان بوراس حاكم منطقة البنجاب الواسعة؛ ولم يك طوله يتجاوز سبع أقدام، وكان على رأس قوة منظمة من خمسين ألفاً من المشاة والفرسان والفيلة التي كانت تهابها جياد المقدونيين؛ وقف بوراس متربصاً في موقعه الدفاعي ينتظر مواجهة جيش الإسكندر؛ وكان يعتلي ظهر أحد الفيلة الذي بدا أطول من الحيوانات الأخرى كافة على حد رواية كورتيوس؛ ويلفت درعه المرصع بالذهب والفضة الانتباه إلى بنية جسمه البادن الفريد. وعلى مرأى من عدوه اليقظ، قرر الإسكندر أن يثير أكبر قدر من الإرباك، فأخذ ينشر جنوده على أعالي ضفة النهر وأسافلها وكأنه كان يتأهب للتحرك ضد العدو، وأوقدت نيران مخيمات الجند على نحو غير مألوف؛ ظن الهنود المراقبون أن المقدونيين يبدون باستمرار أنهم على وشك القيام بتحرك حاسم؛ أخيراً شعر بوراس بالملل من طول المراقبة والحذر من مظاهر غير حقيقية لهجوم مباغت، فسحب عدداً من العسس؛ وعندها وجد الإسكندر فرصته المواتية لمهاجمة بوراس؛ وكان جنود



آثار هيكل زيوس - آمون طريحة في صمت مطبق في واحة سيوة المصرية، ويبدو أحد الحراس يوقد النار في أحد الممرات التي سلكها الإسكندر ذات يوم



خريطة توضح المناطق التي غزاها الإسكندر

الاستطلاع لديه قد اكتشفوا منطقة العبور الملائمة للنهر على بعد سبعة عشر ميلاً، حيث تقع جزيرة مشجرة تواريها عن الأنظار، وقسم الإسكندر قواته ثلاثة أقسام منفصلة؛ وقاد الإسكندر العبور تحت جنح الظلام، وساعد على إخفاء تحركاته العواصف الرعدية الشديدة؛ وتواجه مع بوراس عند الفجر؛ وكان الإسكندر قد أخفى عدداً من فرسانه، وقاد الباقين في الهجوم، محاولاً خداع بوراس ليظن أن من اليسير عليه تحقيق فوز خاطف ضد مهاجميه، فانبرى لمواجهتهم وقد انطلت عليه حيلة الإسكندر، فبرز فرسان الإسكندر الذين كانوا مختبئين وكرّوا على بوراس جنبًا إلى جانب مع الإسكندر وجنده؛ وتمكّن المقدونيون وسط ميدان القتال الوحل والمطر المنهمر وصرخات الأفيال المدوية من محاصرة بوراس الذي جرح وحاول التراجع ببطء على فيله، غير أنه تم إلقاء القبض عليه بعد وقت قصير؛ ولما مثّل بين يدي الإسكندر، سأله كيف يحبُ أن يُعامل، فأجاب ببساطة أنه يحب أن يعامل معاملة الملوك؛ وقد أدرك الإسكندر مقصده، وأعاده إلى مملكته شريطة أن يقدم الولاء للإسكندر، ونفد صبر الإسكندر من مواصلة المسير تحقيقًا لغايته التي أغري بها وهي بلوغ أقصى أطراف



تمثال حجري لرأس إله ضخم يطل من قبر في الثلج على معالم «غرود داغ» في تركيا، وقد بنى أنطيوخيوس هذا المقام الغريب وزينه بتماثيل من مزيج شاذ من الآلهة الإغريقية والفارسية

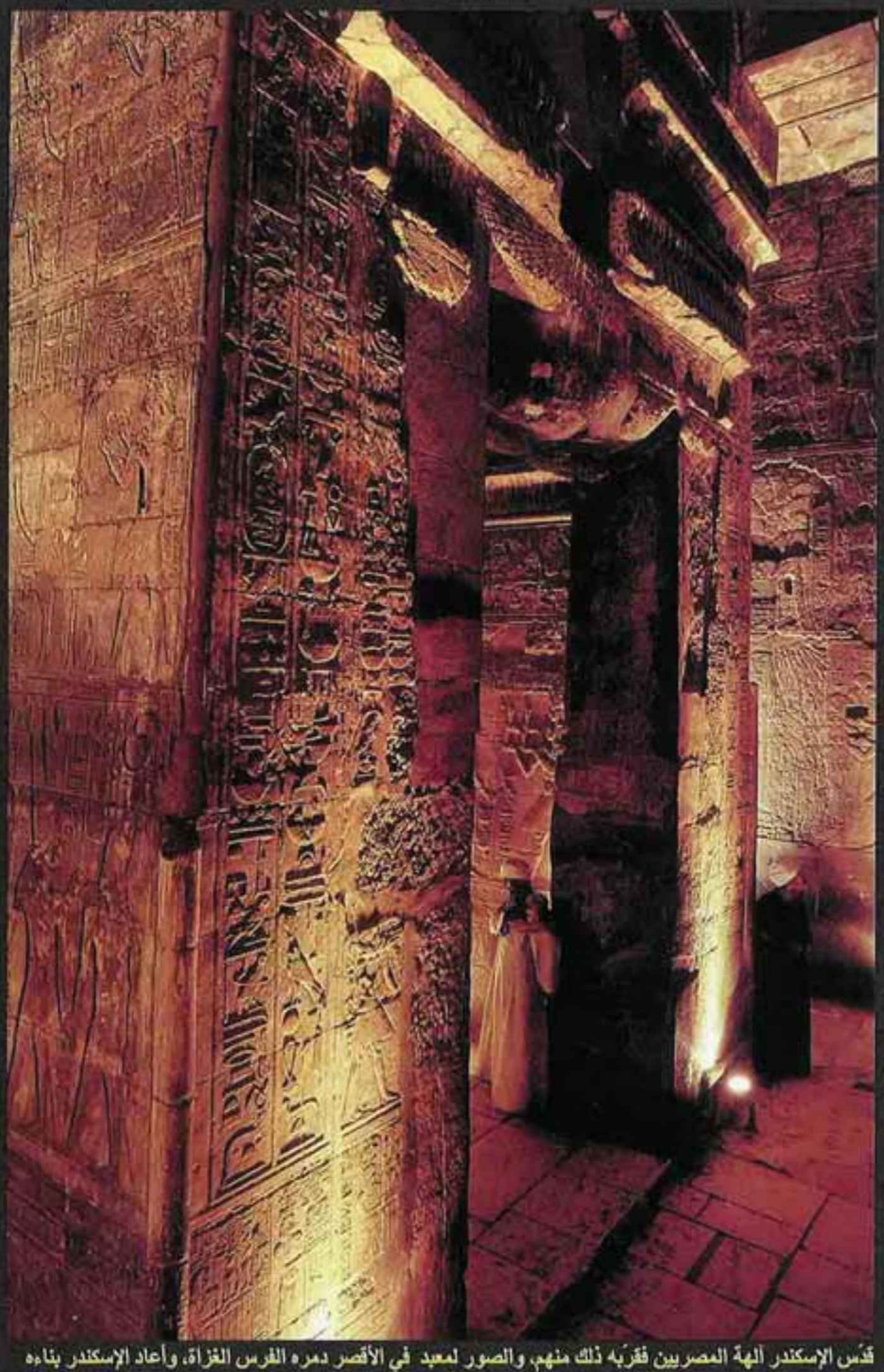
الأرض (نهاية العالم)؛ فتوقف لتأسيس مدينة بوسيفالا ذكرى لجواده الأثير لديه، والذي قضى بُعَيْد المعركة للجراح التي أثخنته أو لكبر سنّه؛ ورافق ذاك الجواد الإسكندر منذ طفولته. وبحلول فصل الرياح الموسمية، تسبب سقوط المطر المتواصل في حدوث الإرباك في صفوف جنود الإسكندر؛ وعلى ضفاف نهر هيفاسيز (بيس حاليًا) شرقًا تمرّد جنود الإسكندر، وأعلنوا عصيانهم واضعين حداً لحلم الإسكندر الذي راوده بالسيطرة على العالم؛ وقد أخبر بيتر جرين كاتبة المقالة

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

أن الإسكندر كان يجهل جغرافية العالم؛ ولطالما أخبر رجاله أنهم قادمون على جبل، ويفاجأ أنه على مشارف سهول ممتدة أمامه.

كان الجغرافيون مخطئين، إذ لم تبد للعيان نهاية للعالم. أثقل جنود الإسكندر الإجهادُ والجراحُ وكابوسُ الذكريات المريرة عن الفيلة التي تصرخ بصخب في ميدان القتال الموحل المترع بالدماء، وقاموا بعصيان أوامره أول وآخر مرة؛ وكانت ردة فعل الإسكندر إزاء ذلك مستوحاة من تصرف أخيل في الإلياذة؛ فقد شعر بالحنق والكآبة فدخل خيمته وبقي فيها ثلاثة أيام؛ ولما رأى أن رجاله لم يتزحزحوا عن موقفهم، برز من خيمته ليستشير الكهنة، فأشاروا عليه بالرأي الصائب أن عليه أن يقفل راجعاً؛ والإسكندر يقدمُ الطاعة للآلهة وليس للبشر. عاد الإسكندر إلى فارس وكانت تصرفاته في غاية الغيظ والوحشية؛ حرص أن ينشئ مواقع محصنة للإغريق على امتداد الطريق، وكان يبيد إبادة تامة كل من تصدى لمقاومته؛ أدرك في وقت متأخر أن العالم أوسع من أن يسيطر عليه، فكان يحطم كل شيء يعترض طريقه. وقال باديان من جامعة هارفارد: إن الإسكندر لم يخلف أثرا باقيا في الهند، وبموته ضاعت مكاسب حملته عليها.

قام الإسكندر بتقسيم جيشه قسمين في موقع شمال مدينة كراتشي الحالية، فقاد أحدهما صديق طفولته نيركوس الذي أبحر بالجنود من المحيط الهندي عابرا الخليج العربي،



قدّس الإسكندر آلهة المصريين فقرّبه ذلك منهم، والصور لمعبد في الأقصر دمره الفرس الغزاة، وأعاد الإسكندر بناءه

بينما قاد هو القسم الآخر عبر صحراء جِدْروزيا -Ge drosia الممتدة عبر أجزاء من باكستان وإيران؛ كان معه القليل من المؤونة لرجاله، والعلف لخيوله، وكان الماء شحيحًا أو غير صالح للشرب، وتهاوى عدد من رجاله وحاشيته في الطريق؛ وكان هذا التقهقر قد كلفه حياة الكثيرين؛ فمن بين خمسة وثمانين ألف جندي إضافة إلى قافلة البضائع عبروا الصحراء، لم يخرج منها سوى خمسة وعشرين ألف جندي فحسب!

وحدث خلال هذا التقهقر ما عدّه المؤرخون من أنبل فعال الإسكندر؛ فقد عثر جنود الاستطلاع على وشل فيه ماء مويلح، فأحضروا في خوذة أحدهم الماء لمليكهم، غير أن الإسكندر قد أخذ الخوذة المملوءة بالماء، وصب الماء على الأرض على مرأى من جنوده، وعلق آريان أن الإسكندر قد أبى أن ينفرد بشرب الماء دون جنوده!

وذكرت كاتبة المقالة أنها زارت إيران، وفي إحدى أمسيات شهر أغسطس/آب وصلت إلى الأهواز، وهي مدينة في الصحراء الإيرانية قريبة من الحدود العراقية؛ كانت درجة الحرارة في السادسة مساء قد بلغت ١٢٠ ف؛ وعلى بعد ستين ميلاً شمال المدينة تقع خرائب سوسه، العاصمة الشتوية للإمبراطورية الفارسية؛ إنها الآن موقع دارس، وقد طمرت فيها أساسات القصر الطيني المتهدم، بتربتها البنية التي تجمعت فيها الأعشاب الخضراء، وبرزت من شقوقها الشجيرات. كما بدت من بقايا القصر ألواح حجارية والقطع الكبيرة المتناثرة لأعمدته المجوفة.

اجتاز الإسكندر الصحراء وعاد إلى سوسة في مارس/آذار عام ٣٢٤ق.م؛ وبعد ذلك بوقت قصير استقبل بالترحاب وصول ثلاثين ألفًا من نبلاء شباب الفرس؛ وأصدر تعليماته بأن يُعلّموا اللسان اليوناني، وأساليب القتال المقدونية؛ وعدَّهم خلفًا بديلاً لمرافقيه المقدونيين المسنين؛ وفي الفصل نفسه، نظم الإسكندر حفل زواج جماعي له ولأكثر من ثمانين ضابطًا مقدونيًا من سيدات فارسيات؛ وتزوج هو نفسه من اثنتين، إحداهما ابنة داريوس؛ وقد غدت بلاد فارس وقتذاك، وليس اليونان، قاعدة عملياته الحربية؛ وعلى الرغم من توقف تقدمه عند نهر هيفاسير، فإن طموحه الحربي بقي متأججًا؛ وشرع يضع الخطط لغزو شبه الجزيرة العربية، وربما قرطاجة أيضًا، وإيطاليا.

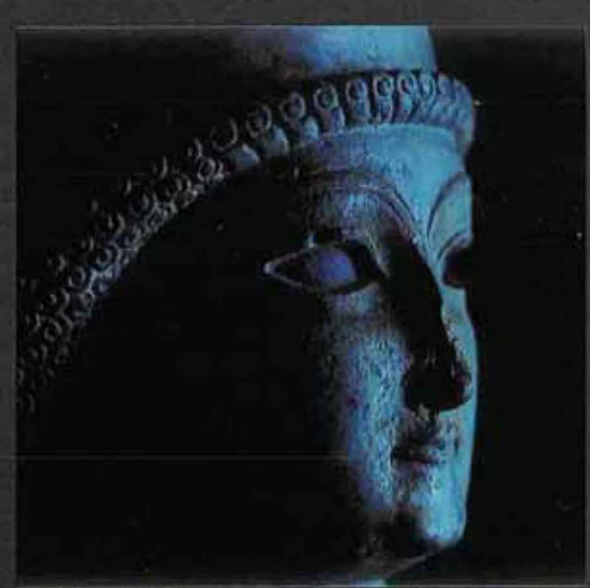


قاد الإسكندر جيشه لغزو آسيا الصغرى في عام ٣٣٤ق.م لتحرير المدن الإغريقية من الفرس، وأظهر جنوده العصيان في الهند، فتراجع، ومات في بابل عام ٣٢٣ق.م

وفي خريف ذات العام، وبينا كان في إكباتانا ألم مرض عضال بصديق الطفولة هيفايستون وقضى فيه. فحزن الإسكندر على موته حزنا عميقا؛ فقد كانت مكانة هيفايستون بالنسبة إليه، مثل مكانة باتروكلوس بالنسبة إلى أخيل؛ وحزنه على فقد صديقه حزن البطل؛ وقد قام بصلب الطبيب التَعِس لهيفايستون. وفي الوقت ذاته ساءت صحة الإسكندر نفسه نتيجة لجرح موجع أصابه في صدره في الهند؛ وهذا الجرح واحد من جملة الأذى في جسده؛ وكانت حالته النفسية متقلبة، كما كانت تعتريه نوبات سكر خطيرة.

وفي مستهل عام ٣٢٣ ق.م، انطلق الإسكندر قاصدا بابل استعدادا لحملته على شبه الجزيرة

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني



العيون اللازوردية لهذا الأمير الأخميني توضح الآثار المرعبة التي لحقت بمدينته «بيرسبوليس»

العربية؛ وفي مأدبة أقيمت في التاسع والعشرين من مايو/أيار عام ٣٢٣ ق.م. أصيب بألم مبرح في بطنه اضطره إلى أن يأوي إلى حجرته؛ ولازمته الحمى أسبوعين بعدها؛ ومع أنه كان بوسعه أن يقدم خلالها القرابين للآلهة، وأن ينجز من الأعمال ما يشاء بين الوقت والآخر، إلا أنه لم يغادر فراشه؛ وأصاب البلع جنوده لسريان إشاعة بينهم أنه قد اخترمته المنية، فأصروا على مشاهدته مباشرة. ويذكر أريان أنه ما كان هناك شيء يحول دون رؤيتهم للإسكندر، وقد شعروا جميعاً بالأسى لما ألمّ به، ومجرد التفكير في فقد مليكهم أمر مربك محير لهم. كان الإسكندر مستلقياً صامتاً، وحاول أن يرفع رأسه والجموع مصطفة محتشدة حوله، وظهر من نظراته وكأنه كان يعرف كل واحد منهم عند مروره به؛ وفارق الإسكندر الحياة في العاشر من يونيو/حزيران عام ٣٢٣ ق.م.

ويعزو العلم الحديث موته إلى أسباب متباينة كالإسراف في معاقرة الخمور، أو الملاريا، أو القرحة؛ ورأى بعض العلماء حديثاً من دراسة أعراض مرضه أنه أصيب بنوع نادر من حُمّى التيفوئيد المعروف بالشلل التصاعدي؛ وإذا صدق هذا التشخيص، فيعد الإسكندر ميتاً إكلينيكياً قبل وفاته الحقيقية ببعض الوقت، وهو على مشارف الثالثة والثلاثين من عمره الحافل.

وبعد مرور قرون على موت الإسكندر، عبّر الإمبراطور الروماني أوغسطوس عن دهشته أن الإسكندر أولى عنايته لتوسيع إمبراطوريته، وليس لتنظيمها؛ غير أن الطموح المتقد للإسكندر كان منصباً على إنجاز الفتوحات وليس على إدارة البلاد المفتوحة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الخلفية الثقافية للشرق قد تغيرت في أعقاب فتوحاته، وإن موته وسم بداية عهد جديد.

إن العصر الهيليني الذي ساد أثره الثقافة واللغة الإغريقية على امتداد الشرق قد استمر من سنة وفاته حتى سقوط مصر البطلمية بيد الرومان عام ٣١ق.م.

ويجدر الإشارة إلى أن الإسكندر قد أقام نصباً تذكارياً عظيماً يخلد حملته قبل عودته ومغادرته لضفاف نهر هيفاسيز. ولم يكتشف بعد أي أثر لذلك النصب، وكان مكوناً من اثني عشر مذبحاً لمجموعة مختارة من الآلهة الإغريقية والشرقية، ومسلة من الصفر سُجِّل عليها الكلمات البسيطة الآتية: «توقف الإسكندر هنا».

الهوامش

* بإذن خاص لمجلة «الفيصل» من National Geographic عدد مارس/ آذار ٢٠٠٠م.
١. الباخوسية: إحدى كاهنات باخوس، إله الخمر، أو عابداته. وورد في بعض المصادر أنها دبرت مقتل زوجها فيليب الثاني.
٢. قرأها الإسكندر وأعجب بسيرة بطلها أخيل (أخيلوس)، وخلدت الإلياذة بطولته، وعدّه هوميروس أشجع الإغريق الذين غزوا طروادة.
٣. الموحى أي مكان الوحي. هيكل يهبط فيه الجواب الإلهي عن السؤال الذي يوجه إلى وسيط الوحي، وهو كاهن أو كاهنة عند الإغريق يعتقد أن الإله يجيب بواسطته عن السؤال المتصل بأمر من أمور الغيب.
٤. معطف قصير يطرح على الكتف، وكان يرتديه جنود الإغريق وفرسانهم.
٥. التالنت: وحدة وزن أو نقد قديمة.
٦. المر: صمغ راتينجي يستخرج من شجرة المر.
مصادر الصور: مجلة الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية وأرشيف «الفيصل».

الألوان تقول كلمتها...

كاري ولينسكي

ترجمة: سعد بساطة

حلب - سورية



يعرض نبـات السمّاق أوراقـه فـي مطلع كل خريف كلوحـة ألوان متـأججة، وكـأنه يتنافس مع نبات البتولا وخـشب القيقب، تزول الألوان بعدها بأيام قليلة شأنها شـأن زرقة السماء في شـهـر أكـتـوبر/تشرين الأول، أو شـأن اللون البرتقالي الدافئ، لون نيران الشتاء.

ولعل الطبيعة هي التي حرضت البشر قديماً على اكتشاف طرائق لصنع الألوان، والاحتفاظ بها، علماً أن بعض ألوان الطبيعة قد لا يدوم سوى يوم واحد أو أقل.

لقد راقب القدماء كيف تسوّد نيرانهم جدران الكهوف التي يقطنونها، وكذا الجدران المجصصة بأكسيد الحديد المائي الطبيعي بألوانه المتراوحة بين الأصفر والأحمر.

لقد جربوا الألوان الناتجة من الأصداف، والحشرات، والزهور، والجذور، وبغية التشبه بالحيوانات فإنهم عمدوا إلى

تلوين أجسادهم لإظهار نية الهجوم، أو للاختفاء وتمويه ذاتهم ضد الأخطار المحدقة، أو حتى لجذب رفيق من الجنس الآخر.

أما مصادر الألوان فقد تم حفظها سراً وذلك بسبب الغيرة المتبادلة بين الصناع المختلفين، وكانت الأصبغة من الأرجوان والزعفران أو الأزرق البحري فيما مضى تساوي وزنها ذهباً.

وقد بنيت بعض المدن القديمة على ثروات تكونت جزئياً من صنع الصباغ الأرجواني المستخرج من نوع من الرخويات، والطريف أن المراجع تحدثنا عن رجل أعدم في ما مضى وذلك بحرقه بنيران تأججت في المواد التي تجرأ وصنعها تقليداً للزعفران، أما الأزرق المستخرج من اللازورد، فقد تم حفظه بوقار ضمن فنون فترة النهضة وذلك لتلوين أردية مريم العذراء.

كان طالب الكيمياء البريطاني ذو التاسعة عشرة من عمره هو أول من ركّب الأصبغة بشكل صنعي في القرن التاسع عشر، بعدها بدا الكون أكثر إشراقاً بألوانه المتزاحمة.

أما الأخوان لومبير فقاما في باريس في عام ١٩٠٧م بتغطية الفيلم بحبيبات دقيقة من نشاء الذرة المصبوغ، وعندها ازدهر التصوير الملون.

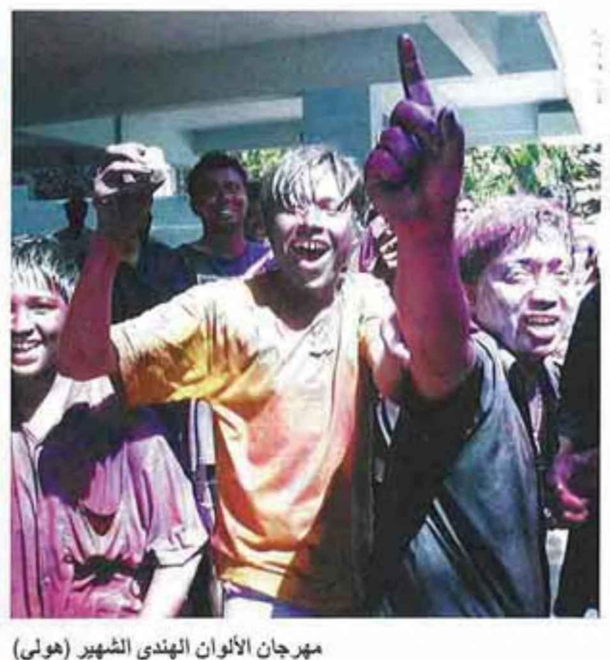
أضفى التلفزيون الملون عام ١٩٢٥م في لندن - على الرغم من كونه بدائياً - ظلا من الألوان على كل غرف الجلوس في حينها، وعندما اكتشف العلماء التأثير النفسي للألوان، قام خبراء التسويق بجذب الزبائن مستخدمين أحدث تدرجات الألوان ضمن الأزياء ومواد الزينة والتجميل والسيارات، وتابعت الحاسبات عملية البحث محاكية الطبيعة في ألوانها بمزج الألوان، مما أنتج تدرّجات مختلفة يصل تعدادها إلى الآلاف وحتى الملايين.

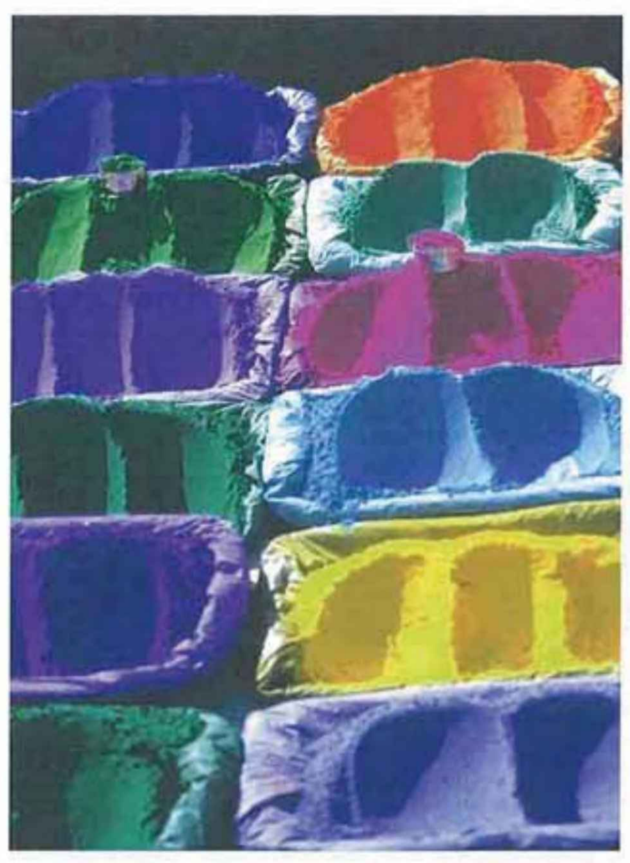
حول طبيعة الألوان

دارت المناظرات طويلاً بين الفلاسفة والفنانين وأصحاب الطقوس الباطنية والعلماء حول طبيعة الألوان،



جناحا الفراشة.. هل هما من دون لون في الأصل؟!


مهرجان الألوان الهندي الشهير (هولي)



ودرّس منجمو الهند وفلكيوها طلابهم لأكثر من ألف عام بأن ضوء الشمس الأبيض هو نتاج مجموع كل الألوان، إن الشمس عندهم هي تشخيص للثريا الإلهية، المصدر الوحيد للحياة، وحاكمة الأجسام السماوية الثمانية الأخرى، حيث ترسل كل منها لوناً وحيداً نقياً إلى الأرض، مما يؤثر في مصير كل كائن حي.

كانت الألوان بنظرهم مرتبطة بالأحجار الثمينة: عين الهر، والزبرجد، والمرجان، والياقوت الأزرق، واللؤلؤ، والزمرد، والألماس، والياقوت الأحمر.

أما في المجتمعات الغربية فقد سيطر اعتقاد أرسطو بأن كل الألوان تتكون بمزج الأسود والأبيض وذلك حتى بدايات القرن السابع عشر، وحتى ليوناردو دافنتشي لم يتوصل إلى الحقيقة وروي عنه قوله في أوقات متباينة بأن هناك ستة ألوان أساسية مختلفة، أو ثمانية.

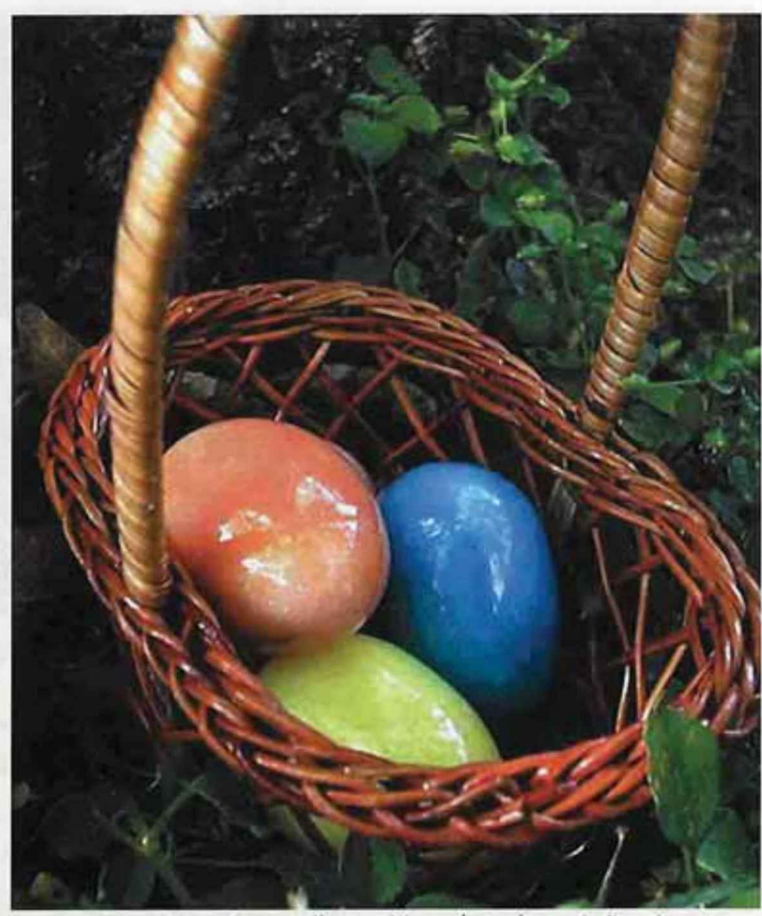
أما في العام ١٦١٣م، فقد صرح راهب الجيزويت فرنسوا داجيون بأن هناك ثلاثة ألوان أساسية: الأحمر، والأصفر، والأزرق، وهذه تجتمع مع الأبيض والأسود لتكوين الألوان كافة.

وفي العام ١٦٧٢م كتب السير إسحق نيوتن بمعرض إعلان النظرية الجديدة حول الضوء والألوان: «لقد صنعت موشوراً ثلاثياً من الزجاج لتجربة حادثة الألوان وذلك بتمرير حزمة من ضوء الشمس من خلال الموشور»، وبذلك أثبت نيوتن بأن اللون الأبيض كان مكوناً من ألوان الطيف المرئية كلها، ويمكن إعادة تجميعها لتكوين اللون الأبيض من جديد. لقد ساعدت أفكاره على إطلاق حقبة البصريات الحديثة. ثمة من يقول إن ابن الهيثم قد أثبت ذلك قبل نيوتن بقرون.

«ألحان» أرضية

كوّن البشر القدماء ألواناً ثابتة باستخدام خضاب طبيعي، فقد استخدم الرسامون في كهوف العصر الحجري مواد معدنية كثيرة من ضمنها ثاني أكسيد المنجنيز المائل للسواد بالإضافة إلى أكسيد الحديد المائي بلونيه الأحمر والأصفر، وكان اللازورد ومشتقاته يطحن لتشكيل الأصبغة النادرة ومنها الأزرق الملكي.

وحتى في وقتنا الحاضر فإن قطعا من الزبرجد الزيتوني، المركب النحاسي المكتشف في منجم بأريزونا،



تلوين البيض يرتبط عند كثير من الشعوب بطقوس ومناسبات لها دلالاتها

ماتزال ترسل إلى ألمانيا حيث تسحق لاستخدامها في صنع أصبغة للفنانين.

أما الألوان المصنعة كيماوياً التي تعكس أطول موجات محددة من الضوء فإنها تلبي الحاجات التجارية لطلاء السيارات، وصبغ النسيج، واللدائن.

تنويعات لونية

والطريف أن اللون الأحمر الصنعي الغالي يخدم التقاليد، إذ يمدد بالماء مع نشاء الذرة على سطح بيت في نيودلهي لاستخدامه في المهرجانات.

قامت شركة هومير لانينفي في العام ١٩٣٦م بصنع معدات مائدة احتفالية حمراء اللون باستخدام أكسيد اليورانيوم، وقد توقف إنتاج هذا اللون مؤقتاً في العام ١٩٤٣م عندما استولت حكومة الولايات المتحدة على اليورانيوم للمجهود الحربي، وتم إلغاء الصنف في عام ١٩٧٢م.

ويسرع اللون الأحمر دقات قلب كثير من أصناف الحيوانات بما فيها البشر، ويسبب إفراز الأدرينالين. يستجيب الرجال في الولايات المتحدة بشكل أقوى للأحمر المزوج بالأصفر، بينما تفضل النساء هناك الأحمر ذا القاعدة الزرقاء.

كمايستخدم الشريط الأحمر والذي أصبح رمزاً للبيروقراطية والتعقيدات المرتبطة بها لتغليف المراسلات بين العاملين بالقانون في بريطانيا.

ولون الفوشيا، الذي اخترع عام ١٨٥٩م، وسمي Magenta على شرف انتصار نابليون الثالث على النمسا في مدينة ماجنتا النمساوية، هو أحد أربعة أحبار أساسية تستخدم في الطباعة الملونة.

مايزال السناج (الشحوار) المندفع من مداخن المدافئ التي تستخدم الخشب المتفحم، مستعملا من أجل صباغة الصوف في مناطق كثيرة باسكوتلندة، وهو ينتج ألواناً تتدرج من الأصفر البيج إلى البني الغامق.

وقد مزج الإغريق القدماء الصباغات بالشمع الساخن لتلوين سفنهم الحربية، وقد استخدم الأسلوب نفسه لاحقاً خلال الحقبة الرومانية، من أجل اللوحات التي وضعت على المومياوات الفرعونية في منطقة الفيوم بمصر، وما تزال ألوانها براقة حتى الآن.

ويلون صانعو الأجبان التقليدية مثل الجبن السويسري (التشيدر، الفودا) منتجاتهم كي تحافظ على شكل تسويقي ثابت، إلا أن رغبات الزبائن تختلف: يحب أمريكيو الغرب أجبانهم بلون برتقالي، في حين يبدو أن الأصفر الكاشف هو المفضل في الساحل الشرقي.

أما الكرايولا: فهي أقلام ملونة حيث «كري» الفرنسية تعني طباشير، و«أولا» تعني زيتي، إن البرافين والألوان هي المكونات الرئيسة لأكثر من مليونين من أقلام الكرايولا التي تنتج سنوياً.

وقد تسببت البراغيث في قصر لويس الرابع عشر

بنوبات مرض للسيدات، ولكن لأن لونها كان هو اللون المفضل لدى ماري أنطوانيت، لذا تم تخليده، حيث كوّن الصباغون ألواناً متدرجة تدعى: بطن البرغوث، فخذ البرغوث، والبرغوث الأحمر.

هل ترغب في المحافظة على اللون؟ تقوم مجموعة وذرنغ لخدمات الطقس بتعريض المرج الاصطناعي إلى ضوء الشمس المركز والحرارة في صحراء أريزونا، وهذه المؤسسة تقوم بأبحاث حول سرعة تغير لون المنتجات.

وكانت المومياوات الغنية بالأصباغ البنية تطحن، وقد لاقت شعبية عند الرسامين الأوربيين في القرون الثلاثة الأخيرة.



تختلف أذواق الشعوب حول ألوان الأجبان

وتبنت شركة كامبل الأمريكية لصنع الحساء اللون الأحمر في العام ١٨٩٨م، بعد أن استلهمته من الرداء الأبيض والأحمر لفريق الكرة بجامعة كورنيل، ويسجل اليوم كثير من الشركات نقاطاً عالية عند المستهلك باستعمالها اللون الأحمر، مما يكوّن شعوراً بالتقدم باتجاه الزبون.

يروى عن الرسام بيير أوغست رينوار قوله «لا يوجد في الطبيعة لون أبيض»، فالثلج حديث الهطل يعكس تقريباً كل الأضواء العرضية. أما جرف النهر الذي تنحته الريح فتعكس جيوبه المتكونة زرقة السماء، كما تعكس سلاسل الجبال لون غروب الشمس البرتقالي.

ويجادل بعض الناس حول درجة صفار مح البيض، ولإرضاء رغبات المستهلك الألماني، يطعم المنتجون دواجنهم البتلات الصفراء والفليفلة لزيادة تركيز صفار المح.

ويتم إنتاج الأصفر الهندي (وهو صباغ للفنانين) في الهند من التربة المشبعة ببول البقر المعلوف بأغصان ثمار المانجو، وقد عدّ هذا خرقاً للقانون لاحقاً، لأن تلك الأغصان تسبب مرضاً للحيوان المقدس.

وعندما تلمح الدواجن الدماء فإنها تهاجم بوحشية وتنقر. والعدسات اللاصقة الحمراء تمنع الدواجن من رؤية ذلك اللون ومن ثم من الاقتتال فيما بينها، وهذه العدسات هي موضع بحث ودراسة لدى تجربتها عند ١٠٠ر٠٠٠ من الدواجن في الولايات المتحدة.

هل تملك لوناً؟ أجابت عن هذا السؤال المحكمة حين سمحت في عام ١٩٨٥م لشركة أوين كورنينغ أن تسجل علامة فارقة وردية من أجل العزل بالفيبر الزجاجي. أما نوترا سويت فقد حظر عليها حق احتكار اللون الباستيلي الأزرق من أجل عبواتها من بديل السكر.

زعفران وبرتقال

الزعفران، إنها الحبوب المجففة من زهرة كروكس ماتيفوس، وهي أغلى توابل العالم، يدعى اللون ريسوتو الميلاني (نسبة لميلانو) وهو الأصفر الذهبي، إن ١٤ر٠٠٠ حبة تنتج أونصة واحدة من الزعفران.

والبرتقالي أي لون البرتقال، كان يعاني أزمة الهوية، إذ لم يكن له اسم باللغات الأوربية، حتى وصلت فاكهة البرتقال من آسيا، حيث تم اشتقاق اسم البرتقال «أورانج»، في اللغات الغربية من السنسكريتية نارانجا.

أصباغ

أما ويليام بيركن، الطالب الإنجليزي الشاب، فقد أصبح أول من أنتج في عام ١٨٥٧م أصباغاً صنعية، وذلك بعد أن اكتشف الأصباغ عند محاولته لتركيب الكينين وتصنيعه من قطران الفحم، كعلاج للملاريا.

ويستخدم صانعو الحلوى ألواناً مصنعة بشكل ميكروي لتجنب تلطيخ اللسان. أما في البلدان النامية فإن بعض الناس يرغبون بفم ملطخ بالأصباغ، والسبب هو التباهي بالمدخول العالي.

ويتكون لون أغلب الحيوانات والنباتات من الأصباغ، ولكن الأزرق في جناحي فراشة مورفوريتينور يأتي من انعكاس الضوء وما يسببه ذلك من تغيرات ميكروسكوبية في المادة المكونة للجناحين اللذين هما من دون لون في الأصل.

آثار ملكية

تعزو الأساطير اكتشاف اللون الأرجواني إلى الإله الفينيقي «ميلكارث»، حيث قام كلبه بعض صدفة على الشاطئ، فانقلب لون فمه إلى الأحمر الأرجواني.

وأونصة من الصباغ المستخرج من أصداف البحر (موريكس برانداريس) والمصممة لصبغ الملابس الملكية تحتاج إلى عشرات الألوف من الرخويات.

وعلى الرغم من أن الأرجواني الصوري لم يعد مستخدماً في عصرنا، إلا أن عمليات الصباغ بواسطة أصداف البحر ماتزال سارية في أوكساكا بالمكسيك.

وتجمع الرخويات من نوع بوربورا من بين الصخور في الشتاء، ويقوم جامعو المحار بصباغ الخيوط في المكان نفسه مستخدمين إفرازات الرخويات، وتروي كتب التاريخ أن الأقمشة المصبوغة بهذه الطريقة كانت تقدم كإتاوة لحكام الآزتك.

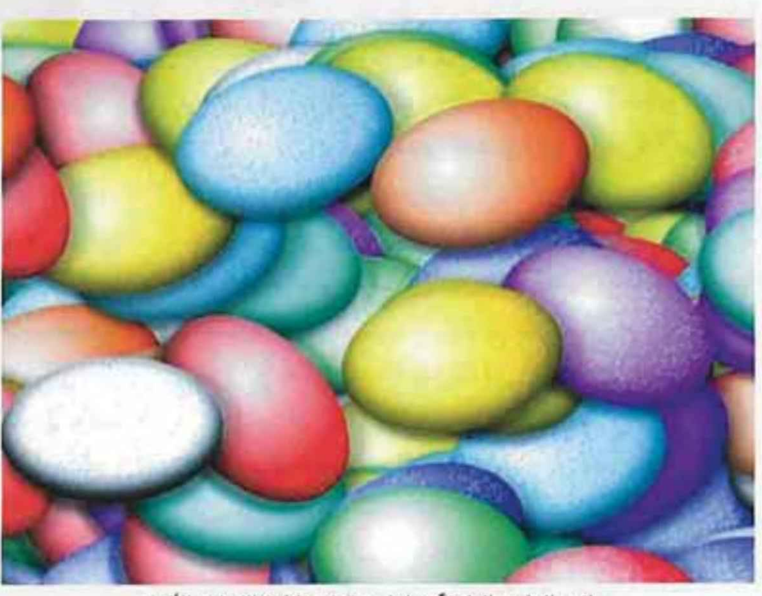
ومع أن كثيراً من أعمال الصباغ التقليدي الآنفة الذكر توقفت حالياً إلا أن إنتاج اللون القرمزي الطبيعي مستمر في جزر الكناري، حيث يتم حقن الصبار المضيف بحشرات حمراء فاتحة، وهذه بدورها تحيط نفسها بغلاف منسوج من القطن وتقتات على الصبار المضيف. يتم جمع المحصول قبل فقس البيوض، على أن يجري بعدها تجفيف الحشرات وسحقها لاستخراج الصباغ الملوّن.

وتروي المراجع أن الفاتحين الأسبان جنوا ثروات كبيرة، بسبب الطلب الكبير على اللون، حيث احتكروا هذه المادة حتى نهايات القرن الثامن عشر، حين اخترق الفرنسيون والإنجليز الحظر وبدؤوا الإنتاج لمصلحتهم الخاصة.

وباستخدام لمسات من الألوان بشكل فني تتحول حبيبات الـ «بي في سي» (التي



تفتنّ الحيوانات في التخفي من أعدائها وفريستها بتغيير ألوانها



صانعو الحلوى الملونة يحاولون تجنب تلطيخ اللسان بالألوان

البعيد، لتحريض نبات البندورة على النمو. عندها تكبر حبات البندورة أكثر وتنضج أسرع، أما وضع الطبقات الأرضية بلون آخر فتؤثر في المذاق والمحتويات الغذائية.

عمى ألوان

ولفهم ما يراه المصابون بعمى الألوان، طلب منهم عالم البصريات دافيد هاريس تلوين الشكل باستخدام الكمبيوتر لصورة كانت بالأبيض والأسود، كمحاولة للمطابقة مع الأصل.

ولقد طور هاريس عدسات ذات مرشحات ضوئية خاصة تسمح للدماغ بإعادة ترجمة الألوان، مما يعزز قدرة الرؤية عند المصابين.

ويؤدي تشوه الرؤية إلى إزعاج الكثيرين حيث «تبدو الطريق مسدودة، والأبنية مطبقة، أما السيارات فتتجه مباشرة إلى الناظر»، باستخدام التصوير الحاسوبي، يتمكن الناظر من بناء أعراض هذا المرض أي تناذر أيرلين، وتساعد العدسات الزرقاء التي طورتها الباحثة هيلين أيرلين، على التحكم بهذه التراجيديا.

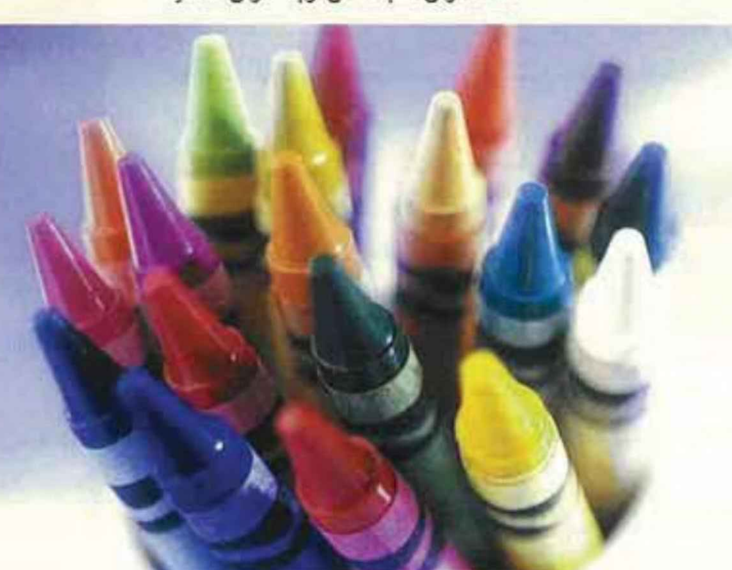
لعبة الاستغماية

ليس جديداً القول: إن لدى الكائنات الحية القدرة على التلوّن بقصد الاختفاء، والقدرة على الرؤية بالألوان، وهذه تمثل نتاج الانتقاء الطبيعي الذي يساعد الحيوانات على بحثها عن القوت ولجذب الشريك، أو للمراوغة من عدو يحاول إيقاع الأذى بها، وكمثال على ذلك خذ العثّاء الرمادية الشاحبة والمعروفة بالاسم اللاتيني «بيستون بيتولاريا» والموجودة على صورة لمدينة شيفيلد البريطانية تعود إلى العام ١٩٣٠م.

خلال الفترة الرعوية، كانت العثاء مختفية بشكل جيد عندما تحط على الأشجار المغطاة بالأشنيات، ولكن بتقدم الصناعة الناشرة للدخان، حط السناج على الأرض، وأصبح تَخَفّي العثاء غير فعال، ومن ثم تناقصت أعدادها



تتألف ألوان الطباعة من أربعة ألوان أساسية



البرافين والألوان هي المكونات الرئيسة لأقلام الكرايولا

تشكل الأساس الذي تصنع منه المنتجات البلاستيكية) إلى نموذج ناطق للوجبة اليابانية «بنتو»، ومثل هذه النماذج تراها معروضة في المطاعم اليابانية بشكل يلفت نظر الرواد والزبائن.

في رأي اختصاصيي الزراعة فإن النباتات «ترى» الأحمر بشكل أفضل مما يراه الإنسان وتستفيد من اللون وتعده إشارة لزيادة النمو، ويستفيد بعض الباحثين من هذه الخاصية، فيستخدم طبقات بلاستيكية تعكس الأحمر

بشكل ملموس، وهكذا ظهر شكل داكن اللون من الصنف ذاته، واندمج مع الأرضية الداكنة وازدهر. ولكن، وبحلول السبعينيات، وعندما أصبح الهواء الإنجليزي أنقى، عادت العثاء ذات اللون الأفتح للظهور والانتشار.

وتلجأ الحيوانات والحشرات إلى اللون لإخفاء أنفسها عن الطريدة، فتندمج النمور مع الظلال والأعشاب العالية. أما العناكب والسرطانات في بورنيو فتقوم بمحاكاة لون براز الطيور، والتي تقتات فريستها المفضلة من أحد أنواع الحشرات عليها. والثعالب القطبية بدورها تعتمد الأسلوب ذاته فتتحول إلى اللون الأبيض عندما يغطي الثلج الطبيعة.



الثلج يعكس كل الأضواء العرضية

والإنسان أيضاً يجيد فن الاختباء والتلون، حيث يوظف جوناثان بولمر ضمن مساحة تبلغ ٨٧ ميلا مربعاً من الأرض العديمة الشجر، خمسة من الصيادين، لمساعدة ضيوفه الراغبين بمطاردة الأيل السكوتلندي الأحمر. يرتدي الكل بزات من التويد ماركة هاريس لغرض تقليدي، هو التخفي وليس الأناقة أو الموضة طبعا. ومن الواضح أن ألوان بزاتهم تمتزج عن بعد مع الأرض ذات المظهر المبرقش بسبب الأحجار وعوامل الطبيعة، من أعشاب ومياه راكدة، فيصعب على الغزلان أن تميزهم.

ولدى كل منطقة نوع قماش «التويد» الخاص بها، ليمتزج مع ألوان نباتاتها، والتي بدورها تستخدم لصباغ الأقمشة بلونها المميز.

الأسود الحبري

يعتقد أن ريشة الحبر المسماة باليابانية سومي، والتي يستخدمها الخطاطون، قد صنعت قبل ألفي سنة على الأقل، في الصين حيث كانت تصنع بحرق أغصان الصنوبر.

إن شركة كوبيان، الواقعة بمدينة نارا اليابانية، ذات الأعمال العائلية المتوارثة منذ ١٥ جيلاً، تقوم بتصنيع ربع احتياج اليابان من السومي.

ويدخل يوشيرو ساكاجوشي الغرفة كل ساعتين ليراها مختنقة بغمامة سوداء، عندها يقوم بتنظيف اللمبات من الهباب، حيث يقوم بخلط السناج (الشحوار) مع صمغ خاص ذي رائحة متميزة، يقوم بخلط المزيج بقدميه، يضع المادة في اسطوانات صغيرة وناعمة، ويضغطها إلى قوالب جميلة تستخدم لأعمال الديكور، حيث تجف الأقلام ببطء لثلاثة أشهر. أما السومي فيصنع بالشتاء فقط؛ لأن الغراء يفسد بسرعة في الجو الحار.

الأكثر بياضاً

كانت الدمى اليابانية في القرن التاسع تصنع من الورق والأعشاب، وترمى للنهر لتصبح تحت رحمة التيار، حاملة النحس بعيداً.

ولقد تم تطوير دمى أجمل وأغلى عبر الزمن. حيث يتم تعتيق أصداف البحر لعشرين سنة على الأقل، في معمل ناكاجاوا، بعدها يجري فرزها وسحقها لتصبح صباغاً أبيض ثابتاً.

ويقوم الفنانون في ورشات العمل بمزج المسحوق الأبيض الناعم مع الغراء الحيواني، ودهنه بطبقات رقيقة، ثم يستعمل الأحمر لتلوين الشفاه بلون القرمز.

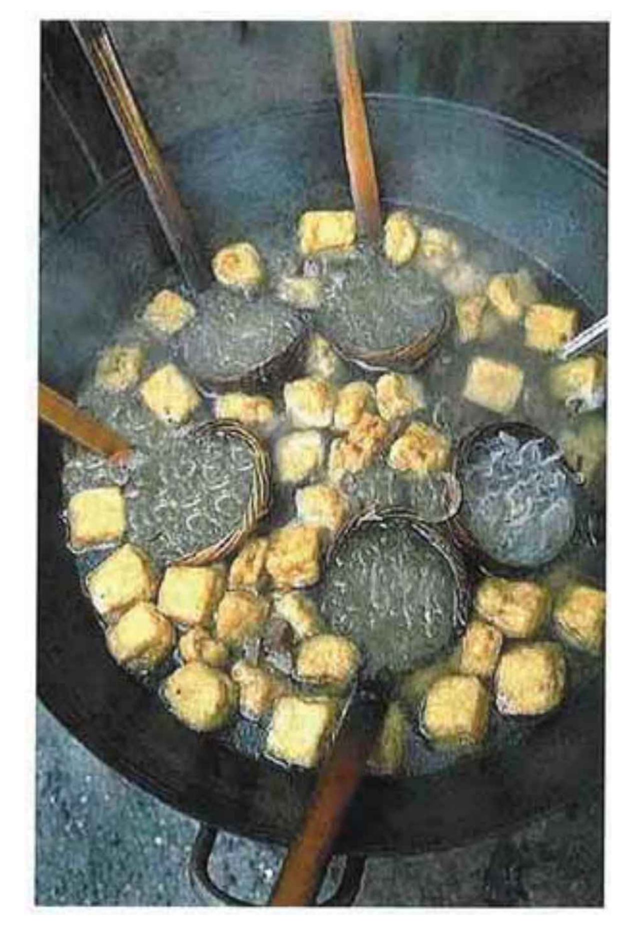
أما في الهند فتمتزج الأصباغ بماء المطر على أجساد السيدات الهنديات في معبد «داوجي»، في مهرجان الاحتفال بروح الإله الهندي كريشنا ومحبوبته رادا بالأسطورة، تمطر الفتيات المحبوبين ببتلات الورد، وبالنسبة إلى الهندوس يمثل كل لون رمزاً لواحدة من قوى الحياة.

المقال ترجم عن عدد مجلة National Geographic **الصادر في يوليو/ تموز ١٩٩٤م.**
مصادر الصور: أرشيف «الفيصل» والإنترنت.

ثمانية أنواع من الأغذية النباتية تتصدر قائمة الطعام الصحي

مسعد شتيوي
بورسعيد - مصر

كان الاعتقاد السائد قديمًا أن كل ما يحتاج إليه الجسم لكي يقوم بوظائفه الحيوية كاملة هو المواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتينات والفيتامينات والعناصر المعدنية والماء. ولكنهم اكتشفوا حديثًا وجود مواد كيماوية Phytochemicals غاية في الأهمية توجد في الخضراوات والفاكهة، وهذه المواد إمّا مضادات أكسدة قوية Antioxidants وإما هرمونات ضعيفة Weak Hormones، وأهم مضادات الأكسدة الطبيعية هي فيتامينات C,E، والبيتاكوروتين Beta-Corotene ومشتقاته فيتامين A وعنصر السيلينيوم النادر. هذه المواد لها القدرة على ترويض الجزيئات الحرة أو الطليقة Free radicales التي تنطلق في أثناء عمليات الأكسدة والتحولات الغذائية، وتتسبب في حدوث سلسلة من التفاعلات تؤدي في النهاية إلى انحلال أغشية الخلايا وما بداخلها من جسيمات، مما يفتح الباب للأمراض القاتلة، مثل: السرطان، والقلب، ويعتقد أيضًا أنها تسهم في إصابة الإنسان بمرض الزهايمر (فقدان الذاكرة) الذي يصيب كبار السن.



ولحسن الحظ فإن كثيراً من الأغذية الموجودة في الطبيعة خاصة الخضراوات والفاكهة تحتوي على مضادات الأكسدة، ومن هنا يأتي دور الإنسان العاقل الذي يختار الغذاء الصحي المناسب، ويتجنب الأغذية التي قد تعرضه للخطر مثل اللحوم المحفوظة والأسماك

المدخنة والمملحة التي تحتوي على مركبات كيماوية ناتجة من الاحتراق أو مواد حافظة مثل النيتريت والنترات التي تتحول في الجسم إلى نيتروز أمين مسبب للسرطان. هذا وتحتوي الخضراوات والفاكهة أيضاً على كميات وافرة من الألياف التي اكتشف العلماء منذ فترة أهميتها في وقاية الجسم من السرطان، وخاصة سرطان القولون.

وفي هذه المقالة نستعرض أهم الأغذية النباتية التي أثبتت الأبحاث والدراسات في مختلف دول العالم أهميتها القصوى في المحافظة على صحة الإنسان وحيويته ووقايته من عدد من الأمراض الخطيرة:

فول الصويا Soybeans

فول الصويا من المحاصيل البقولية Legumes الغنية بالبروتين، إذ يحتوي على ٤٠٪ من البروتين المرتفع في قيمته الحيوية بالموازنة بـ ١٨٪ للحوم والأسماك. وبروتين الصويا يستفيد الجسم منه بنسبة ٨٠٪ بعكس غيره من البقوليات، مثل: الفاصولياء والعدس حيث يمتص منها ٣٠٪ فقط. أما الدهون في الصويا فتصل إلى ٢٠٪ أغلبها دهون غير مشبعة، مثل تلك الموجودة في الأسماك. وقد أوضحت الأبحاث الحديثة أن فول الصويا ربما يكون الغذاء السحري للوقاية من عدد من الأمراض الخطيرة، ويعتقد الدكتور مندل أستاذ التغذية في جامعة Pacific Western Univ. في لوس أنجلوس - كاليفورنيا أن فول الصويا يعدّ إحدى معجزات الطبيعة الغذائية في القرن ٢١، ويرجع ذلك إلى احتواء الصويا على مركبات مضادة للأكسدة Antioxidants تقوم بحماية خلايا الجسم من الجزيئات الحرة المسؤولة عن إصابة الجسم بأنواع متعددة من السرطانات، وإحداث الشيخوخة المبكرة Premature Aging. وترجع أهمية فول الصويا إلى قدرته على:

- خفض مستوى الكوليسترول في الدم Cholesterol-Lowering benefits:

تشير التجارب الحديثة إلى أن منتجات الصويا والأغذية غير الدهنية تقلل الإصابة بمرض الشريان التاجي وجلطة المخ؛ وذلك بسبب خفضها نسبة الكوليسترول في الدم. وقد وجد أن مجرد تناول ٢٥جم من بروتين الصويا يومياً يؤدي إلى تخفيض كبير في مستوى الكوليسترول في الدم في الإنسان، ويعتقد أيضاً أن بروتين الصويا يقوم بتكسير الكوليسترول المترسب في جدران الشرايين والذي يتسبب في حدوث الأزمات القلبية. وحديثًا أعطيت منظمة الغذاء والدواء الأمريكية FDA الضوء الأخضر لصانعي الأغذية لكتابة هذه المزايا على أغلفة الأغذية والمعلبات التي تحتوي على فول الصويا. أما جمعية القلب الأمريكية AHA فقد أوصت الأمريكيين ذوي المستويات المرتفعة من الكوليسترول بتناول المزيد من منتجات الصويا في غذائهم. وقد انتهز مصنعو الأدوية هذه الفرصة، وقاموا بإنتاج أقراص تحتوي على المادة الفعالة في فول الصويا، والتي تعرف بالأيزوفلافونات Isoflavons or Isoflavonoids ويعزى إليها التأثيرات المختلفة لفول الصويا، وهي مواد شبيهة بالإستروجين الطبيعي Estrogen-Like substances الذي يفرز في الجسم. ولكن يجب الحذر من تناول كميات كبيرة من الصويا خاصة إذا كان في صورة الأقراص التي تحتوي على المادة الفعالة مادام تناول القليل يفي بالغرض. هذا بالإضافة إلى أن بروتين الصويا الموجود في الغذاء طبيعياً هو المسؤول عن خفض نسبة الكوليسترول في الدم، وليست الأقراص المصنعة أو حتى الصلصة المصنوعة من فول الصويا فقد ثبت خلوها من الأيزوفلافونات. وفي دراسة أخرى شملت ١٩٩٥ حالة وجد أن الأشخاص المصابين بارتفاع مستوى الكوليسترول عندما تناولوا ٤٧جم من بروتين الصويا يومياً أدى ذلك إلى انخفاض مستوى الكوليسترول الكلي لديهم بحوالي ٩٪ وأن الكوليسترول الخفيف LDL المعروف بالنوع الضار أو السيئ الذي يترسب على جدران الأوعية الدموية وجد أنه انخفض بنسبة ١٣٪، وهذه نسبة كبيرة؛ لأن انخفاضه بمقدار ١٪ فقط يؤدي إلى تقليل خطر الإصابة بأمراض القلب بنسبة ٢٪. أما إذا كان مستوى الكوليسترول في جسمك طبيعياً فإن تناول الصويا في غذائك يحافظ على مستوى الكوليسترول في الحدود الطبيعية، كما يقول ديفيد جينكز

الإصابة بسرطان الثدي. النتيجة نفسها تقريباً حدثت في دراسة أخرى أجريت في سنغافورة، ويعتقد د. مندل أن الأيزوفلافونات الموجودة في زيت الصويا، وأهمها مادة تسمى جنستين تمنع وصول الدم إلى الأورام فتوقف نموها. وعموماً فإن هذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الأبحاث بسبب عدم شمولية النتائج.

ـ علاج الوهج الحراري المصاحب لانقطاع الطمث Hot-Flash protection:

تشير بعض الدراسات إلى أن فول الصويا يمكن أن يخفف الآلام المصاحبة لانقطاع الدورة عند السيدات، وذلك بسبب احتوائه على الأيزوفلافونات أي الإستروجينات النباتية Phytoestrogens، فعند انقطاع الطمث تقوم هذه المركبات بتعويض المرأة عن نقص الإستروجين الطبيعي في الجسم. وقد وجد الباحثون في كلية الطب بجامعة Wake Forest في الولايات المتحدة أن الوهج الحراري والعرق الليلي المصاحب لانقطاع الطمث عند السيدات اللاتي أضفن إلى وجباتهن ١٠جم من بروتين الصويا مرتين يومياً كان أقل حدة وأكثر اعتدالا من أقرانهن اللاتي لم يتناولن بروتين الصويا. وعموماً فإن تأثير الإستروجين الطبيعي في منع الوهج الحراري عند النساء أفضل من تأثير الصويا، والأخير أفضل من لاشيء، هذا ما أكده الباحثون في مستشفى Mayo Clinc، وأضافوا أن هذا الموضوع في حاجة إلى إجراء المزيد من الأبحاث.

ـ الوقاية من هشاشة العظام Osteoporosis Protection:

يعتقد د.مندل أستاذ التغذية بجامعة Pacific Western أنه يمكن استخدام الصويا سلاحاً فعالاً في مقاومة مرض هشاشة العظام الذي يحدث بتقدم العمر خاصة في النساء بعد انقطاع الطمث نتيجة نقص هرمون الإستروجين الطبيعي في أجسامهن، ويرجع السبب في هذا التأثير إلى احتواء فول الصويا على



فول الصويا له فوائد لا تحصى

David Jenkins ـ أستاذ الطب والتغذية بجامعة تورنتو بكندا؛ أما إذا كان مرتفعاً قليلا ولا ترغب في تعاطي الأدوية فإن ٢٥ جم من بروتين الصويا يومياً تكفيك، طبقاً لتوصيات منظمة الغذاء والدواء الأمريكية FDA. أما الدكتور مندل الذي هو من أشد المتحمسين لفول الصويا فينصح بتناول ٥٠ ـ ٨٠جم يومياً.

ـ الحماية من السرطان Cancer Protection :

في الولايات المتحدة يعدّ سرطان البروستاتا من أكثر الأمراض السرطانية انتشاراً بعد سرطان الجلد، ويعتقد أن تناول فول الصويا يمكن أن يقلل الإصابة بهذا المرض، ففي اليابان والصين حيث تشكل منتجات الصويا جزءاً أساسياً من كل وجبة تقريباً لوحظ أن معدلات الوفيات بسبب الإصابة بسرطان الثدي والبروستاتا أقل كثيراً من مثيلاتها بالولايات المتحدة، وعلى الرغم من ذلك لم يستطع العلماء الجزم بأن السبب في ذلك يرجع إلى فول الصويا؛ لأن الغذاء في آسيا يختلف كثيراً عنه في أمريكا، وقد حاول اليابانيون التأكد من ذلك فقاموا بالموازنة بين ١٢٠٠ امرأة مصابة بسرطان الثدي و٢٣ ألف امرأة من المتطوعات الأصحاء، فوجدوا أن النساء اللاتي كن يتناولن التوفو Tofu (المصنوع من فول الصويا) على الأقل ثلاث مرات أسبوعياً قبل انقطاع الطمث قلّت لديهن مخاطر

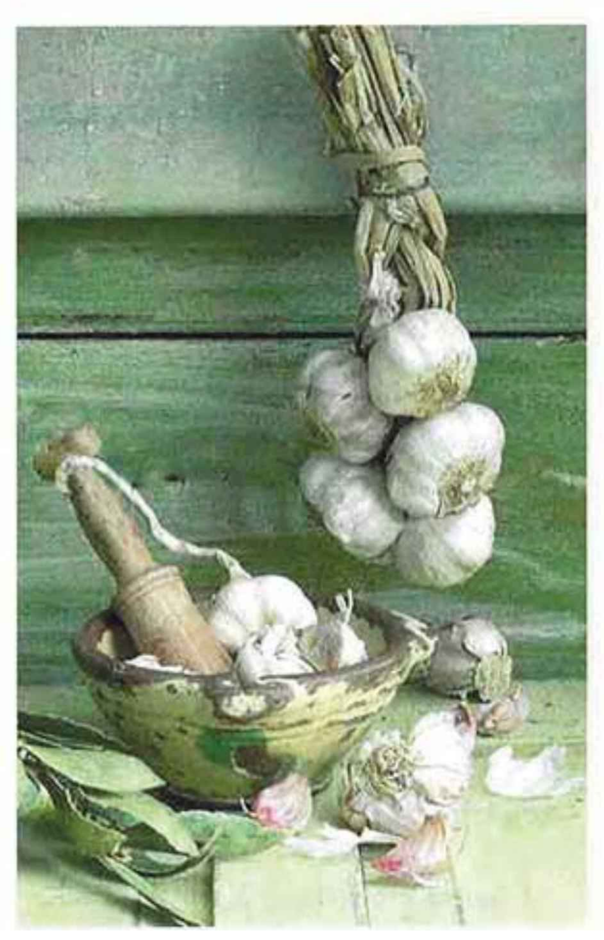
الإستروجين النباتي الذي يعمل على إعادة بناء العظام، خاصة وأن الصويا يحتوي على الكالسيوم الذي يدخل في تركيب العظام.

وعموماً فإن قوة الصويا في خفض مستوى الكوليسترول والمؤشرات التي ترجح قدرته على تقليل مخاطر الإصابة بالسرطان وهشاشة العظام تعدّ أسباباً كافية لأن تجعله ضيفاً أساسياً على مائدة طعامك.

ويستخدم فول الصويا في صورة منتجات متعددة، إذ يمكن استخدامه كدقيق يصنع منه المخبوزات والبسكويت بعد خلطه بدقيق القمح، أو يستخدم في صورة التوفو Tofu وهي ترسيب لبروتين الصويا في صورة قوالب بيضاء تشبه الجبن الأبيض، ويمكن تناولها مع السلطة بعد تقطيعها إلى شرائح أو قليها في الزيت، وتناولها مثل اللحوم، كذلك يمكن خلط بروتينات الصويا مع اللحم واستخدامها في عمل الكفتة والهامبورجر، أما زيت الصويا فيمكن استخدامه للقلي لخلوه من الكوليسترول، وتستخدم صلصة الصويا لإضافة النكهة إلى الغذاء. ويقول الدكتور مندل: إن اليابان وحدها يوجد فيها ما يقرب من ٣٠ ألف مطعم تستخدم التوفو المصنوع من فول الصويا، وإنه لأمر يدعو إلى السخرية - على حد قوله - أن أمريكا، وهي أكثر بلدان العالم انتاجاً لفول الصويا، تستخدمه في تغذية الحيوان وتبيع معظمه إلى الدول الآسيوية، والأخيرة تستخدمه غذاء للبشر. ولكن، وبعد أن يكتشف الأمريكيون فوائده الصحية، والكلام مازال للدكتور مندل، سوف يصبح غذاءً شعبياً، مثل الزبادي حالياً.

الثوم Garlic

يعدّ الثوم من أقدم النباتات التي استخدمت لأغراض طبية، فقد استخدمه قدماء المصريين منذ أكثر من ٣٥٠٠عام، وذكرت خصائصه على أوراق البردي، وكانوا يعتقدون أن الثوم الطازج ذا الرائحة النفاذة يجعل الشخص قوياً. أما الإغريق فقد ذكروه في كتاباتهم وكان أبوقراط - المعروف بأبي الطب اليوناني القديم - يستخدم الثوم في علاج الجروح وآلام الصدر. وفي عام ١٨٥٨م نشر لويس باستير بحثاً عن الثوم، وصف فيه خصائصه في القضاء على البكتريا، وحديثاً فقد اكتشف العلماء أن السبب في هذه الفوائد العظيمة للثوم يرجع إلى احتوائه على مادة تعرف بالأليسين Allicin، والتي توجد



الثوم يخفف نسبة الكوليسترول ويقلل الإصابة بالسرطان

أيضاً في بقية أفراد العائلة الزنبقية أو البصلية Allium Family، هذه المادة عند تكسيرها تعطي مركبات تحتوي على الكبريت، وإليها يرجع السبب في الرائحة النفاذة للثوم. ويتركب الثوم من ٨٪ بروتين، ١٦٪كربوهيدرات، ١٣٪دهن، ٤٪ألياف، ويحتوي على فيتامين C، وعلى الكالسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبريت والسلينيوم وكل ١٠٠جم من الثوم تحتوي على ٨ كيلو كالوري.

الكوليسترول: أجريت عدة تجارب على الثوم، منها ١٦دراسة إكلينيكية أثبتت قدرة الثوم على خفض مستوى الكولسترول في الدم بنسبة تصل إلى ١٢٪. ومع أن بعض الدراسات أشارت إلى أن بودرة الثوم المجفف لها المفعول نفسه للثوم الطازج إلا أن دراسات أخرى لم تجد لها التأثير نفسه.

إذابة الجلطة: وجد أن الثوم يزيد من فاعلية الأنزيمات التي تقوم بتكسير الجلطة، مما يؤدي إلى حماية الإنسان من الأزمات القلبية، ولكنه من المكن أن يزيد من حدوث النزيف خاصة في الأشخاص الذين يتعاطون الأسبرين أو أي أدوية مضادة للتجلط.

السرطان: في إحدى التجارب أعطيت بعض الحيوانات ثوماً وفي الوقت نفسه تم تعريضهم لبعض المواد المسرطنة - أي التي تسبب السرطان - فوجد أن معدل الإصابة بالسرطان كان أقل في الحيوانات التي أعطيت ثوماً موازنة بالحيوانات التي لم تأخذ ثوماً على الإطلاق. وفي إحدى الدراسات على الإنسان وجد أن سرطان المعدة كان أقل حدوثاً في الأشخاص الذين تناولوا ٢٠جم من الثوم الطازج يومياً، ويعتقد أن الثوم يوقف من زحف الخلايا السرطانية خلال أعضاء الجسم المختلفة نتيجة لزيادة أعداد الخلايا المناعية التي توجد في دم الأصحاء.

فوائد أخرى: اكتشف الباحثون الفرنسيون من خلال تجارب أجريت على الفئران أن الثوم يوقف تقدم مرض في المخ مشابه لمرض الزهايمر في الإنسان. ويرى الدكتور أحمد التاجي - أستاذ أمراض النساء والولادة بجامعة الأزهر - أن للثوم فوائد عظيمة في علاج عدد من أمراض النساء والولادة خاصة الأمراض المشيمية، وله فوائد أخرى متعددة في علاج أمراض الجهاز الهضمي، مثل علاج حالات الإسهال الجرثومي، وتنشيط القناة الهضمية، ومنه التخمرات والتعفنات المعوية، وهو منشط عصبي جيد، ويقوي البصيلات في فروة الرأس؛ لما يحتويه من زيوت وأحماض طيارة قاتلة للجراثيم. وقد يفيد الثوم أيضاً في علاج بعض أمراض الجهاز التنفسي، مثل السعال، والالتهابات الصدرية، والتهاب اللوزتين، إذا ما تم مضغه عن طريق الفم قبل الطهي. والثوم يساعد على التخلص من السموم؛ وذلك لاحتوائه على الكبريت الذي يتطلبه الكبد لتنشيط عمله في إزالة السموم والمعادن الثقيلة من الجسم. ومع أنه يمكن التمتع بمزايا الثوم هذه عن طريق أكل الثوم الطازج أو المجفف أو تناول حبوب الثوم، إلا أن بعض التجارب أشارت إلى أنه يمكن تقطيع الثوم إلى قطع صغيرة جداً ووضعها في زيت الزيتون الساخن واستخدام هذا الزيت في الطبخ، وقد



زيت الزيتون يخفف من التهاب المفاصل أو الروماتويد

وجد أن ذلك يؤدي إلى زيادة مفعول الثوم في الجسم. والمطبخ العربي غني باستعمال الثوم في الكثير من أكلاته اللذيذة والمغذية، ولا تكاد تخلو سلطة عربية من وجود الثوم ضمن مكوناتها.

زيت الزيتون Olive Oil

زيت الزيتون ذو أهمية كبيرة في وقاية الجسم من خطر الشوارد الحرة Free Radicales التي تتسبب في تلف خلايا الجسم وإصابته بأمراض خطيرة، ويرجع ذلك إلى احتواء زيت الزيتون على فيتامين E (هـ) المضاد للأكسدة، كما أن زيت الزيتون البكر النقي Extra virgin Oil يحتوي على مركبات البولي فينول Polyphenolic Compds التي تمنع التأكسد الذاتي للزيت، وتحافظ على ثباته. وقد لوحظ أن معدل الوفيات في الدول التي تستخدم زيت الزيتون بكثرة في

غذائها، مثل ألبانيا كان أقل من تلك التي تتناول اللحوم والألبان بكثرة، مثل بريطانيا. وفي جامعة أكسفورد وجد الباحثون أن زيت الزيتون يخفف من التهاب المفاصل أو الروماتويد Rheumatoid Arthritis بناءً على دراسة أجريت على مجموعة مكونة من ٣٠ رجلا متوسطي العمر يتبعون نظاماً غذائيًا معينًا غنيًا بزيت الزيتون مدة شهرين ثم موازنتهم بمجموعة أخرى اتبعت نظاماً غذائيًا عاديًا. وبيّنت الاختبارات التي أجريت على نظام المناعة لدى الرجال أن المجموعة التي تناولت زيت الزيتون انخفض لديهم تكون جزيء معين يسمى ICAM-1 يعتقد أنه يزيد من شدة التهاب المفاصل، ويقول الدكتور بارفين يعقوب - المشرف على الدراسة: إنه كلما قلت نسبة ICAM-1 تقل آلام التهاب المفاصل، ويضيف أن الهدف ليس مجرد إضافة زيت الزيتون للوجبة الغذائية، ولكن استبدال الدهون الأحادية غير المشبعة الموجودة في زيت الزيتون ببعض الدهون التي تحتويها الوجبة.

في مقالة صدرت في مجلة الإعجاز العلمي تحدث الدكتور حسان شمسي باشا - استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة - باستفاضة عن زيت الزيتون، وكشف النقاب عن مجموعة من الأبحاث المهمة المنشورة في المجلات العلمية في مختلف دول العالم، واتضح منها مايأتي:

- أول دراسة أثبتت أن زيت الزيتون يخفض كوليسترول الدم ظهرت عام ١٩٨٥م على يد الدكتور جرندي.

- زيت الزيتون يقي من مرض العصر - جلطة القلب - ويؤخر من تصلب الشرايين؛ وفي البلاد التي تعتمد في غذائها على زيت الزيتون - دول حوض البحر المتوسط - يقل فيها مرض تصلب شرايين القلب التاجية عنه في البلاد التي تعتمد في غذائها على الزبدة والدهون التي تحتوي على نسب مرتفعة من الأحماض الدهنية المشبعة مثل أوربا والولايات المتحدة.

- في دراسة أجريت في جامعة نابولي بإيطاليا، ونشرت في مارس/آذار ٢٠٠٠م، وشملت ٢٣ مريضاً بارتفاع ضغط الدم تبين أن تناول زيت الزيتون البكر في الغذاء أدى إلى انخفاض ضغط الدم بمقدار ٧ نقاط، بينما لم يحدث انخفاض في المرضى الذين تناولوا غذاءً غنيًا بزيت عباد الشمس.

- تناول ملعقة من زيت الزيتون يوميًا يمكن أن يقي النساء من خطر الإصابة بسرطان الثدي بنسبة تصل إلى ٤٥٪. وفي دراسة أخرى وجد أن النساء اللاتي تناولن زيت الزيتون بكثرة قلّت إصابتهن بسرطان الرحم بنسبة وصلت إلى ٢٦٪. وفي دراسات أخرى وجد أن زيت الزيتون يؤدي دوراً مهماً - بالإضافة إلى الخضراوات والفاكهة - في الوقاية من سرطان المعدة والقولون، كما أن دهان الجلد بزيت الزيتون بعد السباحة والتعرض للشمس ربما يقي من حدوث سرطان الجلد Melanoma.

فلا عجب إذن أن يكرم الله هذه الشجرة المباركة، وأن يقسم بها وبأرضها في كتابه الكريم: *والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين*. **التين:** ١ -٣. وأن يشبه نوره بالنور الصادر عن زيتها: *يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء*. **النور:** ٣٥، وأن يحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فائدة هذا الزيت العظيم «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

الطماطم Tomatoes



الطماطم تخفض فرص الإصابة بالسرطان

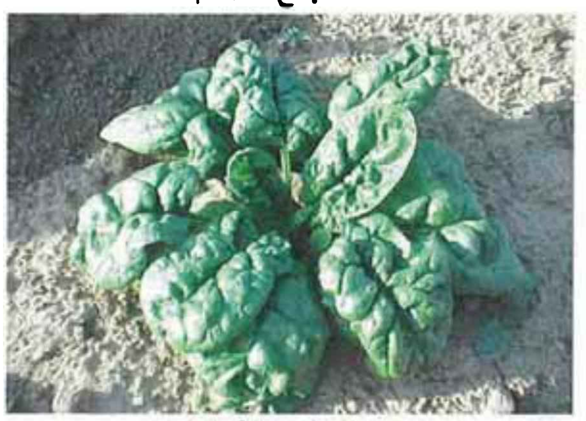
تحتوي الطماطم على صبغة كاروتينية حمراء تسمى ليكوبين Lycopene، وهي من مضادات الأكسدة القوية التي تحمي الجسم من خطر الذرات الحرة التي تنطلق نتيجة لعمليات الأكسدة المختلفة التي تحدث في الجسم. ففي دراسة

شملت ٤٨ ألف رجل ونشرت في مجلة معهد السرطان القومي J. National Cancer Institute أشار الدكتور إدوارد جيوفانوكي Edward Giovannucci من كلية الطب بجامعة هارفارد، والباحث الرئيس في هذه الدراسة إلى أن الرجال الذين تناولوا عشرة أكواب أو أكثر من الطماطم أسبوعيًا قلت فرصة إصابتهم بسرطان البروستاتا إلى النصف موازنة بأقرانهم الذين تناولوا كوبين أو أقل أسبوعيًا. وفي أبحاث أخرى تبين أن الأشخاص الذين تنقص هذه المادة (الليكوبين) في أجسامهم تتزايد نسبة إصابتهم بسرطان البنكرياس بمقدار خمسة أضعاف.

وترجع قدرة الفاكهة والخضراوات، مثل المشمش والبطيخ والبابايا Papaya على تقليل خطر الإصابة بالنوبات القلبية إلى وجود مادة الليكوبين، والدليل على ذلك أنه في إحدى الدراسات التي أجريت في جامعة نورث كارولينا North Carolina الأمريكية تمت موازنة مستويات الليكوبين في شعوب عشر دول أوربية، لوحظ أن معدلات الإصابة بالأزمات القلبية كانت أقلها في الشعوب ذات المستويات المرتفعة من الليكوبين. وقد ظهرت فوائد أخرى لليكوبين، ففي الهند اكتشف الباحثون أنه يمكن استخدام هذه المادة لزيادة خصوبة الرجال، إذ أثبتت التجارب أن الليكوبين يؤدي إلى زيادة نشاط الحيوانات المنوية عند الرجال المصابين بالضعف الجنسي وقلة الخصوبة وتركيزها، ومن ثم تزداد فرص الحمل عند زوجاتهم. وقد تضمنت تلك التجارب إعطاء رجال تتراوح أعمارهم بين ٢٣ و ٤٥ عامًا مليجرامين (٢ملجم) من الليكوبين مرتين في اليوم مدة ثلاثة أشهر، فلوحظ تحسن ملحوظ في معدلات خصوبتهم بلغت ٦٧٪ من مجموع الرجال الخاضعين للتجربة. وقد أشار الباحثون إلى حدوث ٦ حالات حمل عند زوجات الرجال الذين عولجوا بهذه المادة.

ويعتقد أن الطماطم المطبوخة في الزيت والصلصة يتم امتصاصها والاستفادة منها أكثر من الأشكال الأخرى نتيجة تكسير الخلايا الليفية للطماطم وإطلاقها مزيدًا من الليكوبين الذي يذوب في الزيت، ويمتصه الجسم. من هنا، يجب عليك الحرص على تناول ما يقرب من ١.٥ كوب من صلصة الطماطم أو خمس حبات أو أكثر من الطماطم الطازجة أسبوعيًا كما ينصح بذلك الخبراء.

السبانخ Spinach



للسبانخ فوائد طبية كثيرة

يعدُّ السبانخ من أفضل الأغذية النباتية وذلك للأسباب الآتية:

- السبانخ مصدر جيد للحديد وعند تناوله مع الأغذية الغنية بفيتامين C يمتص الجسم معظم مابه من حديد؛ لذلك يفضل إضافة الثوم إليه وتناول البرتقال أو فاكهة الكيوي عند أكله.

- السبانخ مصدر جيد للبوتاسيوم الذي يساعد على الحفاظ على ضغط الدم.

- يحتوي السبانخ على حمض الفوليك (فيتامين B9)، ولذلك يجب على النساء الحوامل تناول كميات كبيرة منه للمحافظة على الحمل، وسلامة الجنين، ومنع حدوث تشوهات خلقية أو عصبية . يحتوي السبانخ على البيتاكاروتين Beta-Carotene الذي يتحول في الجسم إلى فيتامين A اللازم للمحافظة على قوة الإبصار، وسلامة الجلد.

- يحتوي السبانخ على مركبات أخرى مثل الليوتين والزياكسانثين Lutein & Zeaxanthin، وهي مركبات ذات أهمية خاصة في المحافظة على سلامة العيون مع تقدم العمر، ففي إحدى الدراسات في مجلة الجمعية الطبية الأمريكية J.Amer. Med. Assoc، لوحظ أن الأشخاص في عمر ٥٥ سنة فأكثر الذين تناولوا ٥ - ٦ أكواب من السبانخ في الأسبوع كانت احتمالات إصابتهم بضمور العضلات Muscular Degeneration (سبب رئيس لحدوث العمى) نحو ٨/١ أي (١٢.٥٪) الأشخاص الذين

تناولوا كوبًا واحدًا أو أقل في الشهر.

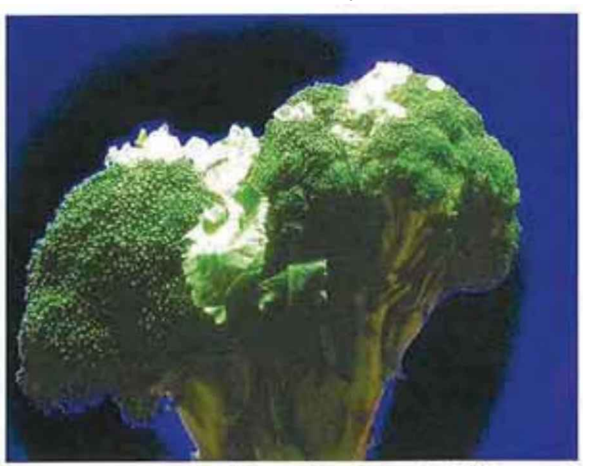
ـ أوضحت بعض الدراسات أن السبانخ من أفضل الخضراوات التي تساعد على الوقاية من أخطار السرطان.

في ضوء ما سبق ينصح الخبراء بتناول ٥ ـ ٦ أكواب من السبانخ أسبوعيًا للمحافظة على صحة وسلامة الجسم.

القُنّبيط وعائلته

Cauliflower & Related Veg

هذه العائلة من الخضراوات (القرنبيط ـ الكرنب ـ البروكلي) تقلل من الإصابة ببعض الأمراض الخطيرة، كسرطان الرئة، والجهاز الهضمي، والبروستاتا وغيرها، فهي غنية جدًا بفيتامين C المضاد للأكسدة. وقد تبين عند فحص مجموعة كبيرة من الأبحاث (٨٥ ورقة بحثية) التي أجريت على هذه المجموعة من الخضراوات أن الكرنب Cabbage يقلل من احتمالات الإصابة بالسرطان في ٧٠٪ من الدراسات، بينما كانت النسبة في القرنبيط ٦٧٪، وفي البروكلي Broccoli ٥٦٪، وفي تعليقهم على هذه النتائج، أوضح العلماء أن هذه المجموعة من الخضراوات تحتوي ـ بالإضافة إلى الفيتامينات ـ على مجموعة من المركبات تسمى جلوكوزينولات Glucosinolates، وعلى رأسها مركب يسمى Indole-3-Carbinol (13C)، وهو ذو أهمية خاصة في الوقاية من سرطان الثدي. لذلك فإن العلماء يفكرون في صنع أقراص من هذا المركب واستخدامه للوقاية من سرطان الثدي، ولكن الوقت مازال مبكرًا لاتخاذ مثل هذا الإجراء.



القُنّبيط تقلل من الإصابة ببعض الأمراض الخطيرة

الفاكهة الحمضية Citrus Fruits



عصير البرتقال ينقي الدم ويفيد الكليتين

البرتقال واليوسفي والليمون والجريب فروت تعدّ مصادر ممتازة لكل من فيتامين C (حمض الأسكوربيك) والألياف Fiber، بالإضافة إلى احتوائها على مادة تعرف بالليمونين Limonene ذات تأثير مضاد للأورام، وتتركز غالبًا في اللباب والقشرة بالإضافة إلى وجودها في العصير ذاته. ومئة جرام من عصير البرتقال أو ما يعادل برتقالتين متوسطتي الحجم تحتوي على ٥٠ملجم من فيتامين C بالإضافة إلى ٢٢٥٠ وحدة دولية من فيتامين A. وعصير البرتقال قلوي التأثير، ويفيد في إزالة الحموضة من الجسم، كما أن تناوله عقب الوجبات يساعد على الهضم خاصة الأغذية البروتينية، وينقي الدم، ويفيد الكليتين، أما قشوره فتؤكد الدراسة التي أجراها في مصر الدكتور حسن درة ـ أستاذ بحوث التغذية ـ أنها مفيدة للأمعاء، وتنشط إفرازات الكبد، ولها خواص مهدئة ومقوية للأعصاب، وتعمل على فتح الشهية، وتنبه إفرازات المعدة.

وفيتامين C من الفيتامينات المهمة جدًا للجسم إذ إنه يشترك في تخليق الكولاجين Collagen الذي يشكل نحو ٣/١ من كمية البروتينات الموجودة في الجسم ويوجد في معظم أجزاء الجسم حتى في قرنية العين، ويؤدي إلى تماسك خلايا الشعيرات الدموية ومنع حدوث النزيف. وفيتامين C مهم أيضًا لتكوين النسيج الدهني والعظام والأسنان، وهو من

الفيتامينات المضادة للأكسدة مثل فيتامين E، ولكنه يندرج تحت الفيتامينات التي تذوب في الماء، ومن مزاياه أيضًا أنه يساعد الجسم على الاستفادة من الحديد، ويساهم في عمل إنزيمات الأكسدة والاختزال، وفي بناء الهرمونات الاسترويدية Steriod Hormones (الكورتيزول - الألدوستيرون والهرمونات الجنسية) في قشرة الغدة فوق الكلوية Adrenal Gland، ومهم لنشاط الغدة الدرقية. وقد كشفت إحدى الدراسات التي أجريت على السيدات المتقدمات في السن (٥٦ إلى ٧١ عامًا) أن تناول فيتامين C مدة طويلة يقلل إصابة العيون بالمياه البيضاء (إعتام عدسة العين أو الكتاراكت Cataract). ويقول الأطباء: إن ٢٥٠ ملجم تقريبًا في اليوم من الممكن أن تكون كافية للحد من تكوين المياه البيضاء، وهذا يمكن تحقيقه عن طريق تناول الفاكهة الحمضية أو عصير البرتقال دون أخذ كبسولات الفيتامين، ولكن لم يثبت إلى الآن أن فيتامين C يحمي تمامًا من الإصابة بهذا المرض، ومعروف أن مرض إعتام عدسة العين (الكتاراكت) هو مرض شائع عند كبار السن، ويظهر نتيجة تجمع البروتينات في عدسة العين مما يؤدي إلى إعتامها، وبزيادة الحالة تقل الرؤية عند المريض خاصة في أثناء الليل.

وتزداد الاحتياجات من فيتامين C بتقدم العمر، وعند ارتفاع درجة حرارة الجو أو الإصابة بالمرض أو الإجهاد.

وينصح الخبراء بتناول كأس أو نصف كأس على الأقل من عصير الفواكه الحمضية يوميًا.

العنب Grapes

اكتشف العلماء حديثًا أن سبب انخفاض نسبة الإصابة بأمراض القلب في البلاد الأوربية التي يكثر بها تعاطي الخمور - خاصة النوع الأحمر Red Wine - لا يرجع إلى الكحول كما كان يعتقد سابقًا، وإنما يرجع إلى محتواها من المواد الفينولية Phenolic Compds الموجودة في قشرة العنب، وهذا لا ينفي وجود بعض الفوائد للكحول، فهو يرفع من نسبة الكوليسترول الثقيل أو المفيد HDL، وهذه ليست دعوة لشرب الكحوليات فضررها أكثر من نفعها؛ لأنها تؤدي إلى الإصابة ببعض أنواع السرطان: *يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما*. البقرة: ٢١٩، والأفضل من ذلك أن تحرص على أكل العنب البنفسجي (الأسود) أو شرب عصيره؛ لأنه يحتوي على فينولات أكثر من العنب الأخضر، بالإضافة إلى أنه يحتوي على مادة تسمى Resveratrol تمنع تصلب الشرايين، ويعدّ العنب بجميع أنواعه مصدرًا جيدًا لفيتامين C والبوتاسيوم وكثير من العناصر النادرة، مثل المغنسيوم والنحاس، وينصح الخبراء بتناول من اثنين إلى أربعة أكواب من عصير العنب يوميًا.



العنب يقلل نسبة الإصابة بأمراض القلب

المراجع

١. باشا، ح.ش.، ٢٠٠١، زيت الزيتون، أسرار وإعجاز، الإعجاز العلمي، العدد٨، شوال ١٤٢١هـ/يناير ٢٠٠١م، ص ٣٠ - ٣٣، جدة، المملكة العربية السعودية.

٢. صحتك اليوم، العدد ١٢ يناير/مارس ٢٠٠٠م، شركة الاتصالات الدولية.

3- Browder, S.E. (2000) the Health Boosters. Reader's Digest. November. PP. 47 - 49 Pleasantville, NY. (from New Choices, May 99)

4- Healthy eating Essentials. October (1997) PP. 115. IPC Magazine. London

5- Jaret, P. (2001). The New Joy of Soy., Reader's Digest. February. PP 45-48. Pleasantville, NY. (from Health, July/August-00).

6- Lehninger. A.L. (1982). Principles of Biochemistry. Worth Publishing Inc New York.

7- Voice of America (1997). Washington D C.

8- World Book Multimedia Encyclopedia (1998). World Book. Inc., Chicago.

مصادر الصور: أرشيف «الفيصل» والإنترنت.

خريطة الحياة

أخلاقيات الجينوم... إلى أين؟

مجموعة باحثين
ترجمة وتعليق: **عبدالله الحاج**
الرياض ـ السعودية

يشكل اكتشاف الجين البشري أكبر تحدٍ للعقل البشري عبر تاريخه الطويل فالاكتشافات الكبيرة والمهمة في التاريخ مثل القول بأن الشمس هي مركز الكون، وهي المقولة التي قال بها كوبر نيقوس وجاليليو، أو النظرية النسبية التي قال بها آينشتاين أو غير ذلك من الاكتشافات التي كانت علامات مضيئة في تاريخ التطور الإنساني. أقول: إن تلك الاكتشافات لم تشكل تحدياً فكرياً وعلمياً واجتماعياً كما يفعل اكتشاف الجين البشري.

فجميع الاكتشافات العلمية السابقة لم تؤثر بشكل مباشر في حياة الفرد، بل أخذت سنوات طويلة إلى أن استطاعت أن تثبت نفسها، وتدخل في جذور الوعي الإنساني. ولكن الجينوم سوف يقلب نظرتنا إلى أخص ما نملك؛ ألا وهو الإنسان ذاته.



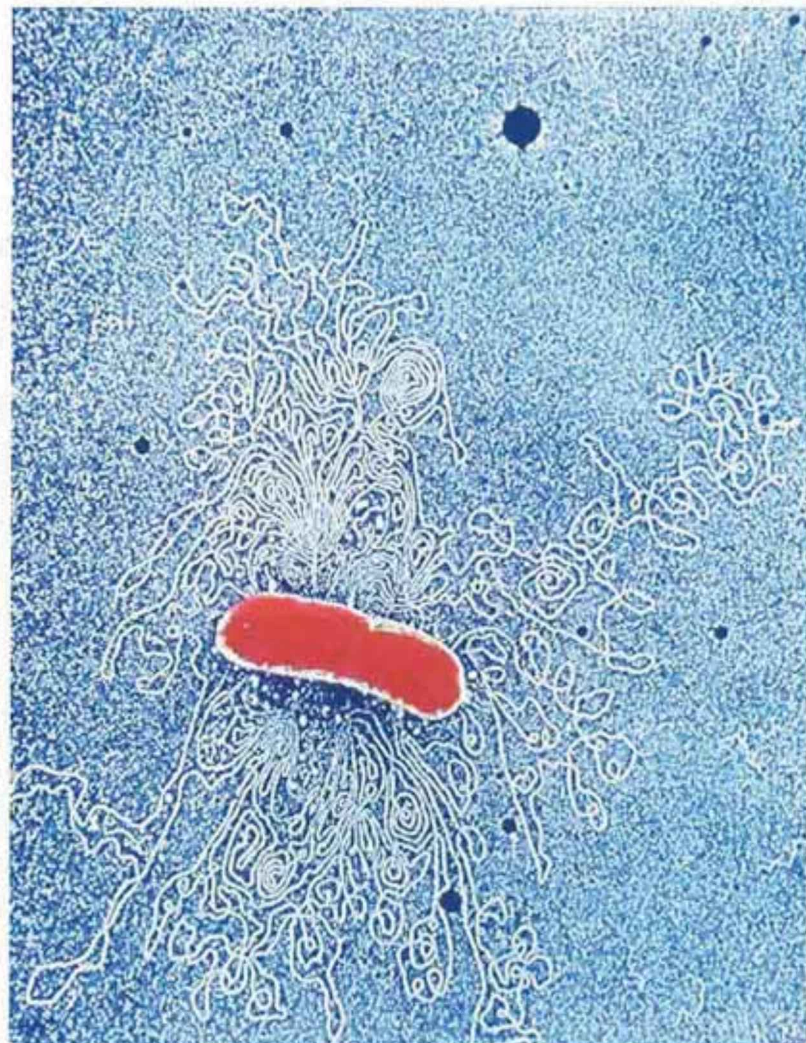
وعلى الرغم من الفوائد التي سوف تعود على البشرية، والتي يعد بها هذا الاكتشاف، إلا أن هناك الكثير من المناطق الغامضة والمثيرة التي مازالت تحير الكثير وتتخوف مما سوف يتسبب فيه هذا الاكتشاف من مآسٍ. فالتجربة الإنسانية في الاكتشافات العلمية توضح أن كل فائدة تأتي من منتج طوره الإنسان، لابد أن له آثاراً ضارة أو استخدامات سيئة. ولهذا فاكتشاف الجينوم يضع الفكر البشري أمام نافذة مشرعة على كل الاتجاهات، وهو لا يستطيع أن يرى أكثر من أرنبة أنفه.

هذا الملف

تناقش هذه المقالات، قضايا تثيرها أخلاقيات بحوث وتطبيقات:

- الخلايا الجذعية الجنينية (من الأجنة).
- الاستنساخ.
- العلاج الجيني (بالجينات).

وقبل أن أتطرق إلى هذه المقالات، أود أن ألخص المستجدات التي حدثت في الأسابيع الماضية في هذا الموضوع،



عينة من كروموزوم

فقد أثير مؤخراً في الإعلام العالمي موقف الرئيس بوش من التجارب على الخلايا الجذعية الجنينية (المأخوذة من أجنة بشرية). وكان بوش رفض مراراً الاستمرار في هذه البحوث، ولكنه وافق على الاستمرار فيها، ولكن على الموجود منها فعلاً في إطار قيود صارمة. وقد أكد بوش أنه سيشكل لجنة من كبار العلماء والخبراء في أخلاقيات علم الأحياء والقانون وعلماء اللاهوت لوضع إطار وقواعد تشمل كل النتائج والانعكاسات الطبية والعرقية للاكتشافات المتعلقة بالعلاج البيولوجي.

كما أن الرئيس بوش أعلن قبل ذلك بأنه يؤيد حظراً على الاستنساخ البشري. وقد علّل البيت الأبيض هذا القرار بأن «الإدارة الأمريكية تعارض بلا مواربة استنساخ الكائنات البشرية سواء من أجل التناسل أو لإغراض البحث.يثير الاستنساخ البشري قضايا أخلاقية شائكة لا يمكن تجاهلها في خضم السعي إلى الاكتشاف العلمي».

هذا بالإضافة إلى أن هناك مشروعاً مقترحاً رُفع إلى مجلس النواب يحرم الاستنساخ البشري، ويعاقب مرتكبه بغرامات وسجن لمدة تصل إلى عشر سنوات.

هذا في أمريكا، التي يدور فيها النقاش على أعلى المستويات الإدارية والحكومية، ولكن من الجانب الآخر من العالم وبالتحديد في إيطاليا يعلن عالم إيطالي بأنه مستعد للبدء في عمليات الاستنساخ لمن يريد إن كان لديه القدرة على دفع المبلغ المطلوب.

بينما أعلنت السلطات البريطانية عن عزمها إنشاء أول بنك من نوعه في العالم لحفظ الخلايا الجذعية، وسوف يكون هذا المركز جاهزاً خلال سنة من الآن، فالقوانين البريطانية سمحت بالأبحاث الطبية على هذه الخلايا.

ولكن يبدو أن ألمانيا (كما هو واضح أيضاً من المقالات المترجمة هنا)، تأخذ جانباً محافظاً في هذا الشأن. فقد سعت ألمانيا وفرنسا إلى تقديم مشروع قرار إلى الدورة المقبلة للجمعية العامة للأمم المتحدة لصياغة معاهدة دولية تحظر عمليات الاستنساخ البشري على أن يدرج هذا القرار في جدول أعمال الدورة القادمة للجمعية العمومية التي تبدأ في شهر سبتمبر المقبل.

فموضوع أخلاقيات بحوث الجينوم تناقش في الغرب على جميع المستويات الحكومية، والثقافية، والدينية، والقانونية، والسياسية، طبعاً بالإضافة إلى الجانب العلمي والبحثي.

يشارك في هذا الملف خمسة من المهتمين بهذا الموضوع وهم يمثلون الجانب الأوربي (ألمانيا) والأمريكي والآسيوي (الهند). اثنان منهم من ألمانيا و هما: البروفسور إرنست لودويغ فيناكر (أستاذ في الكيمياء البيولوجية في جامعة ميونيخ)، والبروفسور

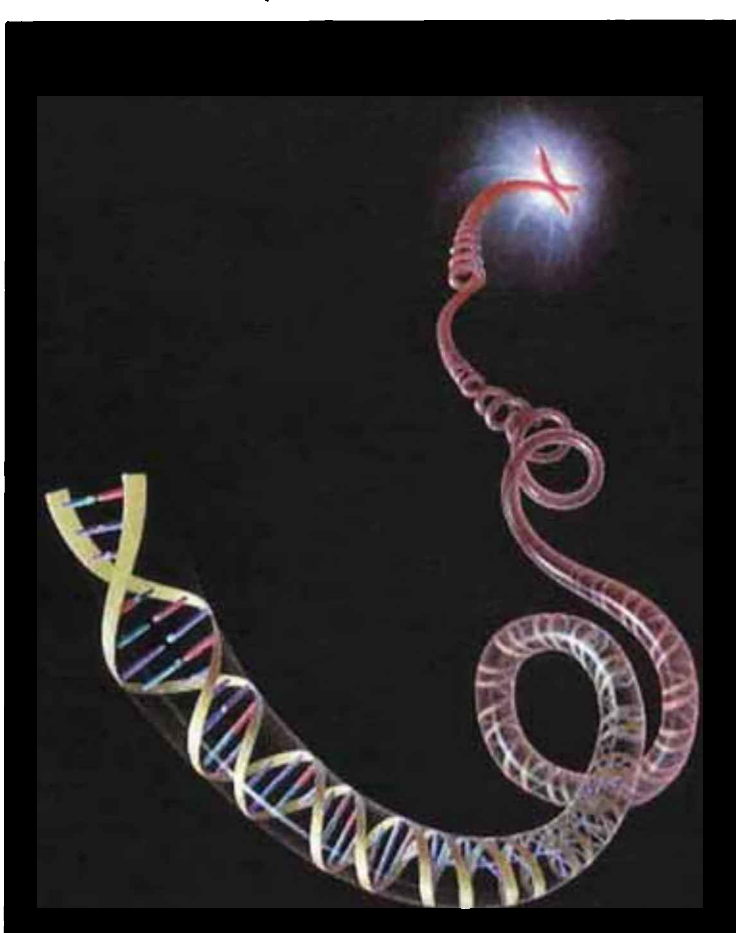
جينز رايخ (عالم في الأحياء الدقيقة والرئيس السابق لناشطي الحقوق المدنية في ألمانيا الاتحادية، وهو الآن يعمل باحثاً في مركز بحوث ماكس دليبروك برلين)، وهما يمثلان الرأي العام الأوربي، واثنان من أمريكا هما: الدكتور جريجوري ستوك (عالم في الفيزياء البيولوجية، وهو رئيس برنامج الطب والتقنية والمجتمع في كلية الطب - جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس)، والدكتورة إينا روي (عضو هيئة التدريس في مركز الأخلاقيات في جامعة بنسلفانيا ومختصة في مجال أخلاقيات الاستنساخ)، وهما يمثلان الرأي الأمريكي، وتمثل الدكتورة فاندانا شيفا من الهند (رئيسة مؤسسة الأبحاث في مجال العلوم والتقنية والبيئة في مدينة ديهرادن بالهند) الرأي العام في جنوب العالم كما قالت. وقد نشر هذا الملف في مجلة «وتش لاند» عدد إبريل / مايو ٢٠٠١م.

وعلى الرغم من الاختلافات أو حتى الاتحاد في وجهات النظر لكل منهم، إلا أن هناك أمراً واحداً ظاهراً يبرز في تلك المقالات، وهي الحيرة وعدم اليقين من الفوائد والإيجابيات التي سوف يجنيها الإنسان من هذه التقنية والخوف من تطبيقاتها المستقبلية أيضاً. بالإضافة إلى أن سرعة تطور هذه التقنيات تجعل من الصعب التوقع إلى أين سوف تتجه، وكيف سوف تستخدم، وما هو نهاية هذا الطريق.

وقد لا نوافق على بعض هذه الآراء التي وردت لبعضهم وتصطدم مع ما نؤمن به، ولكن يجب معرفتها ومعرفة الاتجاهات الحالية المستقبلية لهذه التقنية وما تثيره من إشكاليات أخلاقية لكي يتسنى لنا دراستها ووضع منهج إسلامي للتعامل مع ما تثيره من أسئلة وتطبيقات في أسرع وقت ممكن.

وقد اهتم مركز الأبحاث بمستشفى الملك فيصل التخصصي بهذه الإشكالية، فوضع نواة لقسم أخلاقيات البحوث العلمية، تضم اللجنة الاستشارية علماء أجلاء في مختلف النواحي الإسلامية والقانونية والاجتماعية والعلمية. نرجو أن تؤتى ثمارها سريعاً.

وبعد؛ كلما تعمق الإنسان في معرفة نفسه، انسل خيط من المكانة السامية التي كان يتبوأها الإنسان، فالجينوم يحول جسم الإنسان إلى مجرد آلة يمكن تعديلها ويمكن نسخها، ويمكن صنع قطع غيار مناسبة لكل فرد، و.......... وماذا بعد؟ سؤال حائر من الصعب الإجابة عنه، بل إن من المرعب الإجابة عنه...؟!!!.



الشكل الحلزوني لـ D.N.A

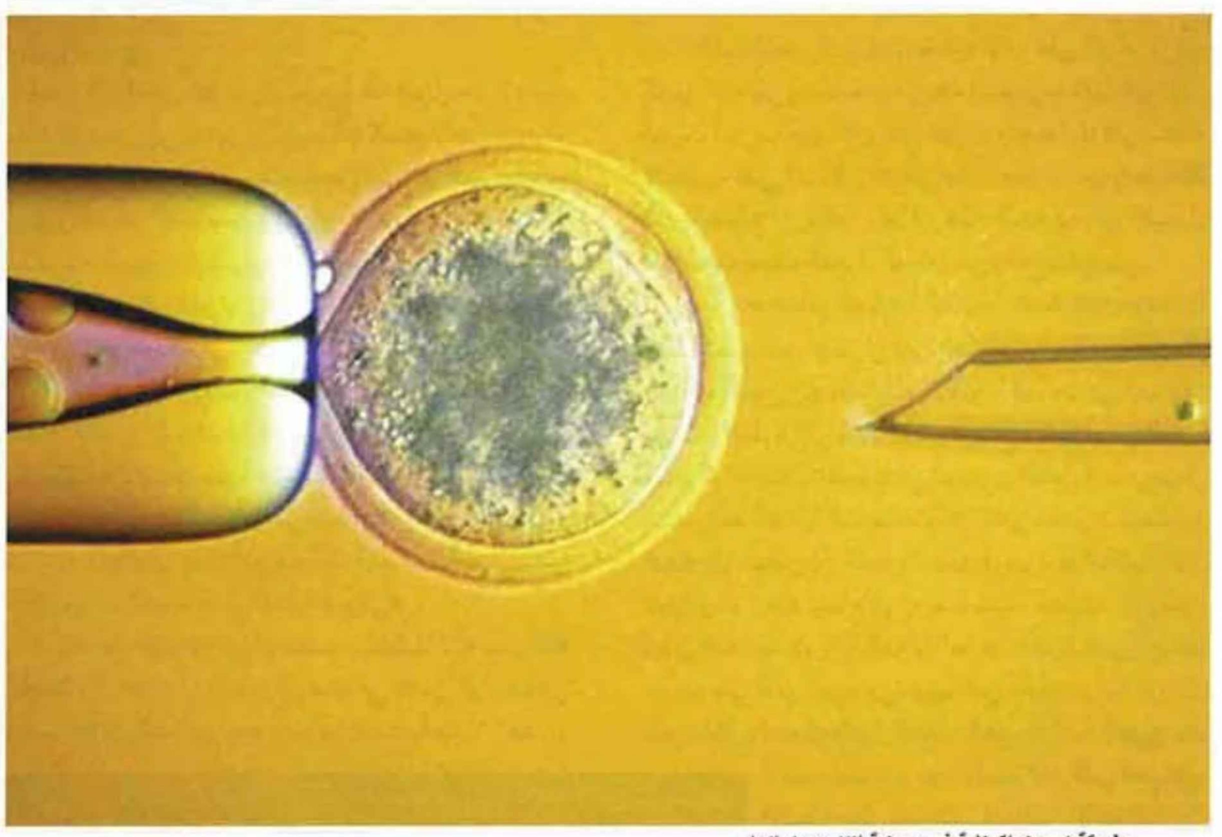
خريطة الحياة

(بروفسور: إرنست لودويغ فيناكر)

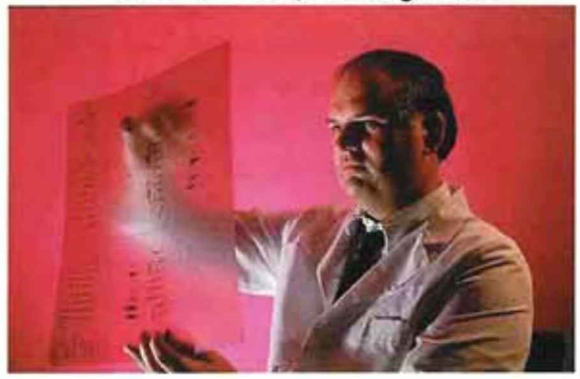
أعطى حل لغز الجين البشري منظوراً جديداً للنقاش حول خطورة البحث الجيني وإمكانيته. فهل يجب التخلص من الجنين لأنه مصاب بمرض خطير؟ وهل يمكن تسويغ استنساخ الإنسان، كما هو مخطط له الآن؟

تتركز أنظار العالم بشكل عام والألمان بشكل خاص، حالياً في الجين ومشروع الجينوم، وكانت بحوث الجينوم موضعاً للكثير من العناوين الصحفية البارزة تنافس أمراض الحمى القلاعية ومرض جنون البقر.

وقد اعتمدت هذه العناوين على تطورات



طريقة زرع نواة خلية في بويضة انتزعت نواتها



علمية تمت في السنوات الخمس عشرة الماضية على أكثر تقدير، ودعوني أشرح لكم الخطوات الأربع التي أرهصت بقدوم عصر جديد.

أولاً - قبل نحو ثلاثين عاماً اكتشف في الولايات المتحدة الأمريكية، طريقة تسمح للباحثين بعزل مقطع محدد من البنية الجينية للكائن الحي وتصنيفه، فإضافة إلى الفرص الهائلة التي فتحها هذا الكشف للبحوث العلمية، فإن صنع قاعدة للنهوض بصناعة التقنية الحيوية (بيوتكنولوجي).

ثانياً - وفي عام ١٩٩٥م، كان هناك أمران أصبحا واضحين: الأمر الأول: أن السرطان مرض جيني، والأمر الآخر أن العلم بلغ الحد الأقصى في قدرته على محاربة السرطان، فقد اكتشف أن أغلب جينات السرطان موجودة في فيروسات مسرطنة، ومع ذلك، فهي ليست كثيرة. وهذا ما دفع باحث الفيروسات الأمريكي ريناتو دولبيكو إلى الاستنساخ؛ لأن البحوث التي تهدف إلى كشف جينات السرطان يجب ألا تقف على الفيروسات فقط، بل يجب التركيز في البنيات الجينية للعضو المصاب بالسرطان، ولأن محور الاهتمام كان السرطان في الإنسان، فقد اقترح أن يتحول الباحثون في اهتمامهم إلى الجينوم البشري. وقد أثنى على وجهة نظره الكثيرون مع كثير من عدم التصديق.

وكان الاهتمام بالتطورات التقنية قد تباطأ قبل ما يقارب أربع سنوات؛ وذلك بسبب الضغوط الاقتصادية، وحينها كان مشروع الجينوم يخطو خطوات مسرعة ولكن مازال بعيداً عن تحقيق هدفه، وفي هذه الأثناء دخل القطاع الخاص منافساً قوياً لمراكز البحوث المدعومة من قبل الدولة في السباق للكشف عن

الجينوم البشري.

وضع المتنافسون وكل من يعمل في هذا المجال جدولاً زمنياً محدداً للوصول إلى هدفهم، ولكن ـ وكما اتضح لاحقاً ـ فإنهم لم يحطموا فقط الزمن الذي وضعوه من قبل، بل إنهم حطموه وبفارق ضخم. فمنذ صيف عام ٢٠٠٠م، كانت المعلومات الخاصة بالجينوم البشري قد خزنت في بنوك المعلومات الإلكترونية، وفي فبراير عام ٢٠٠١م، كانت جميع هذه المعلومات متاحة للكل في جميع أنحاء العالم.

ثالثاً ـ قبل نحو أربع سنوات أو أكثر أثبت الباحثون إمكانية استنساخ الثدييات بواسطة تقنية زرع الخلية. فعن طريق زرع نواة خلية أخذت من خلية مكتملة النمو، في بويضة خلية انتزعت نواتها، فقد نجحوا في تربية كائن حي يحمل بنية جينية متطابقة تماماً مع جينات الخلية المكتملة النمو استخدمت، وكانت هذه هي النعجة «دوللي».

كانت هذه التجربة عملاً علمياً مدهشاً؛ لأنه حتى تلك اللحظة كان يُعرف أن التطور من خلية في الجنين إلى خلية في جسم مكتمل النمو هو عملية تتم في اتجاه واحد لا تنعكس، وهذا الافتراض الذي ثبت خطؤه الآن، على الرغم من أن الحيوانات التي ولدت حية من هذه التجارب كانت قليلة (قد أجريت تجارب حتى الآن على الفئران والعجول)، ففي سلسلة التجارب التي أدت إلى «دوللي» كان هناك جنين واحد فقط الذي استطاع أن يتطور، أما في حالة التجارب على العجول فقد أخفقت نصف العجول الحوامل في وضع مولود حي.

رابعاً ـ تعد الخلايا الجذعية الجنينية Embryounal Stem Cell المأخوذة من الفئران أحد العوامل الأساسية في علم الأحياء الخلوي الجديد. والمهم بالنسبة إلينا هنا هي الصفات الوراثية للخلية التي تملك إمكانية إنتاج ـ داخل جنين الفأر ـ جميع أنواع الخلايا الموجودة في الحيوان المكتمل النمو، ويدخل ضمن ذلك الخلايا الجنينية. ولكن الشيء الذي لا نستطيع عمله هو التطور (أو النمو) الطبيعي بواسطة ذاتها داخل الحيوان؛ لأن ذلك يحتاج إلى بويضة خلية مخصبة. فبالإمكان تعديل الصفات الوراثية للخلايا الجذعية الجنينية دون أن تفقد قدرتها على النمو البيولوجي، ولهذا فمن الممكن دراسة دور كل جين بشكل منفصل داخل العضو الحي ودراسة الحيوانات لوضع تصور عن الأمراض التي تصيب الإنسان، مثل السرطان وأمراض الأعصاب.

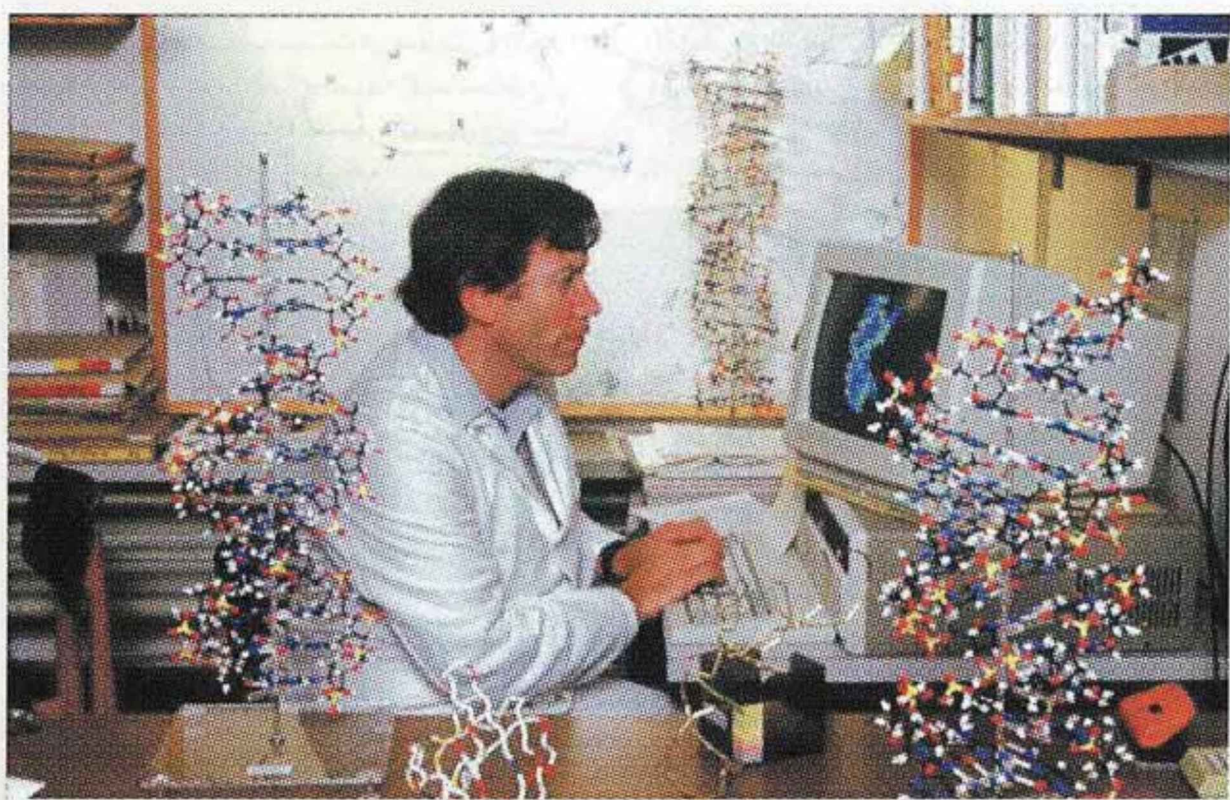


من داخل أحد المختبرات

وقبل ثلاث سنوات نجح العلماء الأمريكان من فصل الخلية الجذعية الجنينية؛ وذلك للمرة الأولى، وقد عدّ هذا عملاً في غاية الأهمية سواء كان ذلك في مجال البحوث أو تطبيقاتها العملية على حد سواء. ويخلق هذا الإنجاز الضخم تحديات كبيرة لجميع المهتمين، بالإضافة إلى أن مستقبل البحوث الأساسية في العلوم البيولوجية وتطبيقاتها العملية ـ ولا ننسى العلاقة بين العلم والمجتمع بشكل عام ـ يعتمد على إمكانية التغلب على هذه التحديات.

وفيما يختص ببحوث الجينوم، فإن معلوماتنا عن الجينوم البشري تمثل ضوءاً جديداً غير مسبوق للعلاقة بين النوع الجيني والنوع المظهري.

والمصطلح الأخير يعني إما المنتج الفوري للجين مثل البروتين، وإما ما يتعلق بالشكل الأعلى لبنية الجهاز العضوي الجيني. غير أننا، وفي الوقت نفسه، نعرف القليل جداً عن الجهاز



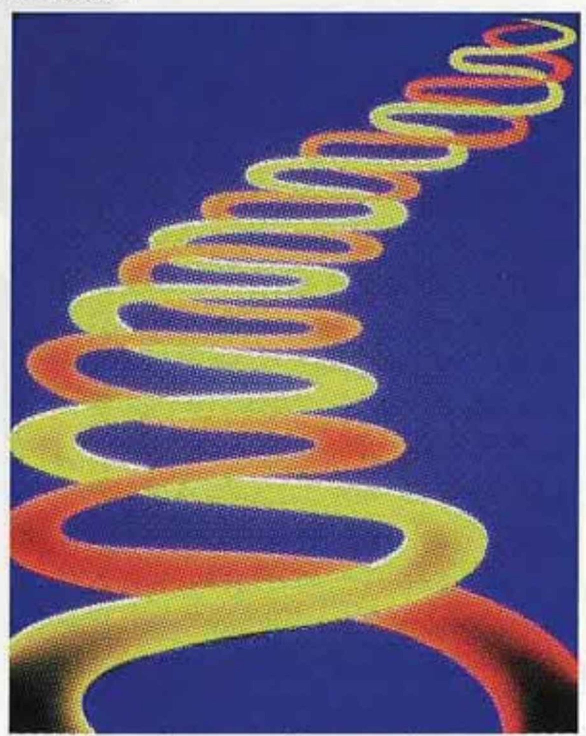
أشكال مجسمة لـ D.N.A يعمل عليها الباحث

الذي ينسق العمليات البيولوجية المختلفة داخل الخلايا.

وكثيراً ما يطلق على القرن ٢١ اسم قرن علوم البيولوجيا ولكنني لا أجد هذا اللقب مقبولاً. فنحن نحتاج إلى علوم أخرى بجانب علم الأحياء الجزيئي لمعرفة وفهم كيف يسلسل الجينوم المعلومات التي يحتويها، فنحن نحتاج إلى خدمات تقنية المعلومات، وعلم الفيزياء، وعلم الكيمياء لمعرفة ذلك، ولذلك فأنا أفضل تسمية هذا القرن بقرن العلوم بشكل عام.

وهناك نقطة أخرى وهي: كيف تؤثر بحوث الجينوم في العلاقة بين العلم والمجتمع؟ أو بشكل دقيق كيف يؤثر اكتشاف الجينوم في حياة الناس؟

وبعيداً عن تفاصيل الجينوم، فإن النقاش الدائر حالياً يتركز حول مسألة «الاستنساخ». والنُسخ هي كائنات عضوية لها البنية الجينية تماماً، وتوجد في الطبيعة في شتى أشكال الحياة، وتوجد حتى في الإنسان على شكل توائم متطابقة، ولكن الفرق هو أن النُسخ (التوائم) الطبيعية تولد دائماً في آن واحد، بينما سمحت التكنولوجيا التي أنتجت النعجة «دوللي» بتناسل النُسخ من كائن عضوي مكتمل النمو - أي أن النُسخ لم تولد في



أشكال حلزونية بألوان اصطناعية

أن واحد - ولأن هذه التقنية نجحت في الخرفان والأبقار والفئران - على الرغم من النتائج الهزيلة - فإننا نستطيع أن نستنتج نظرياً بإمكانية تطبيقها على الإنسان. وقد خطا الباحثون الذين قبلوا بالرهان على هذه النظرية خطوة، إلى الأمام في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا، ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا شرح كيف يمكنهم الحصول على نحو ١٠٠ أم بديلة Surrogate مطلوبة لأبحاثهم.

وكيف سوف يتصرفون بالأعداد الكبيرة من المواليد التي ستولد بتشوهات محزنة. وهل لديهم (الباحثين) النية للاعتناء بهؤلاء الأطفال بأنفسهم، أو أنهم سوف يلقون بهذه المسؤولية على كاهل المجتمع؟. وأنا أعدّ هذه التجارب غير علمية وغير مسوغة أيضاً.

وقد كان هناك نقاش بين الباحثين في نوع من الاستنساخ لا يتضمن استنساخ كامل الكائن الحي (مثل النعجة دوللي) و يسمى هذا النوع بـ «الاستنساخ العلاجي». وهذه الطريقة تتضمن البدء في تنمية الجنين المستنسخ، مثل «دوللي»، ولكن لا يُسمح له بالتطور لتشكيل كائن حي مكتمل النمو، وعوضاً عن ذلك، وتحت رقابة معملية صارمة يتحول هذا «الجنين الكيماوي»(١) إلى أنسجة عضوية يحتاج إليها المتبرع لهم في جراحات نقل الأعضاء وزراعتها؛ ولأن زراعة العضو سوف تصنع من الجينوم الخاص بالمريض نفسه، فإن مشكلة الرفض المناعي، الذي كان سبباً في إخفاق كثير من هذه العمليات، سوف يمكن التغلب عليها.

ولكن النقاش الدائر حول هذه التقنية يتفادى التعرض لحقيقة عدم وجود شخص حتى الآن تمكن من تطوير معادلة سحرية لنقل الجنين مباشرة إلى العضو المطلوب زرعه، وفي الوقت نفسه فإن الباحثين أيضاً يغضون النظر، وبشكل كبير، عن المشكلة التي تواجه أغلب هذه الخلايا، وهي أن أغلبها يتطور تطوراً بيولوجياً ناقصاً ومفزعاً. لذلك أرى أن المرحلة الحالية للبحوث لا تسوّغ استخدام «الجنين الكيماوي» للأغراض العلاجية في الإنسان، ولأن العلاج هدف بالغ الأهمية، فإن بعض العلماء يقترحون إمكانية استخدام الخلايا الجذعية الجنينية في الاستنساخ العلاجي (لغرض العلاج) وبالطبع فهذه الطريقة مازالت في مرحلة الدراسة والبحث. كما أن

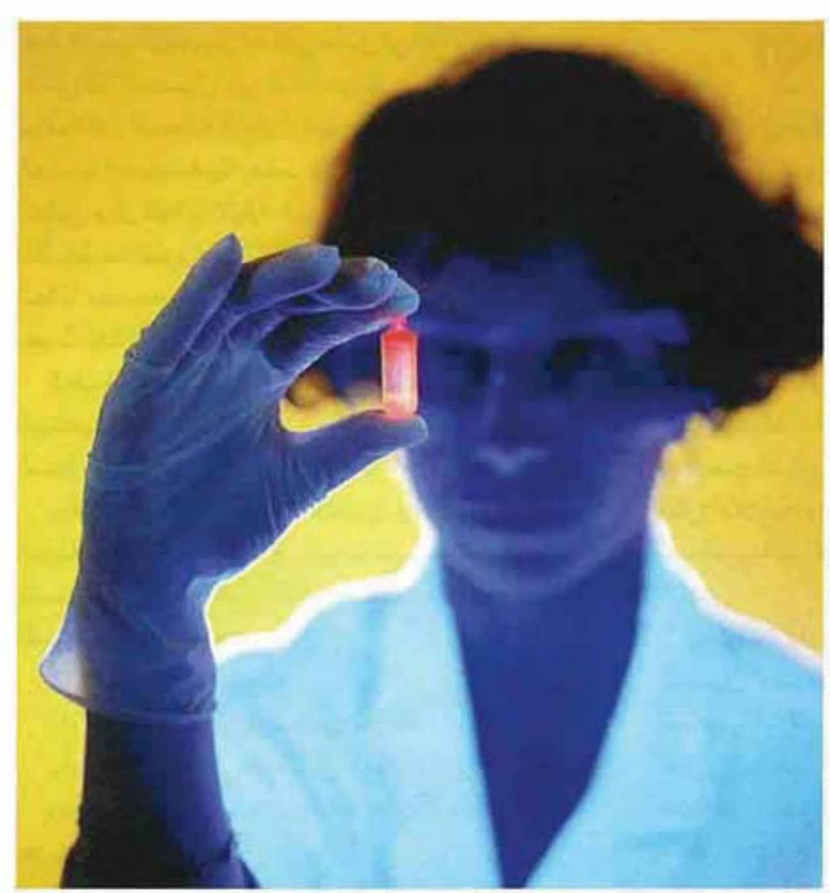
طريقة حفظ الخلايا في درجة حرارة ١٩٦ تحت الصفر المئوي



بالإمكان جعل هذه الخلايا تتكاثر بشكل لا نهائي وغير محدد في الفئران، تحت أوضاع معينة تستطيع هذه الخلايا أن تتطور تلقائياً إلى أنواع متعددة، مختلفة من الخلايا، وفي الإمكان السيطرة على هذه العملية (عن طريق التحكم بأسباب النمو والانقسام للحصول على نوع معين من الخلايا). ولكن للخلايا الجذعية الجنينية للإنسان، عيب حاد وخطير موازنة بالفئران وهي: أنها تحتاج إلى بويضة بشرية في مرحلتها الأولى لتكون أساساً لتلك العملية.

وقد منع عدد من دول العالم ومن بينها ألمانيا، استخدام مثل هذه الخلايا أو الأجنة التي صنعت منها في مجال البحوث. فهل يجب رفع هذا الحظر؟ سؤال تدور حوله مناقشات عالمية صاخبة.

وفي هذا النقاش الأخلاقي، تتعارض الحقوق التي ضمنها الدستور في عمل البحوث مع حقوق حماية الجنين البشري. ولا يوجد لكلا الحقين ضمانات قانونية، أو أخلاقية واسعة، ومن المحتمل أنها لم توجد من قبل أبداً.



مراقبة بالعين المجردة

والتزامنا الدستوري لحماية كرامة الفرد وحياته وصحته، قد يحدّ من حرية البحث العلمي، ولكن ولأن القانون حالياً يسمح بأشكال معينة لمنع الحمل، والإجهاض في حالات خاصة، فإن حق الجنين البشري في الحماية ليست مضمونة تماماً.

الأهداف العليا والواقعية للبحوث

نرى في المثالين السابقين كيف أن الأحكام الأخلاقية تعتمد على المفاضلة بين مجموعتين مختلفتين من القيم. فالسؤال عن إمكانية السماح باستخدام الجنين البشري في البحوث يعتمد على تعيين الأهداف العليا للبحث المراد مناقشته.

ومن الطبيعي أن يكون شفاء الأمراض هو أهم هدف باستطاعته تسويغ القضاء على الجنين البشري، وبالذات إذا عددنا الطريقة التي تتضمن استخدام جنين بشري قد وجدت قبل ذلك من أجل الحمل الصناعي (طفل الأنابيب)، ولكن لسبب أو لآخر لم تستخدم ومن ثم عدت فائضاً معدوماً.

ولكن يجب وضع أولويات لكل حالة لا تقبل الشك، على الأقل، يجب وضع الخلفيات العلمية الموثقة في المقدمة على أنها مسوغات، لذلك فمجرد التوقع بالشفاء من المرض ليس كافياً. وكما يبدو لي فإن المعلومات العلمية التي قد تسوّغ استخدام الجنين البشري في مجال الأبحاث لم توجد بعد، أو على الأقل، ليس في الوقت الحاضر.

هل يجب - إذا كان ذلك - فرضا - لا محيد عنه - السير في الخطوات نفسها التي خطتها الدول الأوربية في المفاضلة والموازنة بين مجموعتين من القيم. فالقانون الحالي لحماية الجنين يسمح باستيراد الخلايا الجذعية الجنينية، فإذا قررنا السماح باستخدام مثل هذه الخلايا، فأنا أقترح إنتاج هذه الخلايا الوراثية بأنفسنا، وتحت أحوال تتحكم جيداً في خبرات العاملين في هذا المجال. وأيضاً لضرورة وجود الاختبارات التي سوف يقومون بها. وبهذه الطريقة لا نتفادى فقط أسلوب التفكير الملتوي الذي صبغ هذا الموضوع، ولكن أيضاً نضع علماءنا

تحت أقسى الاختبارات التي تطبق في الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على خلايا مورثة بشكل تجاري. فهل سوف تكون المحصلة النهائية السير في طريق بحوث الخلايا الجذعية الجنينية، فهذا يعتمد على قابلية الخيارات الأخرى للتطبيق مثل الخلايا الأولية النسيجية ـ المماثلة. وهذه الخلايا بالاستطاعة تطويرها من خلية منفردة محددة. ولكن في حالة الخلايا الجذعية، فالعلم لا يزال أمامه طريق طويل في مجال بحوث الخلايا النسيجية ـ المماثلة لها.

كيف نتعامل مع المشكلات التي أثارتها بيولوجيا الخلايا الجذعية، وسوف يكون العلاج بواسطة الخلية الأولى مهماً لمستقبل التقنية الحيوية.

والطريقة التي تواجه بها هذا التحدي سوف يحدد هل كانت التقنية الحيوية فعلاً معنية بالبحث عن صيغة حوار بين المجتمع أو لديها من القوة الكافية للتحكم في ذاتها لاختيار المسار الصحيح للمضي قدماً.

وقد تساءل ت. س. إليوت:

- أين هي الحكمة التي فقدناها في المعرفة؟
- أين هي المعرفة التي فقدناها في المعلومات؟

وسوف تتوهج التقنية الحيوية فقط عندما نستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة.

الأخلاقيات في عصر الجينوم
(بروفسور د. جنس رايخ)

ما فوائد وحدود تقنية الجين؟

«أربعة آراء من النقاش العالمي الدائر حول هذا الموضوع»

اكتشاف الجينوم البشري جلب معه نظرة جديدة وثرية لأصل الإنسان ومستقبله. فإذا وازنا بين التتابع الجيني لكل من البدائيات (من الثدييات) والعنصر البشري الأول، فسوف نعرف أكثر عن موقعنا في التطور البيولوجي والثقافي. مثل هذه الإثباتات توفر لنا معلومات دقيقة، مثلها مثل المصادر المكتوبة الموثقة.

توضح النتائج الأولية أن مصدر الأجناس البشرية هو القارة الإفريقية، وأن العلائق الجينية قريبة إلى الحد الذي يقفل باب التسويغات العلمية التي تغذي مبدأ التفرقة العنصرية بين الإنسان.

وسوف تزداد أيضاً، معرفتنا بالتطور ووظائف الجسم البشري، وسوف تكون في وضع أفضل لفهم القوانين التي تتحكم في الوراثة وطبيعة الصفات الفردية المكتسبة التي يبدو الآن أن لها جذراً جينياً. ولربما سوف تبرز هذه المعرفة البيولوجية، الجدال، الإيديولوجي، ولكنها لا توفر وقوداً جديداً لمناظرة جديدة. والمناظرة بالتأكيد سوف توجد، ولكنها ستتركز في التجارب في التحسينات الجينية على الأفراد. والأكثر أهمية هنا، هو التشخيص للاستعداد الوراثي للتنبؤ بمستقبل حياة الفرد والاحتمالات المصاحبة لذلك ـ وفي الواقع إن هذه التنبؤات محدودة جداً في أكثر جوانبها ـ والموضوع المؤثر والمهم هو الإمكانية الكبيرة للاختبارات الجنينية خلال فترة الحمل، والذي يبدو حتى الآن محدوداً، فهو يقترح الإجهاض كحل أمثل للعلاج، ولا يقدم سوى مساعدة ضئيلة للمرضى.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو، ما الفحوصات التشخيصية الضرورية التي يجب عملها قبل الحمل، أو على الجنين في المراحل الأولى للتكوين، وفي حالات التلقيح



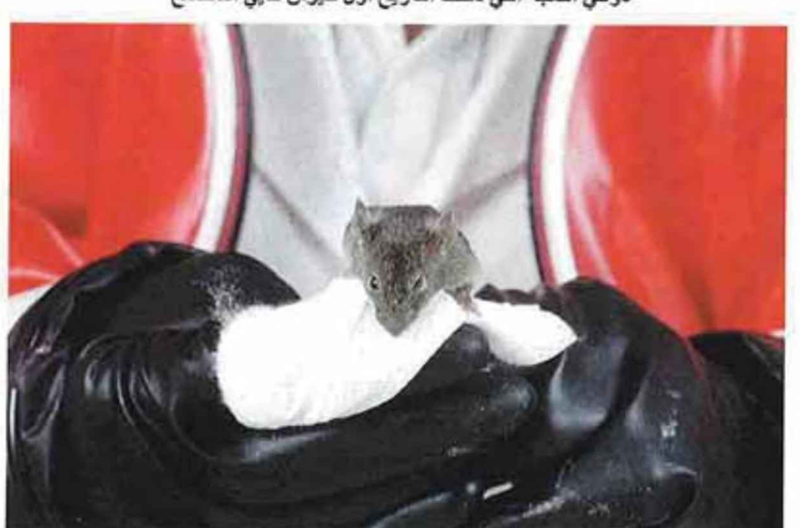
مثال لتركيبة البروتين

الصناعي، وهل مثل هذه الفحوصات تسمح باختيار البويضة المناسبة أو استبعاد البويضة غير المناسبة؟ والسؤال الآن هل تهدف القوانين إلى التأكد من أن القرارات، في مثل هذه الفحوص، قد اتخذت بخلفيات علمية بحتة، وأنها قادرة على الحد من التلاعب في مثل هذه الحالات؟ كما يجب علينا مراقبة استخدام الفحوص الجينية (على الجنين) الخاصة بتشخيص الأمراض المستقبلية، علماً بأن ـ حظر استخدامها بشكل مطلق لن يحل هذه الإشكالية؛ لأن مثل هذه الاختيارات مهمة جداً في حالات كثيرة.

إن الاكتشاف والتشخيص بواسطة الجينوم سوف يسمحان ـ ليس في القريب العاجل، ولكن مستقبلاً ـ بالتدخل في تطور الكائن البشري، وسوف يكون من الممكن تخليق توائم متطابقة جينياً من خلية منفردة ناضجة وأيضاً توائم ذوي خصائص معدلة «محسنة» على الرغم من أن المضي في مثل هذا الهدف سوف يقود إلى فوضى لا تعرف نتائجها. وحتى إذا نظرنا إلى الجانب العلاجي الطبي فإنه يثير أيضاً بعض الإشكاليات الأخلاقية، فمثلاً، اتضح أن الأبحاث أو إنتاج خلايا أو أنسجة قابلة للزرع سوف تستخدم (أو تتطلب) مواد مهمة من المتبرعين أو حتى من أجنة بشرية، وأعتقد أن تصنيع أو إنتاج مثل هذه المواد وتوفيرها لأغراض البحث ليسا في الحسبان في الوقت الحاضر، وذلك لعدم وجود أبحاث كافية على الحيوانات تسمح بتطبيق مثل هذه البحوث على الإنسان بدقة عالية. بالإضافة إلى أن النقاش السياسي في هذا الموضوع لم يتطور بشكل مرضٍ.



دوللي النعجة التي دخلت التاريخ أول حيوان ثديي مستنسخ



الفأر أكثر الحيوانات المستخدمة في تجارب الهندسة الوراثية

ومما يدعو إلى الدهشة أن الزخم الكبير لعلوم الجينات قد غيّر نظرتنا إلى النوع البشري، سواء كان ذلك بين المصفقين (المتحمسين) لهذه التطورات الذين يرون فيها بوادر تفاؤل وأيضاً بين المتشائمين الذين ينظرون إلى هذه التطورات بقلق، وهم يستخدمون أبشع الفرضيات لبسط وجهة نظرهم وتصوير باحثي الجينوم على أنهم الوحش المعاصر (فرانكشتاين) الذي يسيطر على أبحاث الجينوم، ومن ثم على مصير البشرية. يعتمد مثل هذا التصور على تضخيم غير واقعي لمبدأ كيفية عمل الجسم البشري. وعلى الرغم من ذلك يظل السؤال مطروحاً، كيف نعرف مستقبلاً ما هو الإنسان؟ وأيضاً ما هي كرامة الإنسان وحقوقه، وكيف نحمي الحياة الإنسانية قبل الولادة وبعدها؟.

ومن الواضح أن الحلول السياسية والقانونية البعيدة المدى

للمشكلات التي أثارتها أبحاث الجينوم سوف ترى النور عندما نتأكد من الحصول على إجابات شافية عن الأسئلة الرئيسة. ومن الواضح أيضًا أن النواحي الأخلاقية لا تؤسس بواسطة الحقائق البيولوجية وحدها، فالمعرفة الدقيقة بتحكم الجين في وجودنا هو شرط مبدئي ولكن غير كاف كمعيار أخلاقي. فتوفر العقل والحرية الشخصية ليس كافيًا كشرط مبدئي لكرامة الإنسان التي يجب الدفاع عنها، وذلك لأن الكثير من الناس (مثل الأطفال وذوي القدرات العقلية المحدودة) لا يملكون مثل هذه الإمكانات بدرجة كافية، ولكنهم حتمًا يملكون كامل الحقوق الإنسانية التي يجب الدفاع عنها. إني مقتنع تمامًا بأن حقوق الإنسان يجب أن تؤسس على حقيقة أن الإنسان هو

خريطة الجينوم

مخلوق يقود مجتمع العيش (الوجود) المشترك بالإيمان الميتافيزيقي المبدئي حول وجود الإنسان أعمق من أن الإنسان يعيش فترة بسيطة على الأرض وهو المبدأ الذي قد يساعد على تحديد الموقف الأخلاقي الأساسي، وما أرجوه هو أن تتم النقاشات المستقبلية في شأن حدود بيولوجيا الإنسان بهدوء وعقلانية أكبر، وأن تأخذ في الحسبان تبعيات مثل هذه الأبحاث.

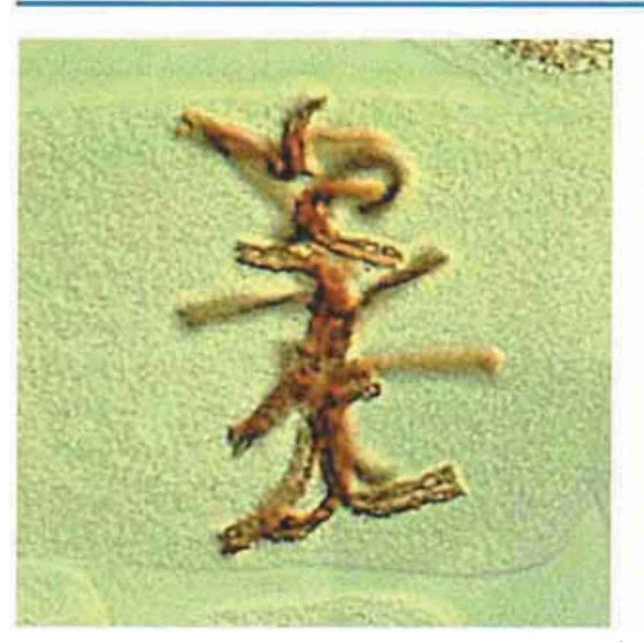
أطفال حسب الطلب - (د. جريجوري ستوك)

نحن نقف على مفترق طرق غير مسبوق في تاريخ البشرية. فالتقنية العالية التي شكلت عالمنا استدارت وأصبحت عبئًا علينا. ففي الوقت الذي تكشف البيولوجيا عن أقنعتها، ونتعلم كيف نتعامل معها، تتضاءل قدرتنا على السيطرة على تطورنا ونتجه إلى المجهول. وهذا التطور لا يهدد المبادئ والمثل الأساسية فقط ولكن يعد (والبعض يقول يهدد) في النهاية بتغيرنا.

فالتطورات السريعة في مجال الجينات سوف ترغمنا على طرح السؤال الأكثر أهمية وهو ماذا يعني أن تكون إنسانًا؟

وحجز الزاوية في تحكمنا في البيولوجيا البشرية هو هندسة «الخط الجرثومي» ويعني تعديل الجين الذي نورثه إلى أولادنا، فالتوجه إلى صناعة البشر أنفسهم يدفع الناس إلى معاودة مخاوفهم العميقة من التطور الحالي في مجال البيولوجيا الجزئية، ولكن هذه النهاية المتوقعة لذلك. فنحن لا نصرف البلايين لمعرفة طبيعتنا البيولوجية لمجرد الفضول المجرد، ولكن توقعًا لرفع مستوى معيشتنا. عطفًا على ماضينا، فنحن، في اللحظة التي تصل بها معلوماتنا عن الإنسان إلى مستوى معقول سوف نفعل ذلك من دون شك.

والسؤال ليس هو هل الوالدان (اللذان يرغبان في إنجاب أطفال) سوف يستخدمان هذه التقنية، ولكن السؤال متى وأين وكيف يستخدمانها بكل حرية؟ ومازالت هناك عقبة في تطبيق هذه الفكرة، وهي أن الحكومة توقف كل ذلك. ووجهات النظر في هذا الموضوع شديدة التباين، كما أن الحدود بين الدول أصبح من السهل اختراقها. فمثلاً عندما يأخذ زوجان من برلين إجازة شهر عسل في جزر الكاريبي، ثم ولدت الزوجة بعد ٩ أشهر طفل خارق الذكاء، فماذا تستطيع الدولة أن تعمل؟ هل سوف تأمر بفحص مخبري للجينات وتعاقب الوالدين إذا اتضح أن هناك تلاعبًا بالجين؟ وهذه الحالة أكثر سوءًا وكراهية من الحمل بحد ذاته.

أطفال الأنابيب

وفي الوقت نفسه، فإن الخطر الكامل سوف يدفع التقنية إلى العمل سراً، وسوف تكون متوفرة فقط للناس الذين لديهم القدرة والإمكانات للاحتيال على ذلك، وهو مسلك حساس وصعب إذا كنا قلقين بشأن عدم التكافؤ مع الموسرين الذين باستطاعتهم شراء قدرات خارقة لأبنائهم.

وهناك ـ مفتاحان ضروريان للمشي قدماً قبل أن يصبح «تصنيع» الأطفال واقعاً ملموساً، الأول: طريقة آمنة ومضمونة لوضع الجين في الكروموزوم البشري، والثاني: بناء جين يستحق الوضع هناك. وقد بدأت عدة شركات فعلياً في زرع كروموزوم صناعي أولي داخل بويضة بشرية، وهدفهم هو العلاج الجيني ومعرفة حركية الدواء، ونقل هذه التقنية إلى جنين بشري يبدو ليس صعباً.

ليس هناك في الوقت الحاضر بناء جيني يعطي أملاً للآباء المنتظرين، ولكن انتهاء مشروع الجينوم هو البداية فقط وليس النهاية.

وسوف تكشف الخطوات السريعة للجينوم، والمعلومات البيولوجية، وتقنية قطع د.ن.أ D.N.A، عدداً من التأثيرات الجينية التي سوف تعرفنا أنفسنا، والكثير منها سوف يكون صعب التناول، ولكن بعضه الآخر سوف يكون مدهشاً في بساطته. فهل يتمكن علماء الجينات من إيجاد طرائق لوقف الشيخوخة؟ أو هل باستطاعتهم زيادة الذكاء البشري؟. لم يتصور أحد منذ عقد مضى أن طفرة جينية واحدة في ذبابة الفاكهة ضاعفت من عمرها، ولذلك من يعلم ماذا يمكن أن يكون عندما يتم التحكم في الجينات.

فالاستنساخ ـ أي ولادة توأم مطابق بعد زمن ـ مبدأ غريب، ولكنه يتحدى بقوة معلوماتنا الأولية عن معنى أن تكون إنساناً، وعندما نبدأ بشكل واع تفصيل جينات أطفالنا وتطويرها، سوف نبحر في محيط مظلم لم يطرق من قبل.

هندسة «الخط الجرثومي» سوف تأتي ليس من علماء شاذين يحاولون تخليق سلالة مسيطرة، ولكن سوف تكون تطوراً طبيعياً للاتجاه السائد في بحوث البيولوجيا الطبية التي ندعمها جميعاً. والتطورات العلمية سوف تمنع أي عقبة في طريق تطورها. وقد تحجم بعض الدول عن الاستمرار، ولكن هذا سوف يجعل هذه البحوث بين أيدي دول أقل قرفاً من مثل هذه البحوث. وإذا اتضح أن هندسة «الخط الجرثومي» خطرة جداً أو عديمة النفع فأن هذا الموضوع سوف يُنسى ويفقد بريقه. والتحدي الكبير سوف يأتي ليس من إخفاق هذه التقنية، ولكن من نجاح الهندسة الجينية في إحداث تحسينات آمنة ومضمونة لا نستطيع مقاومتها. وهذه الفكرة تستدعي أطيافاً مؤلمة من الماضي عن علم تحسين النسل، ولكن هناك مسوغ ضئيل للحفاظ على عملية التناسل التي هي منطقة مقدسة يجب علينا عدم المساس بها، وعندما تزداد سيطرتنا على التناسل البشري، سوف نواجه خيارات يفضل الكثير منا عدم مواجهتها.

والجانب المهم للوعي بهذه التطورات المستقبلية هو أننا اليوم

نتعامل جميعاً معها بجهل مطبق. وبمثل عدم اليقين هذا، سوف يكون الحظر عملاً خطيراً؛ لأن التقنية المختبئة سوف تستمر في التطور، وسوف تتزايد التطبيقات العريضة غير المجربة.

وعندما تصل هذه التقنيات إلى مرحلة آمنة، فمن حق الأجيال الآتية علينا التي لا تعي بعد، أن نجرب هذه التقنيات بحكمة، وسوف تحدث أخطاء في مرحلة التجارب، ولكن سوف يكون لدينا الوقت للتعلم من أخطائنا ومعرفة كيفية إدارة التقنية بحكمة.

فالتأكيد المطلق المعبر عنه بمقولة «حقنا في عدم تحوير جيناتنا المكتسبة» هو تعبير أجوف، وسوف يكون من الأجدى عدم التسرع وانتظار ما يستجد، والتعامل مع المكاسب والمخاطر في حينها. فالطريق مازال طويلاً أمام البحوث وتطبيقاتها الواسعة في المجال الطبي..

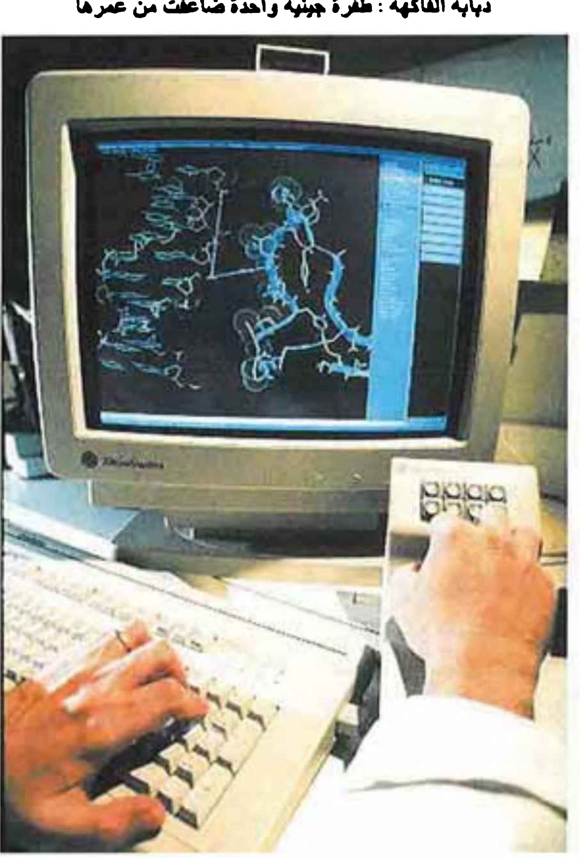
وسوف تظل عمليات مثل الاستنساخ، والتشخيص الجيني لما قبل الإخصاب، وتطوير «الخط الجرثومي»، عمليات معقدة وصعبة ومكلفة، وهي تختلف عن السلاح النووي بأنها لا تشكل خطراً على الأبرياء غير المهتمين بها.

فالعائلات التي سوف تكون في خطر هي التي لديها معرفة كاملة بالموضوع، وهي عائلات متنفذة وافقت على تجربة هذه التقنيات. فلماذا كل هذا الغضب ومحاولة إيقافهم؟ وإلى جميع الذين يقولون بألا نلعب دور الله؟ فأقول لهم: نحن نمارس ذلك فعلياً، فكلما استخدمنا حبوب منع الحمل، أو زرعنا كلية أو وضعنا قمراً صناعياً في الفضاء. وكلما زادت سيطرتنا على أمور كانت في الماضي بعيدة المنال سنكون مسؤولين أيضاً عن السيطرة على قوتنا المتزايدة. فالتظاهر بأن تقنية الجينوم وتقنية الإخصاب لن تتوحدا في منظومة قوية ليس من صالحنا أو صالح الأجيال الآتية من بعدنا.

وأنا أعتقد أن إنسان المستقبل عندما ينظر خلفه إلى الزمن الذي نعيشه الآن سوف يرى أنه كان زمن تحديات، وزمناً صعباً، ذا ومضات مدهشة وضعت قواعد ذلك المستقبل الذي يعيشه. وقد يراه أيضاً أنه كان زمناً غريباً وبدائياً، كان الناس يعمرون فيه ٧٠ إلى ٨٠ عاماً فقط، زمناً كانوا يموتون فيه بأمراض فتاكة، ويحملون بأطفالهم خارج المعامل بواسطة التقاء عشوائي بين بويضة وحيوان منوي.



ذبابة الفاكهة : طفرة جينية واحدة ضاعفت من عمرها

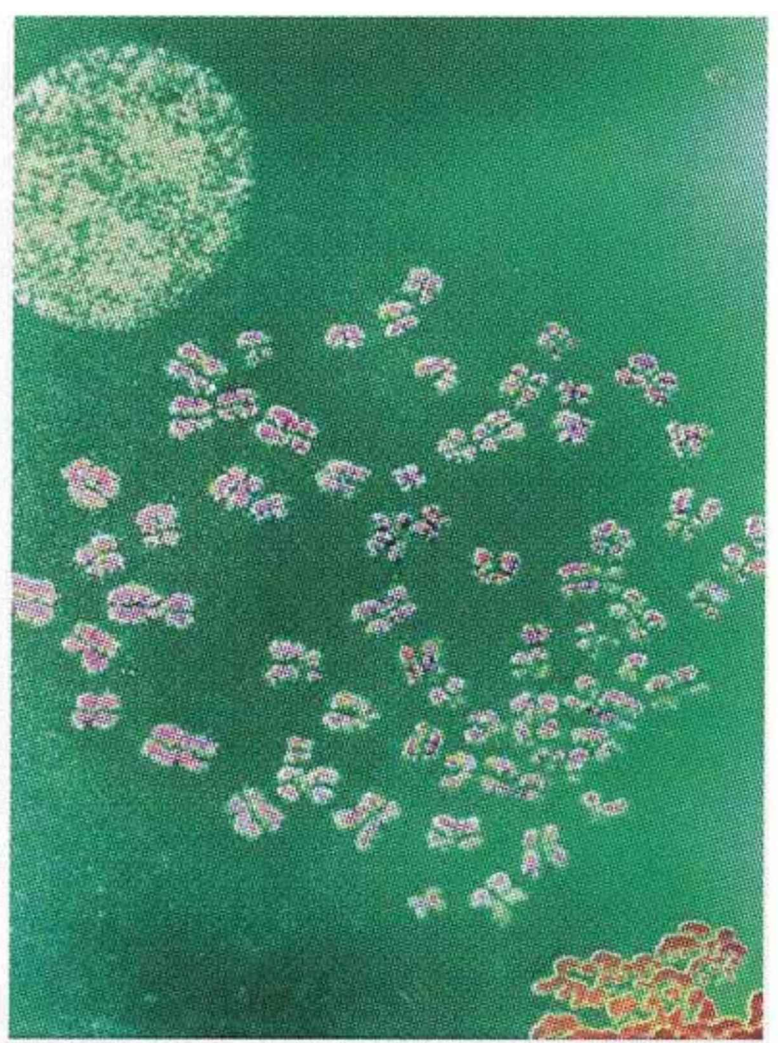


«الحياة.. وبراءة الاختراع»
(د. فاندانا شيفا)

في منتصف الثمانينيات وعندما تطورت التقنية الحيوية وأصبحت متاحة تجارياً، قُدمت على أنها وصفة سحرية للتغلب على الجوع وعلاج للأزمات البيئية. ولكن عندما ننظر إلى الخلف ونحن في عام ٢٠٠١م، سوف نجد أن «الوصفة السحرية» في التقنية الحيوية في الزراعة كانت سلسلة من الإحباطات والإخفاق، سواء نظرنا إليها من وجهة نظر تأمين الطعام للفقراء أو من وجهة نظر بيئية، فإنها عمقت الأزمة وخلقت مشكلات أكثر من الحلول، فمثلاً، الطماطم ذات

الطعم المميز، والهرمون المنشط المركب YBGH، والبكتريا المطورة بطريقة الهندسة الجينية التي تحول الكتلة البيولوجية إلى غاز الإيثينول، كانت جميعاً وصفات سحرية مخفقة. فـ YBGH كان من المفروض أن يحسن دخل المزارع عن طريق زيادة كمية الحليب في الأبقار، وكان من المفروض أن هذا العقار غير مضر للأبقار، كما أن الحليب المنتج صالح للمستهلك. غير أن دخل المزارع انخفض، وعانت الأبقار من أمراض جديدة وارتفعت نسبة العامل المنشط المعادل للإنسولين في الحليب IGI-1 إلى خمسة أضعاف، والذي أثبتت الأبحاث أن ارتفاع نسبته في دم المرأة سوف يرفع نسبة ظهور سرطان الثدي بعد سن اليأس إلى سبعة أضعاف، ويعد المستوى المرتفع من IGI-1 أكبر عامل خطورة مؤد لسرطان البروستات والقولون.

وقد قدمت بكتيريا (كليبسيلا) المطورة عن طريق الهندسة الجينية على أنها المخلص البيئي الذي يساعد على التخلص من فضلات المزارع، وتوفر طاقة على شكل غاز الإيثانول، وسماداً على شكل طين. وعندما أجريت التجارب على هذا الطين المصنع بالهندسة الجينية، اكتشف أن بذور القمح قد ماتت على الرغم من البكتيريا نفسها لا ضرر منها. فالوصفة السحرية البيئية المصنعة جينياً، كانت سوف تؤدي إلى كارثة بيئية خطيرة لو أنها طبقت بشكل تجاري. والمشكلة في هذه الوصفات السحرية المصنعة من التقنية البيولوجية أنها تطبق بشكل متيسر وتضخم فوائدها وما تعد به بالإضافة إلى التجاهل وعدم الاعتراف بتكلفتها أو خطورتها. وهناك اختيارات تفوقها وقد أثبتت جدواها. وقد اعترف البنك الدولي بأن إعادة اكتشاف واستعمال الأعشاب المحلية واستهلاك الخضراوات والفواكه الغنية بفيتامين P، قد قللت بشكل مدهش من التهديد بالإصابة بمرض نقص فيتامين VAD– P للأطفال خلال السنوات العشرين الماضية؛ وذلك بشكل رخيص وفعال جداً.

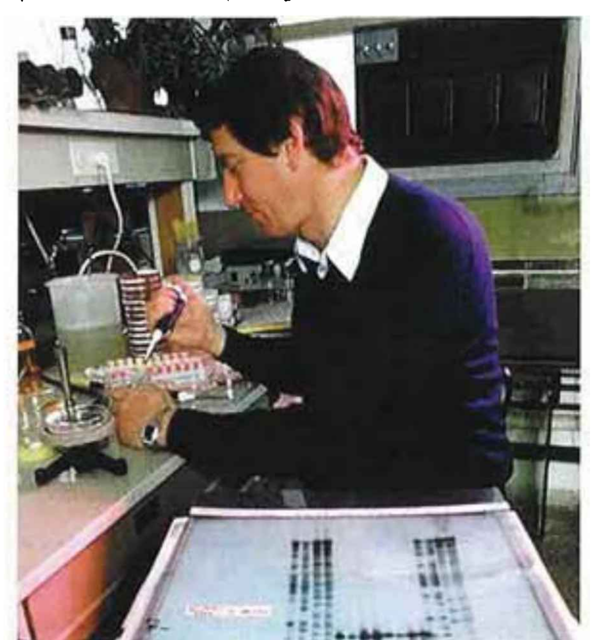


مجموعة من الخلايا تحت المجهر

تستعمل النساء في البنغال أكثر من ٢٠٠ صنف مختلف من الخضراوات الحقلية، وكلما كان الغذاء أكثر تنوعاً زادت قابلية الجسم لامتصاص فيتامين P. ويرجع سبب انتشار مرض نقصان فيتامين P في الهند - على الرغم من الثراء البيئي الحيوي ووجود عنصر المعرفة (الطب) الشعبية إلى أن الثورة التقنية الخضراء قد ألغت التنوع البيئي عن طريق تحويل نظام المحاصيل المتنوعة إلى نظام المحصول الواحد، وهو هنا القمح والأرز فقط، وأيضاً عن طريق الاستخدام الواسع لقاتلات الأعشاب التي في النهاية قضت على المراعي الخضراء. وإلى الآن فإن الهندسة الجينية لم تثبت نفسها كمحافظة على الزراعة المعتمدة على التنوع الإحيائي سواء كان ذلك على المستوى البيئي أو المستوى الغذائي، ومن وجهة

نظر المزارعين والمستهلكين فإنها ترفع التكلفة وتجلب خطورة إضافية من دون أن تقدم أي فوائد، ولكنها ومن الجانب الآخر، جانب علوم الحياة، وجانب المؤسسات الزراعية التجارية، توفر طرائق جديدة للسيطرة على الحياة والسيطرة على الغذاء من خلال حقوق «براءة» الاختراع؟!!

فالهندسة الجينية، وعن طريق إمكانية إدخال جين غير مسبوق في كائن حي، قد سمحت بتعريف أشكال الحياة على أنها اختراع، ومن ثم لها حقوق «براءات» اختراع. ولكن نقل جين من كائن عضوي إلى آخر لا يساوي «صنع» كائن عضوي وهو يعادل نقل الأثاث من منزل إلى آخر، فنقل الأثاث لا يعامل على أنه عمل معماري عندما نتكلم على طوب ومونة. ونحن عندما نتعامل مع أشكال الحياة فإن أخطاء أخلاقية، وإبستمولوجية، وإنطولوجية فاحشة قد تقع عندما نعدّ ناقلي الجينات صناع حياة. بالإضافة إلى أن حقوق الاختراع غير مقنعة، فإنه سوف يكون لها تداعيات خطيرة في مجال توفر الغذاء والعلاج للناس، بالإضافة إلى التطور المستقبلي للمعرفة والبحوث، وعلى الرغم من وجود خلافات كبيرة بين الشمال والجنوب، إلا أن السياسة المشتركة للشمال - والجنوب في قضية الهندسة الجينية، تتمحور حول مسؤولية الخطر البيئي. ونقيض للتصور السائد من أن الشمال أكثر اهتماماً بالبيئة فإن الجنوب هو الذي تزعم مفاوضات السلام



عمل دائب يسهم في تطوير علم الهندسة الوراثية

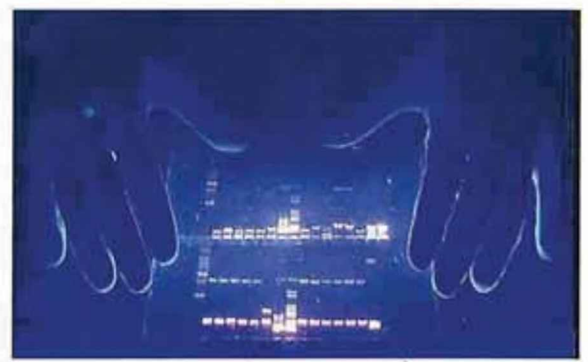
البيولوجية. فالجنوب يجسد المثل العالمية في مجالي السلامة والأخلاقيات البيولوجية في عصر التقنية البيولوجية.

«الأحلام والقلق» - (د. إينا روي)

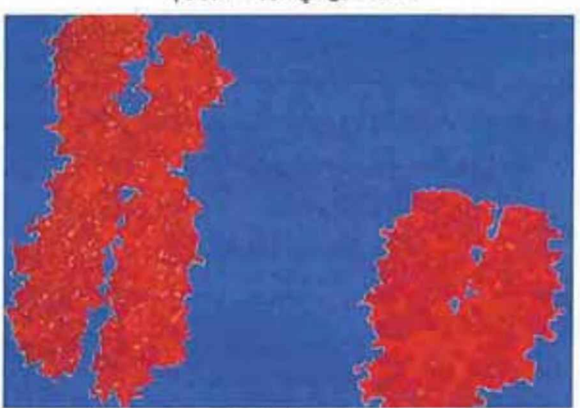
أدى نشر سلسلة الجينوم البشري إلى عدد من المفاجآت، وإحدى هذه المفاجآت، هي نوعية التنوير الذي نتوقعه من المعرفة العلمية.

ولكن ردود الأفعال تباينت بين دول العالم الغربي حول الاستخدامات المتوقعة لهذه المعلومات. ففي الولايات المتحدة الأمريكية قدم كريج فنتر وفريقه نظرة متفائلة لاستخدام المعلومات الجينية عندما أعلن عن إكمال الكشف عن تسلسل الجينوم البشري. وكانت تفوح من التغطية الإعلامية المبدئية لنشر السلسلة، رائحة النصر، فقد قال عنها الرئيس الأمريكي الأسبق كلينتون: «إن المسودة، هي الخريطة الأكثر إدهاشاً قام بصنعها الإنسان». وقد جاءت أبرز الأصوات المعارضة من قبل المجموعات الدينية المحافظة، والذين اعترضوا ليس على مبدأ استخدام المعلومات الجينية بشكل عام، ولكن على إمكانية استخدام هذه المعلومات في إلغاء نظريات خلق الإنسان أو رفضها. وقد رحب وزير الأبحاث الفرنسي روجر جيراد شوار تزنبرج، بهذه المناسبة بأنها «انتصار لمن يريدون للمعرفة أن تظل حرة» ولكن ردود الفعل للدول الأوربية الأخرى، جاءت لتبرز لنا الجانب المظلم من هذه المعرفة. فمع إمكانية تحديد جوهر جين الجنس البشري، بمستوى (أو يمكن بدقة أكثر) كما في بصمات الأصابع سوف يكون لدينا القدرة على التفريق بين نوعيات مختلفة من البشر. وقد أجرت ب. ب. سي B.B.C إحصائية، لوحظ من خلالها أن هناك شعوراً متناقضاً حول استخدام هذه التقنية، وبالذات حول إمكانية التفرقة العنصرية ضد المرأة أو ضد الأقليات، مما يرجح أن الشعور العام في بريطانيا لا يعادل القبول غير المشروط في استخدام تقنية الجين الموجودة في أمريكا.

وقد جاءت أعنف التحفظات من ألمانيا. وذلك لسببين: أولهما أن بعض مشروعات الجينوم تتضمن علم التناسل، والسبب الآخر أن الفحص الجيني قد يستخدم لتحديد الخلل الجيني عند الجنين، أو لتعديل الجين لمصلحة بعض المميزات العنصرية، وفي الواقع كان هذا رد فعل متوقعاً من الألمان، إذا أخذنا في الحسبان التاريخ القاسي الذي مر عليها خلال القرن الماضي بشأن التمييز العنصري. هذه الاستجابات المختلفة تقول الكثير جداً لما يبدو أنه إعلان علمي بسيط.



تأمل عميق في خريطة الجينوم



كورموزوم X-Y

إنها تعبر عن الاختلافات التاريخية بين الدول، والتي تؤثر في كيفية شعورنا حيال الحقائق الأساسية لبيولوجيا الإنسان، ولكن وربما بشكل أكثر أهمية. فإن الاختلافات في ردود الأفعال تبين صعوبة الوضع مع ما يجب التمسك به في وجه معلوماتنا المتزايدة عن الجينات بشكل غير مسبوق.

وكاختصاصية في أخلاقيات البيولوجيا فإن رغبتي وتدريبي يدفعاني إلى الأخذ بالإستراتيجية نفسها التي اتبعتها كل من بريطانيا وألمانيا، في تشكيل خطة قانون مدني لمعالجة المشكلات الناتجة من استخدام الجينيوم البشري.

وهذا الحل يبرز المخاوف التي لدى الأفراد عن قابلية «السوق الحرة» لاستخدام بعض هذه المعلومات أو كلها التي تحدد شخصيتنا.

ولكن، ولوضع قانون مناسب، يجب أن نواجه الافتراض غير المعلن والذي يعبر عن كل من القبول المندفع لمشروع الجينوم البشري، والخوف منه أيضاً. افتراض أن جيناتنا تصوغ شخصياتنا كما نحن الآن؟! وكل منا يعرف ولأسباب واضحة أن ذلك ليس صحيحاً. فجميعنا يعرف أن التوائم «متطابقة». أي أنها تملك شفرة جينية واحدة، ولكن وبملاحظة بسيطة تكتشف أن لكل منها شخصية مستقلة، لها أهداف وطموحات وعقائد وأفكار تخص كل منها. إضافة إلى ذلك فإن المدرسة العلمية السابقة قد بدأت بتفصيل العلاقة المعقدة بين التأثيرات الطبيعية، والاجتماعية، والبيئية في تطوير وتشكيل شخصية الإنسان.

ومع ذلك فإن الإعلام والرأي العام إضافة إلى العلماء أنفسهم، يتصرفون كما لو أن الجينات هي التي تحدد كل ما في شخصيتنا، وهو اعتقاد يسمى في بعض الأحيان «بالاختزال الجيني». وفي اللحظة التي نفترض أن الوراثة تحدد كل ما فينا، سوف نتوقف عن محاولة تحدي جيناتنا عن طريق التدريب أو الاهتمام أو التطلع إلى تعلم مميزات ثمينة ومهمة. فالكثير من الملكات التي تؤثر في تحديد شخصية الفرد، كالكاتب، أو عازف الكمان، مثلاً، أو حتى رسام الشخص، ليست جميعها أو كلها ملكات فطرية.

فإذا اعتقدنا أن وراثة ملكاتنا لها الأولوية، فهذا يعني أننا نتناسى أن تلك الأشياء هي في الحقيقة التي تحدد هويتنا الإنسانية، وبالطبع أنا لا أعني هنا، نتيجة لذلك أن الإنسان الذي يعاني من أمراض جينية يكون قد حصل عليها بسبب عدم وجوده في بيئة مناسبة.

والرسالة التي أريد تبليغها هنا، هي عند تجوالنا في عالم معلومات الجينات يجب أن نكون حذرين، ومتأهبين، وحساسين لرغباتنا.

فهل نحن مشمئزون من إمكانية معرفة العميل الفدرالي تفاصيل جينات شخص معين لأنه سوف يسيء استخدام تلك المعلومات؟! أو هل نجد أن ذلك مفزع لأننا نعتقد أن ذلك العميل يعرف أكثر من اللازم عن ضحيته؟ وهذه الأخيرة تحمل مظلة الاختزالية.

وفي اللحظة التي نعرف فيها ذلك الافتراض، هل نستطيع رمي القوانين العامة التي سوف تستمر بالعمل بها وتكوين قوانين تملك قيمة طويلة الأمد للتأكد من سلامة الأفراد وتساويهم لكي يقدموا أفضل ما لديهم للمجتمع. يجب علينا رفض الافتراضية الاختزالية، إذا لم يكن هناك سبب غير أن هناك أملاً مضيئاً لكل فرد لديه الطاقة للإبداع أو لتغيير نفسه، غير معتمد على جين ورثه.

مصادر الصور: أرشيف مكتبة مركز الأبحاث بمستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض.

خطاب إلى القصيدة

عبدالله بن سليم الرشيد
الرياض - السعودية

أنا لا أريدك أن تكوني
تمثال ما شاءت ظنوني
كلا، ولا أشتاق أن
تتقمصي روح العجين
كوني لروحي مهدها السـ
ـاجي بأحلام السنين
كوني كما رقصت ريا
ح الصيف في الماء المعين
كوني كأوتار، ترجّـ
ـع ما اشتهته من الرنين

ooo

إن السواجع تنتقي الـ
أنغام في صمت الوكون
سكبت على الأمداء أسـ
ـجاعًا ملوّنة الحنين
واغرورقت في وجدها الـ
ـصافي وذابت في الشجون
غنّت كما شاءت، فمن
شجو، ومن صدح مبين
فتناثرت مثل الطيو
ف الماثرات على الجفون
وبشدوها تتدثّر الصـ
ـبوات ساحرة الفنون
هي في علاها المخمليّ
علالة القلب الحزين
فاستلهمي منها، وكو
ني الفكر يزهر في السكون
إني أعيذك أن أهو
ن عياذ مجدك أن تهوني

ما جف نبض الشعر في
هذا الزمان المستكين
إلا لأن ... رياضه
رضيتْ بأحجار وطين
سكتت جداوله فأو
مأت الجذوع إلى الغصون
فتقصّفت، وتجلّل الصـ
ـحصاح بالعصف المهين
وتخاذلت كلّ البلا
بل فيه عن هزج رصين
وتغضّنت وجنات أنـ
ـسام معطّرة الردون

ooo

هذا زمان الماضغيـ
ـن السارقين ضحى العيون
ظنّوا البداعة في صفيـ
ـف شانه النبرات دون
ولووْا ذراع الشعر فاستـ
ـعصى على لغة القيون

فإليك ... ياأهزوجتي
آمال مبتهل ظنين
أنا في يديك قصيدة
فخذي يراعك واكتبيني
وتأنقي ما شاء ذو
قك، ما ارتضى العقل الجنوني
فإذا رضيتِ عن الأنا
قة في القوام فأنشديني

ooo

هل أبصرتْ عيناك مو
جوعًا يفتّش عن أنين؟
أو هل رأيت الأمّ تبـ
ـتاع العواطف للجنين؟
أم هل يرى الظمآن يشـ
ـترط العذوبة في المعين؟
كوني إذًا عفوية الـ
لفتات، كالنبض الكمين
كوني كما شاء الهوى الـ
محموم، واستبقي ظنوني
كوني انقياد المستحيـ
ل، وإن أبيت فلا تكوني

ooo

هذا اختياري: أن أكو
ن ذبالة الشعر الطعين
فتحرّقي يا جذوة الـ
وهج الرجيم وأحرقيني

ooo

من كان يؤذيه الهديـ
ـل، فسوف ينعم بالطنين

فرار

حسين علي محمد
الرياض - السعودية

(١)

جاءَ الصبحُ
ولمْ تُشرقْ فينا الشمسْ
تركتْ شُرفتها للريحِ وللظُّلْمَةْ
فأعادتْ للقلبِ الجُرْحْ
أنظرُ فاتنتي مُعْتَمَّةْ
تهربُ من صَخَبِ اليومِ،
وتستلقي في مملكةِ الأمسْ

(٢)

تحلمُ فاتنتي الغجريَّةْ
بالطُّرقِ الآمنةِ الرَّحْبَةْ
لكنَّ الظُّلمةَ تقهرها
تُفزعُها الأصواتُ الفظَّةُ في الطُّرقِ
الوحشيَّةْ
فتراها زائغةَ النظرِ، وتخطو في رهبَةْ
تهرُبُ من شيءٍ أفزَعها!

(٣)

تبحثُ فاتنتي
ثانيةً عن بقعةِ ضوءْ
أبصرُها ذاهلةً تُعطي ساقيها للريحْ
- وهي الثابتةُ الصُّلْبَةْ -
وتُوَلْوِلُ فَزَعًا، وتَصيحْ..
باحثةً عن طُرُقِ الأوْبَةْ

صبيحة الغياب

(إلى عبدالله السيد شرف)

(١)

يا قِطَّتي الأليفةَ الشَّقراءْ
ما عادَ عبدالله واقفًا
في بَهْوِكِ المُضيءِ في الشتاءْ
مُفجِّرًا أشعارَهُ الجميلةَ الخضراءْ
ما عادت الأصحابُ مثلَ عهدها
في أوَّلِ الأيام..
يُنصتونَ للأشعارِ، والغزَلْ
ويحلُمونَ بالقُبَلْ
وأنتِ يا حَسْناءْ
عيناكِ تضحكانِ في طفولةٍ شقيَّةْ
يا وردتي الأليفَةَ العصيَّةْ!

(٢)

ما عاد عبدُالله يطلبُكْ
في الليل...
أو يُهاتفُكْ
يُعيدُ:
متى ستُشرقِين في غيابِهِ الطويلْ؟
(تُجيبُ في قَلَقْ)
- غدًا
- إذًا متى ستكتُبين سطرَكِ الجميلَ
في الرسالةِ الأخيرَةْ؟
إلى اللقاءِ يا حبيبتي المسافِرَةْ
في دوْرةِ الفَلَكْ؟

(٣)

ما عادَ عبدُالله غاضبا
من الغزالةِ الشقراءِ فوقَ العُشْبْ
وقُرصُ شمسِهِ البعيدْ
يغرُبُ في السماءْ
ماعادَ يسألُ السؤالَ، أوْ يُعيدْ
قدْ سافرَ الأحبابْ
فمنْ تراهُ باكيًا صبيحةَ الغيابْ؟!

مَنِ الْفَتَى؟[١]

محمود سامي البارودي باشا

سَمِعَ الْخَلِيُّ تَأَوُّهِي فَتَلَفَّتَا
وَأَصَابَهُ عَجَبٌ، فَقَالَ مَنِ الْفَتَى؟(١)

فَأَجَبْتُهُ إِنِّي امْرُؤٌ لَعِبَ الأَسَى
بِفُؤَادِهِ يَوْمَ النَّوَى فَتَشَتَّتَا

أُنْظُرْ إِلَيَّ تَجِدْ خَيَالاً بَالِيًا
تَحْتَ الثِّيَابِ، يَكَادُ أَلا يُنْعَتَا(٢)

قَدْ كَانَ لِي قَلْبٌ أَصَابَ سَوَادَهُ
سَهْمٌ لِطَرْفٍ فَاتِرٍ فَتَفَتَّتَا(٣)

تَبِعَ الْهَوَى قَلْبِي فَهَامَ، وَلَيْتَهُ
قَبْلَ التَّوَغُّلِ فِي الْبَلاءِ تَثَبَّتَا

أَلْقَتْهُ فِي شَرَكِ الْمَحَبَّةِ غَادَةٌ
هَيْهَاتَ، لَيْسَ بِصَاحِبِي إِنْ أَفْلَتَا

كَالْوَرْدِ خَدًّا، وَالْبَنَفْسَجِ طُرَّةً
وَالْغُصْنِ قَدًّا، وَالْغَزَالَةِ مَلْفَتَا(٤)

نَظَرَتْ بِكَحْلاوَيْنِ أَوْدَعَتَا الْهَوَى
بِالْقَلْبِ حَتَّى هَامَ، ثُمَّ تَخَلَّتَا(٥)



تَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْعَذُولُ بِمَا جَنَى
طَرْفِي عَلَيَّ لَسَاءَهُ أَنْ يَشْمَتَا

طَرْفٌ أَطَلْتُ عِنَانَهُ لِيُصِيبَ لِي
بَعْضَ الْمُنَى، فَأَصَابَنِي لَمَّا أَتَى

يَا قَلْبُ حَسْبُكَ، قَدْ أَفَاقَ مَعَاشِرٌ
وَأَرَاكَ تَدْأَبُ فِي الْهَوَى، فَإِلَى مَتَى؟

الهوامش

- القصيدة من ديوان البارودي، ضبطه وصححه وشرحه: علي الجارم، و محمد شفيق معروف، وزارة المعارف العمومية المصرية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٣م.

١. الخلي: الخالي من الهم والعشق.

٢. باليًا:خلقًا (بفتح الخاء واللام) فانيًا.

٣. سواد القلب: حبته، والسهم: واحد من النَّبْل (بفتح فسكون). والطَّرْف: العين، وفاتر: ضعيف ليس بحديد، والفتور من صفات الحسن في عيون النساء؛ لأنه عنوان الخفر والحياء.

٤. الطرّة: الشعر الموفي على الجبهة تطرّه الجارية أي تسوّيه وتحلّه وتعدّله وتصففه، وتشبيه الطرّة بالبنفسج غير مألوف، ولعله يقصد إلى ما في الطرة من رائحة ذكية، أو يقصد تشبيهها بطاقة البنفسج في النعومة والغزارة.

٥. بكحلاوين، أي بعينين كحلاوين مثنى كحلاء، صفة من كحلت العينُ كحلاً (من باب فرح) وهو سواد يعلو جفونها خلقة، والكحلاء: الشديدة سواد العين.

المرايا

للكاتب الإيطالي: ماسيمو بونتمبيللي

ترجمة: محمد رجب

المحلة الكبرى - مصر

من الضروري أن أصف واحدة من تجاربي مع المرايا. أعلم أنه سوف يوجه إلي اللوم، لكن مهلاً، فإنني أخشى أن يظن الناس أني أعشق الوقوف أمام المرايا، على العكس فإنني جاد في عرض قصتي غير المسبوقة ليفيد منها من يشاء، ولعلها تكون ذات نفع.!

منذ ما يقرب من ثمانية أيام وعند الظهر أيقظتني مدبرة منزلي من أجل برقية.. وبعد لحظات كنت أطالع البرقية.. كانت من فيينا وموجهة إلى شخصي، وكان فيها:

(أغادر إلى روما بعد الغد، وسأتوقف للسلام، وحتى نلتقي لك تحياتي - ماسيمو).

***

كنت في فيينا منذ شهرين مدة أسبوعين. حاولت أن أتذكر كل من قابلتهم خلال الأسبوعين. من بينهم صديق مجري اسمه تيبور.. وآخرون(فريتز وترشارد وجون). قدحت ذهني، لكنني لم أقابل في فيينا شخصاً اسمه ماسيمو.!

هناك استنتاج واحد فقط واضح: لأنني ماسيمو الوحيد الذي كان في فيينا، فالأرجح أنني ماسيمو الذي أرسل إلى نفسه البرقية، إذن فهي برقيتي... صحت: مفهوم..!

***

لكن من جهة أخرى، فإن القارئ لا يمكنه أن يفهم. سأحاول أن أشرح، لكن قبل أن أقوم بذلك فإن من الضروري أن أحيط القارئ علماً ببعض تجاربي بالنسبة إلى البرقيات. سأسوق مثلاً فيه الكفاية. كنت أرتب حاجاتي في حجرتي ذات يوم حين لاحظت ضياع مظلتي. بحثت عنها في كل مكان، ولما أعياني البحث أقنعت نفسي بأنها ضاعت كما يضيع الكثير من الأشياء....

لكنني بعد يومين تسلّمت البرقية الآتية:

(سوف تصلك المظلة الليلة)..

لم أهتم وذهبت إلى الفراش في اطمئنان.. لكن في اليوم التالي كانت المظلة بجواري على الفراش..

أنا بالطبع أعرف أنه أمر غير عادي أن يعثر الإنسان على أشياء فقدها في الأماكن التي بحث فيها عدة مرات، وأنه لا فائدة ترجى من الحديث في ذلك الأمر، لكن أن يعلن الشيء المفقود عن وجوده ببرقية فهذا هو الغريب حقاً..!

لقد فوجئت بالبرقية من فيينا، وسببت لي تياراً من الذكرى..

منذ شهرين في فيينا كنت أقف أمام المرآة أعقد رباط عنقي. كنت متأهباً لأستقل القطار العائد إلى روما. كان هناك مظاهرات سياسية في المدينة في ذلك الحين.

فجأة دوى انفجار هز المنزل وكسر المرآة...

أدركت أنها قنبلة، ومضيت أعقد رباط عنقي بلا مرآة.. أخذت حقيبتي وذهبت إلى المحطة، وعدت إلى روما.. ولما كان الوقت متأخراً فقد أويت إلى فراشي..

***

في الصباح التالي وقفت أمام المرآة ومعي فرشاة الحلاقة في يد وفي الأخرى منشفة، لكنني لم أبصر شيئاً في المرآة. كان كل شيء موجوداً، ماعداي، الفرشاة والمنشفة، لكنني لم أكن موجوداً، لا وجهي ولا بدني..

أدركت ما حدث فانفجرت ضاحكاً، فالنساء اللائي يقفن أمام المرآة ساعات، يشعرن بالحزن حين يبتعدن عنها.. والآن يحدث لي هذا وأنا في فيينا؟ لقد انكسرت المرآة فجأة قبل أن أذهب عنها...

ولأنني كنت في عجلة من أمري ولم ألق بالاً لما حدث في حينه، أصبت بصدمة حين عدت إلى روما وتلاشت صورتي كما ذكرت...

منذ شهرين وأنا أسير بلا صورة، لكني اعتدت على ذلك، واكتفيت بنزع المرآة من مكانها وإيداعها في الخزانة..

حرصت منذ ذلك الحين ألا يلمحني أحد واقفاً أمام المرآة.. لا في الشوارع ولا في المقاهي ولا في بيوت الآخرين كيلا أضطر إلى الشرح والتفسير مما يزعجني.

***

لقد أثلج صدري أن تسلمت تلك البرقية منذ ثمانية أيام، وفهمت فوراً أن البرقية قد أرسلتها صورتي الضائعة من فيينا.. ومعنى ذلك أن صورتي عائدة إليّ لا محالة..!

بالطبع لم أسرع إلى الوقوف أمام المرآة كيلا تزهو المرآة بشرف مثولي أمامها، وتتعالى عليّ...

لقد غادرت صورتي فيينا منذ ثمانية أيام، وبالتأكيد فقد وصلت إلى روما منذ نحو أربعة أيام، لكنني لم أمثل أمام المرآة إلا بالأمس.

أسرعت باستخراج المرآة من مكمنها وأنا أطلق صفيراً وأعدت المرآة إلى مكانها في الحمّام دون أن أقف أمامها..

وقفت أعقد رباط عنقي أمام المرآة، وإذا صورتي تطالعني، هي هي لم تتغير..!

كنت أخشى أن يحدث لصورتي أي تغيير وخاصة للإعياء البادي على ملامحي من أثر رحلتي الطويلة، لكن صورتي كانت بديعة وفي أحسن حالاتها وهادئة تماماً مثل صاحبها.

الهوامش

- ماسيمو بونتمبيللي:
- ولد في كومو بإيطاليا عام ١٨٧٨م.
- بدأ التأليف في شتى الأنواع الأدبية وترك عدة مجلدات من القصص القصيرة.
- قصة المرايا من نوع الكوميديا الخفيفة، وهي مأخوذة من كتابه «سيدة أحلامي».

تطورات هندسية

نجمة موسى
حلب - سورية

السبعينيات

كان وائل يزرع الدار جيئة وذهاباً وهو يتمتم: لم تنفع محاولاتي، ولا محاولات أخته الأصغر، في تهدئته. ثم بعد كل بضعة أشواط، كان يقف مراقباً باب الدار بينما كانت رجله تضرب الأرض بتواتر متسارع. لم يرض أن يتناول الطعام، فتركناه أيضاً نحن الاثنتان. أما أخواه الصغيران، سامر وإبراهيم، فقد جلسا أمام المائدة يرشفان اللبن مع أقراص «الكبة» وهما يختلسان النظر إلينا طوراً، وإلى باب الدار تارة أخرى.

خاطبته، في محاولة أخيرة كي أهدئ من توتره، بلهجة عاتبة:

ـ لكنها جدتك يا وائل. وهي تحبك. لقد تعبت معي كثيراً في تربيتك بعد موت المرحوم والدك.

ـ ولكن يا أمي...

ـ اهدأ يا بني. كل ما في الأمر أنها فرحة جداً بأنك كبرت وأصبحت مهندساً، وأصبحت فرحتها فرحتين عندما وجدت لك عروساً. هل نسيت أنها هي التي دلتك على خطيبتك؟

ـ يا أمي.. يا عيني. كل ما قلته صحيح. لكنها أحرجتني جداً أمام خطيبتي اليوم. تصوري موقفي أمامها وهي تقول لي: إن جدتي كانت تفتش عن عروس مع أنني خطبت نهى رسمياً وانتهى الأمر.

ـ وكيف عرفت نهى بالموضوع فوراً.

ـ بالمصادفة، فقد كانت جدتي مستمرة في البحث عن عروس لي في بيت رفيقة نهى بالجامعة.

ـ حسناً، لابد أن تأتي جدتك في...

لم أكد أنهي كلامي حتى فتحت حماتي، أم جميل، باب الدار. وبسرعة غمزت ابني.

لاحظت أن وائلاً يبذل كل ما في وسعه كي يكون هادئاً.

ـ يا جدتي.. يا حبيبتي، ألا تعرفين أنني قد خطبت رسمياً؟ كيف تستمرين في الذهاب إلى بيوت الناس لتبحثي لي عن عروس. لقد كنت البارحة تبحثين في بيت رفيقة خطيبتي.

لاحظت الخجل والارتباك الشديدين البادين على حماتي. حاولت أن أهدئ حدة الصدمة قليلاً فقلت:

ـ لقد انتظرناك على الغداء. لقد تأخرت كثيراً لم تجوعي بعد يا امرأة عمي؟

جلست أم جميل على الكنبة، وبعد أن أخذت نفساً عميقاً. تطلعت إلى وائل، ثم التفتت إلي وهي تقول:

ـ أنا يا أم وائل ذقت الكثير، وأنت ذقت معي المرارة أيضاً، بعد أن توفي ابني وزوجي في حادث سيارة في يوم واحد. صحيح أننا نملك هذا البيت الجميل والواسع. إنما ليس لدينا سواه. ولم نبعه إكراماً لذكرى العائلة. أما حياتنا فكانت على الكفاف. ولم يكن لنا معيل. وأنت اضطررت للعمل حتى تعيلينا وتعلمي أولادك. وكل أهل الحي كان يعرف أننا فقراء.

يا امرأة عمي المهم أننا عشنا بشرف وعلمت أولادي.

ـ صحيح، لكن لم يكن أحد يعيرنا اهتماماً لأننا فقراء. ولكن الأمر مختلف الآن. فعندما كنت أدخل بيتاً لأبحث عن عروس، وكنت أقول: إن حفيدي مهندس في الحكومة، كان الجميع يرحب بي بحرارة ويحترمني. والجماعة الذين زرتهم اليوم لم يتركوني قبل أن أشاركهم الغداء.

يا أم وائل.. يا أم وائل.. أنا فقط فرحانة باهتمام الناس.. أنا فرحانة لأن الناس صارت تعتبرنا!

الثمانينيات

لم يكن سامر ليقتنع كثيراً بكلامي. فقد كان التردد مسيطراً عليه. وبدا لي كحبل يشده فريقان يبذلان كل ما لديهما من قوة للفوز. أما حبه المتبادل لنهاد، فقد كنت متأكدة منه. وهذا ما كان يدفعه إلى قبول اقتراحي بأن نذهب لخطبة الفتاة.

ـ ولكن يا أمي أبوها رجل غني جداً، وهو يهتم بالمادة كثيراً. ولا أعتقد أنه سيوافق على طلبي.

ـ المال ليس كل شيء في الحياة يا ولدي.

ـ نعم، ولكنه سيعرف أنها لن تعيش بنفس السوية التي اعتادتها. وكل ما نستطيع أن نؤمنه لها هو غرفتان في هذه الدار الوحيدة التي لنا.

ـ بل يمكن أن نقتطع لكم غرفتين وصالوناً من الدار إذا أرادت أن تعيش مستقلة عنا.

جلسنا في بيت السيد نادر والد نهاد. رحب بنا الرجل ولم يكن مقصراً في ضيافتنا. كانت نهاد تنظر إلينا مبتسمة. كان واضحاً أن فرحة نهاد يشوبها بعض التوتر خوفاً من موقف والدها. توقف سامر عن ارتشاف القهوة عندما سأله السيد نادر:

ـ ماذا تشتغل يا سامر؟

ـ ألم تقل لك؟

ـ نعم قالت لي: إنك مهندس. ولكن ما هي أعمالك؟

جال سامر بنظره سريعاً في أرجاء البهو الكبير والفخم جداً، ثم كانت لمحة

سريعة نحوي. وبعد أن تأمل تعابير نهاد، حك رأسه قليلاً ثم قال في ارتباك:

- أنا يا أستاذ نادر موظف في الحكومة.

ضحك السيد نادر ضحكة خفيفة، ثم مال إلى سامر وقال:

- لا تخجل يا بني الشغل ليس عيباً!!

التسعينيات

كان إبراهيم أصغر إخوته، لذلك كان مدللاً نوعاً ما، لقد منحناه الكثير من المحبة والحنان، وخصوصاً جدنه، وأخاه الكبير. لقد مات والده وهو بعمر سنة واحدة فقط. فأردنا أن نعوضه عن افتقاده الأب. لذلك، مع أن مواردنا كانت قليلة، تدبرنا الأمر كي نسجله في مدرسة خاصة لسنتين، بعد أن تقدم إلى امتحان الشهادة الثانوية ثلاث مرات كي يحصل على علامات الفرع الذي يرغب فيه - الهندسة الميكانيكية، على الرغم من محاولات أخويه الكبيرين كي يثنياه عن ذلك. قال له سامر: «اسمع يا إبراهيم، هل تريد نصيحة كي لا تندم؟ سجل فرعاً يؤمن لك دخلاً مادياً جيداً حتى ترتاح، فالهندسة لا تطعم خبزاً هذه الأيام». غير أن إبراهيم لم يكن من النوع الذي يحيد عن هدفه بسهولة.

أحسست أنني أكملت مشواري الطويل وأتممت جل مهمتي عندما تخرج إبراهيم في كلية الهندسة الميكانيكية. بعد عشرة أعوام بالتمام والكمال، كان يعمل خلالها مع دراسته بالجامعة، فترة أنهى خلالها أيضاً خدمته الإلزامية. لم يرض أن يأخذ مصروفه مني أو من أخويه. فعمله محاسباً ليلياً في أحد الفنادق كان يدر عليه دخلاً معقولاً يؤمن له متطلبات الدراسة واحتياجاته الشخصية.

قال له سامر: «لقد أصبحت مهندساً الآن. ويمكنك أن تعمل بشهادتك. بدلاً من العمل محاسباً ليلياً في فندق ثلاث نجوم».

- لكن راتبي معقول جداً إنه أعلى من راتبك، مع أنك رئيس قسم، ومسؤول عن ثلاثين مهندساً وعشرة موظفين. ثم ماذا سأعمل بشهادتي؟

- قدم طلباً للتوظيف في الحكومة.

- لكنني لا أريد أن أعمل في القطاع العام. لن أعيش على راتب ثابت مثلك، ويا له من راتب.

- حسناً، يمكنك أن تبقى في الوظيفة ريثما نجد عملاً في القطاع الخاص.

لكن، من كان يستطيع أن يقنع إبراهيم بالعدول عن رأيه؟

مرت الأيام، والأسابيع، والأشهر دون أن يجد إبراهيم العمل المنشود. كان يبدو متوتراً كل يوم أكثر من الذي قبله. وقد ناقش خططاً، ووضع الإعدادات لأكثر من مشروع لكنها لم تنجح إلى درجة تقنعه بالتطبيق.

عندما رن جرس الهاتف في أحد الأيام، كنت أنتظر عودة إبراهيم إلى الغداء.

- اسمعي يا خالتي، قولي لإبراهيم أن يقرأ عدد جريدة الإعلانات الذي صدر اليوم. هنالك وظيفة براتب مغر يطلبون خريجي تجارة أو هندسة.

«حسناً،» قلت في نفسي، «لقد اعتاد إبراهيم جلب كل عدد من هذه الجريدة التي صارت تصدر حديثاً».

عندما دخل إبراهيم إلى البيت، سرعان ما بادرته بالسؤال: «هل قرأت عدد اليوم من جريدة الإعلانات؟».

- لا، لكنها معي.

يقول صديقك سمير: إن هنالك وظيفة براتب مغر. يطلبون خريجي تجارة أو هندسة.

ما إن قرأ لإبراهيم الإعلان حتى قهقه ضحكة عالية وطويلة. وعندما قرأ في وجهي علامات الاستفهام قال: «أمي. هل تصدقين؟ إنها.. إنها الوظيفة نفسها التي كنت أشغلها في أثناء الدراسة - محاسب ليلي؛ في نفس الفندق يا أمي.. في نفس الفندق، في فندق زوج قريبتك».



بعد أن أنهينا غداءنا، ولم ينبس خلاله إبراهيم ببنت شفة، قال:

- اسمعي يا أمي سأعود إلى نفس الوظيفة - هذا إن قبلوني.

- ولكن يا إبراهيم..

- أمي.. أمي.. إنها سبعة أشهر من الانتظار.. هل تريدينني أن أبقى عاطلاً عن العمل.. هل نسيت أن سهيلة تنتظرني؟

وافقته، وقررت أن أذهب معه كي يعيده صاحب الفندق إلى عمله - فهو زوج قريبة بعيدة لي.

«حسناً، ستعود إلى عملك، هذا فقط من أجل القربى التي بيننا، ومن أجل أمانتك». قالها كمن يمنح الآخر شيئاً ثميناً مفقوداً. ثم تابع صاحب الفندق: «اذهب إلى عند وحيد، المحاسب النهاري، كي يسجل اسمك في قائمة العاملين في الفندق على جهاز الكمبيوتر». ثم التفت إلي قائلاً: «لقد تطورنا يا أم وائل. أسماء العمال والمقيمين موجودة على الكمبيوتر. هيا اذهبوا إلى وحيد في الطابق الأرضي».

ما إن دخلنا غرفة وحيد. حتى حملق إبراهيم فيه ثم قال: «دك... دكتور.. دكتور وحيد».

- تفضلوا بالجلوس، لقد أخبرني أبو وليد بالهاتف بأنك قادم.

جلس إبراهيم بينما استأذنت أنا بالخروج. وعندما صرت خارجاً أومأت لإبراهيم كي يأتي إلي. ثم همست في أذنه: «هل نعرفه؟».

- نعم، لقد كان أستاذي في الجامعة، الدكتور وليد أستاذي في الجامعة يا أماه!!!



تحولات

إبراهيم رحمة
بسكرة - الجزائر

اليوم.. مرة أخرى أشعر بهذا المتسلل كالغريب الغازي..

رميت المنشفة جانباً.. بعدما ألقيت نظرة أخيرة على المرآة.. تسريحة شعري كالعادة رائعة وخدي أملس يجب الانتباه.. لا تجاعيد عليه ولا أدنى تأثير للزمن.. هندامي أنيق وكنزتي الصوفية تزيدني أناقة.. «كل شيء على ما يرام» أسررت في نفسي ثم قصدت مائدة الفطور رفعت فنجان القهوة وأنا واقف بيد والجريدة باليد الأخرى.. قالت الخادمة العجوز - مربيتي:

- دع القهوة يا ولدي وافطر.. إن الفطور الدسم يزيدك قوة ونضارة..

ولا أجيبها.. من عادتي أرتشف بعض القهوة على عجل وأنا أتصفح عناوين الجريدة ولا أهتم للمائدة المكتظة بأصناف الفطائر والحلويات والحليب الطازج.. يجلبه البواب خصوصاً لي كل صباح من مزرعة العم أحمد.. لكنني أتركه - ربما يعدها إهانة من حيث إنني لا أقدّر مجهوده ولو مجاملة - وأغادر المنزل قاصداً مكتبي في ميدان الشهداء أكبر ميادين المدينة.. أجد الموظفين في انتظاري يقفون لتحيتي منتبهين لأدق تفاصيل أزيائهم.. ثم أعرج على السكرتيرة؛ تومئ إلي بالتحية في انسجام بالغ وتتبعني إلى المكتب؛ تضع بعض الملفات؛ تريني البريد الوارد ؛ تقول لي - ربما تحب لَفْت نظري لنشاطها المهني - إنها أنجزت كل الأعمال التي كلّفتُها بها.. لا ألقي كعادتي بالاً لثرثرتها - أعدها ثرثرة - وتقف تنتظر أوامري فلا أجد بدًا من القول لها:

- سأطلبك حين أحتاج إليك..

تعرف أنها في حلٍّ من الانتظار فتخرج، وأرفع عيني ناحية لوحة زيتية جاءتني هدية منذ أيام.. لم تكن ألوانها كثيرة أو متداخلة بل بسيطة شبه شفافة؛ ورسمها هو الآخر بسيط جدًا.. سماء تلتقي بالأرض.. هناك في خط يبدو خرافياً للعين ربما يدفعك إلى التساؤل: «هل تعانق السماء الأرض» السماء المنفتحة على المجهول السابحة كالروح مع هذا الأديم العفن اليابس القاحل.. وكلما رفعت عيني ناحية اللوحة يُخيَّل إليّ أن هناك من يستغيث أو أنني أسمع استغاثة من مكان ما.. ولأنني منضبط في العمل أعود إلى صفحة مكتبي الفاخر وتغوص أصابعي بين الملفات..

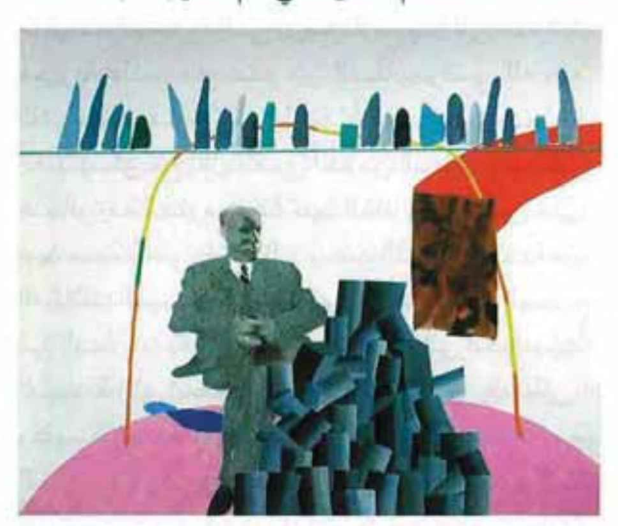
واليوم لم تطاوعني أصابعي فتغوص في الملفات كعادتها، أجد شيئًا ما داخلي قد تغيّر أو هو في طور التغيّر؛ ليس سأمًا ولا مللاً فقد كنت فيما مضى إذا شعرت بنوع من السأم آخذ إجازة ولو يومين أقصد فيها بعض المنتجعات وأرتاح.. أنسى الشغل.. ألغي جميع الارتباطات ولا أهتم بأي ميعاد مهما كانت قيمته.. الحقيقة أنني دقيق فيما يخص شؤون صحتي.. لست من النوع الذي يهمل نفسه في زحمة الحياة ويوغل في العمل حتى يجد قلبه قد انفجر أو أن معدل السكر في دمه على غير ما يرام؛ وربما مرض آخر كالإرهاق أو حتى الشقيقة أصابه؛ كلا أنا لست من هذا النوع؛ أنا أعطي لكل شيء أهميته التي يستحقها، ومبدئي في الحياة «لكل مقام مقال».. سمعت مرة أحد موظفي مكتبي يقول لزميله:

- أوربي.. ياباني.. يمشي كالساعة..

لا أنكر أن ما سمعته أطربني.. ولحسْن حظ الموظف أنه لم يتفوّه بما تفوّه به أمامي وإلا لكان آخر يوم له معي..المهم أن كلامه - بيني وبين نفسي - أطربني.. فأنا فعلاً كالساعة وظللت طوال سني شبابي؛ وبعض كهولتي - أبلغ السابعة والأربعين من العمر - أكذب

الآخـرين وكل من يحـيط بي في دنـيـا أرهقـهــا الكسل وأمراض الـتكاسل والفقر.. وأصر على النجـاح وأبرهن على أنني سـاعة، ونسـيت الزواج في غـمرة النجـاح ولما ذكرته أقنعت نفسي بعدم الزواج. فالمرأة دافعة إلى الفشل ـ لقد اقتنعت أن المرأة كائن بـليد ـ حتى إننـي يوم مرضت ونادراً ما أمـرض ـ كان ذلك منذ سـبع سنوات ـ لم أقصد الطبـيب أوّلاً بل قـصـدت المكتـب ليس لشيء إنما لأؤكـد للـموظفين أهميـة العمـل والتفـاني فيـه.. وشعـرت فـتـرة ليست بـالـقصيـرة أنني أصبحت سـاعـة.. أجل أصـبحت سـاعـة..

واليـوم.. ما الـذي تغيـر.. ككل صـبـاح أسـتـيـقظ عند الخـامسة؛ أسـتـحم؛ أحلق ذقني؛ ثم صـوب المرآة أتجـه؛



أعمل جهدي كي أبدو بأناقـة رجل الأعمال المشهور؛ ولا أدع مجالاً لأي تهكم من أي كـان أو تنكيت؛ حتى إنني ما فتئت أحافظ على رشاقتي؛ ووزني لم يتغير أو يزد إلا بما تمليـه ضـــرورة نمو الجسم وأخــاف حـتى تـنـاول الفطور الذي تُحضّره مربيتي الحاجـة مسعودة ـ لم تكن بأي حال من الأحوال مسـعـودة في عمرهـا ـ وأتركـه على حاله فلا أرتشـف منه إلا بعض القـــهـــوة وأنا أتصـــفـح عنــاوين الجريدة.. الجـريدة التي لم تتغير عناوينهـا أبداً.. ويأتيني صـوت الحاجة مسعودة مبـحوحـاً ـ البحّة التي تُحببه إليك فتتمنى سماعه باسـتمرار ربما يذكرني بشيء ما ـ وتقول لي:

ـ دع القهـوة يا ولدي وافطر.. إن الفطور الدسم يزيدك قوة ونضـارة..

وعبثاً أبحث في سـبب هذا القرف الذي أصابني وكان يتـسلل إليّ كـالغـريب الغـازي منذ أيام؛ وعـبـثـاً رغم محاولاتي المتكررة والمستميتة غـادرني الغثيان.. الحقيقة أن ميـولاتي تحولت إلى مـيولات صبي في الـثامنة؛ أريد أن ألعب دون تحفظ؛ أريد أن أركض هنا.. هناك؛ يميناً.. شـمــالاً؛ أركض.. فـقط أركض؛ وأريد أن أجلس في عرض الـطريق المُعبّد الذي يفصل الضـاحيـة عن وسط المدينة.. أن أجلس القرفصاء في عرض الطريق دون أن يرميني الأطفـال بـالحـجـارة ويرددون في غـبطة وفـرح عارمين:

ـ المجنون جاء.. المجنون جاء.. احذر المجنون..

وأرفع عـيني مرة أخـرى إلى اللوحـة الزيتيـة؛ بدا لي أنها تقـول شـيئـاً.. وعـاد صـوت الاسـتـغـاثة من جـديد واضـحـاً على غـيـر العـادة.. وأحـسـست أنني لم أعش طفولتي.. ولم أعش شـبـابي ولا كل حيـاتي.. أنا أكـرر نفسي فقط هذا مـا أفعله كل يوم.. أكـرر نفسي.. إنني تافـه؛ إنسان تافـه رغم البـهـرجة التي تـحـيطني والهـالة الصــاخـبـة الـتي يغـمـرني بهـا النـاس.. أجل إنه هو.. الصـــخـب.. الروتين.. الآلة نـعم أنا آلة.. كــرهت هذه الآلة.. كـرهت البـرنامج الذ ي عشت عـمـري أتفنن في المحــافظـة عليــه وجــاءتني فكرة الخـــروج عن هذا البـرنامج.. قـررت الخـروج عنه وتحطـيم الديكور الذي سجنت فيه نفسي.. وراح الصوت يصارع سواه ويرتفع ثم يرتفع.. أغلقت النوافذ.. خشيت أن يخرج فيسمـعه الآخـرون.. غـيـر أنني تراجـعت وأنّبت نفسي التي مـا زالت تَحنّ إلى زمن الخـوف من الناس وبرنـامج الآلة فعدت أفتح النوافذ؛ وأفتح باب المكتب علـى آخره؛ أريد أن يسمع الصوت كل الموظفين؛ أنا بحـاجة إلى أن تلتقي سمائي بأرضها.. أن أخرج إلى الـفضاء فأعيش حريتي بعيداً.. بعيداً..

وقبل أن أخـرج من مكتـبي وأقصد حـيـاتي الجـديدة انتبهت إلى عنوان اللوحة في إحدى زواياها فقرأته؛ كان يقول: «تحولات».



أين العرب والمسلمون من القدس اليوم؟

إنني أقرأ عدداً من الصحف والمجلات، ولكن الحقيقة التي لا مواربة فيها هي أن الفيصل من أروع ما قرأت؛ لأنها مجلة ذات فكر مستنير، ورؤية واضحة، وهدف سام، فالشكر والتقدير لكل العاملين عليها؛ فهي بحق مجلة التراث والحقيقة الواضحة. وهذا ليس بغريب عليها، ويكفيها أنها تحمل اسم الراحل العظيم جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز الذي قل أن يجود الزمان بمثله. وتعدّ هذه المجلة نقطة مضيئة؛ لأنها تتحفنا بموضوعات تذكر الإنسان العربي المسلم بماضيه وتراثه، وتنصف كل صاحب موقف كان له أكبر الأثر في الحفاظ على حقوق المسلمين في كل مكان.

إخوتي الأعزاء: اسمحوا لي أن أعلق على ما جاء في مقالة الأستاذ خليل الصمادي بعنوان «القدس في العهد العثماني» في العدد ٢٩٤ ودور بعض السلاطين العثمانيين، وبشكل خاص السلطان عبدالحميد وما قام به للحفاظ على القدس وعروبتها ومكانتها الإسلامية، على الرغم من كل الضغوط التي تعرض لها. ومن المعروف أن القدس كانت في البداية تابعة لولاية دمشق لكونها قلب بلاد الشام، وكانت منارة للعلم والعلماء وملجأ للفقراء في عهد السلطان سليم الأول الذي حافظ عليها بكل ما استطاع من قوة، وشيّد فيها الكثير من الأبنية التاريخية والثقافية حتى أصبحت مركز إشعاع لطلاب العلم والمعرفة. وقد حاول اليهود منذ القديم احتلال القدس في العهود العثمانية إلا أنّ محاولاتهم كانت تبوء بالإخفاق بسبب موقف السلاطين العثمانيين الذين كانوا يستندون إلى الوثيقة العمرية التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٥ هجرية عندما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس الشريف، وكتب وثيقة لأهلها تتضمن صراحة أنه لا يسكن مع أهل القدس أحد من اليهود. وقد ظلت هذه الوثيقة محترمة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى عهد محمد علي باشا والي مصر الذي مكن عدداً من العائلات اليهودية، وبوسائلهم المخادعة، من الهجرة إلى القدس والإقامة بها.. بالإضافة إلى الجمعيات اليهودية التي تدعو اليهود إلى الإقامة في فلسطين، وكلهم كانوا يصطدمون بموقف الدولة العثمانية الحازم. وكل قارئ لتاريخ اليهود يجد أن اتصالات كثيرة جرت بين هرتزل (رئيس الجمعية الصهيونية) والسلطان عبدالحميد بهدف إقناعه بالهجرة اليهودية إلى فلسطين مقابل مبالغ طائلة يدفعها اليهود للسلطان عبدالحميد إلا أن محاولات هرتزل والجمعية الصهيونية باءت بالإخفاق، وصار السلطان عبدالحميد بنظر اليهود ماكراً وخبيثاً جداً ولا يثق بأحد. وهذا وسام شرف على جبين السلطان عبدالحميد. ونتيجة لهذه المواقف الصلبة والمخلصة من السلطان عبدالحميد عمل اليهود على إسقاط دولة الخلافة ليتاح لهم المجال للهجرة إلى فلسطين، ونرى كيف انتقلت المعركة بين الخلافة العثمانية والدول الأوربية التي وقفت إلى جانب اليهود وثبتت مواقفهم،

لكن الضغوط الصهيونية والأوربية على السلطان عبدالحميد لم تتوقف وهو القائل: «لماذا نترك القدس؟ إنها أرضنا في كل وقت وزمان وستبقى كذلك فهي من مدننا المقدسة وتقع في أرض إسلامية ولابد أن تبقى القدس لنا». فأين اليوم موقف العرب والمسلمين من موقف السلطان عبدالحميد؟ وعلى الرغم من هذه المواقف الصلبة للدولة العثمانية قام في القدس عدد من المستعمرات اليهودية من مختلف الأعراق اليهودية.

ونتيجة لهذه المشكلة، ولخوف الدولة العثمانية من وقوع القدس تحت سيطرة اليهود فقد أصدرت عدداً من القوانين للحد من هجرة اليهود إلى القدس، ولكن اليهود اخترقوا هذه القوانين بوساطة قناصل الدول الأوربية، مما أدى إلى ازدياد عدد اليهود الذين يدخلون فلسطين بجوازات مزورة، وأسماء مستعارة على أنهم غير يهود. وقد أدى ذلك إلى صدام بينهم وبين الفلسطينيين عام ١٨٨٦م، ودفعت هذه الصدامات الدولة لاتخاذ إجراءات جديدة للاتصال مع قناصل الدول الأجنبية. وقد احتجت الدول الأوربية على هذه الإجراءات، كما احتجت أمريكا على قوانين عام ١٨٨٣م التي تطلب من موظفيها القيام بحملات تفتيشية في القدس لتجميع اليهود وتسفيرهم مباشرة عن طريق ميناء حيفا. وتوالت بعد ذلك القوانين العثمانية، لكن مفعولها لم يكن مجدياً بسبب الخلافات التي دبت في جسد الرجل المريض (تركيا)، وبسبب هيمنة اليهود على معظم الدوائر الأجنبية التي وقفت معهم، وشجعتهم على الهجرة. وحاولت الحكومة العثمانية تطبيق القوانين التي تحد من الهجرة بشكل فعّال إلا أن كل هذا لم يؤخذ به بسبب خلع السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨م الرجل الذي وقف سداً منيعاً في وجه الأطماع الصهيونية، وبعد عزله أقام اليهود الأفراح والمظاهرات في أماكن كثيرة من العالم، وصارت الهجرات اليهودية تتدفق إلى القدس وفلسطين، واخترق اليهود جمعية الاتحاد والترقي التي لم تكترث للأعداد المتزايدة من اليهود المتدفقين على فلسطين.

وقد كان من أكبر رجالاتها مصطفى كمال أتاتورك، ودوره معروف في عزل تركيا عن محيطها الإسلامي، وإلغاء اللغة العربية والكتابة بها وما إلى ذلك من أعماله المعروفة. وهنا لا بدّ من وقفة صادقة مع الرجل المجاهد والمناضل السلطان عبدالحميد الذي تصدّى بكل قوة وثبات لأطماع الصهيونية وإغراءاتها الكثيرة بالمال الوافر، ووقف أيضاً بوجه ضغوطات الدول الأوربية، مما أدى إلى خلعه من الحكم، وجعل اليهود يرقصون طرباً لذلك. لكنّ التاريخ وكثيراً من المؤرخين مع الأسف الشديد ظلموا السلطان عبدالحميد، وتنكروا لمواقفه الشجاعة، ولم يذكروا له إلا السلبيات. لذلك أقول: أين اليوم حكام العرب والمسلمين ومواقفهم من مواقف السلطان عبدالحميد، والذين أخذوا مع الأسف الشديد إلى المسارعة إلى الاعتراف بإسرائيل، وكثير منهم يقوم بزيارة سريّة إلى إسرائيل، ويجتمعون مع الصهاينة، ونسوا القدس التي هي من أغلى المقدسات. لكن القدس، سقطت بعد سقوط عبدالحميد وتولي السلطان محمد رشاد الخامس الذي لا حول له ولا قوة، بل هو مجرد رمز للعثمانيين، فعجزت تركيا عن حماية القدس كما عجزت فيالق تركيا - ذلك الرجل المريض - عن الدفاع عن القدس التي دخلتها القوات البريطانية في ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩١٧م وغادرها الأتراك بعد حكم دام ٤٠٠ عام. وعند دخول القوات البريطانية قال الجنرال اللنبي: «الأن انتهت الحروب الصليبية» ، وتدفق اليهود عليها من كل حدب وصوب واحتلوها عام النكبة، ومازالت حتى يومنا هذا معركة المسلمين قائمة لاسترداد القدس وكل فلسطين. فهل يجمع العرب والمسلمون كلمتهم ويتفقون على تحرير القدس؟ ويتبعون قوله تعالى: *إن تنصروا الله ينصُركم ويُثبّت أقدامكم.* محمد:٧.

تامر إدريس
حمص - سورية

أحمد أديب المكي

أبو القاسم محمد كرو
تونس ـ تونس

هو شاعر ما في ذلك شك.. وهو من مكة المكرمة ما في هذا ريب.. وهو قد عاش في مكة ربما إلى سن الشباب، أو أكثر.. ثم انتقل إلى مصر، وعاش ردحًا من الزمن في القاهرة، وكان يومها مكتمل الرجولة والشاعرية. وفي هذه المرحلة أو قل عن هذه المرحلة وصلتنا أخباره وأشعاره برواية لا غبار عليها، إذ يرويها، ويروي شعرها شيخ أدباء تونس(١) في عصره محمد العربي الكبادي (١٨٨١ ـ ١٩٦١م) الذي حل محله وخلفه بعد مماته في مديح ملوك تونس في المناسبات والمواسم الدينية(٢).

وبعد مصر أو في أثنائها تظهر قصائده، ثم كتبه المطبوعة في تونس، ثم هو يختار تونس للإقامة الدائمة في تاريخ لم نعرفه بعد، ولكنه في كل الأحوال قبل عام ١٨٨٠م.

ثم يطيب ويحلو له أن يعيش فيها إلى آخر حياته. وفي هذه المدة التي بلغت أكثر من نصف قرن أصبح الرجل الشاعر الأول للبلاط الملكي، ومن مشاهير الشعراء المرموقين في تونس. ثم صار موظفًا مرموقًا بالكتابة الإدارية لثاني مدينة بعد تونس العاصمة، إذ لا تبعد عنها مدينة سوسة بأكثر من ١٤٠كم. ولكنه بوصفه شاعر البلاط، كان يلتحق في المواسم الرسمية والدينية بالعاصمة، ليلقي شعره أمام ملك البلاد(٣). وأكثر من هذا، ولعله من أجل هذا، تنشر قصائده أو مدائحه المطولة في صحف زمانه، وينال عليها الهدايا والعطايا التي يحبها ويسعى إليها، بل قل إنه يطلبها ويصر عليها، وإن هي تأخرت عنه، ينزعج ويتألم ويبادر إلى هجاء المتسبب في ذلك(٤).

البداية

أما كيف ظهر أول مرة في تونس؟ ومتى كان ذلك؟ فأمر يجري البحث عنه، ولا بد أن نظفر بشيء منه. المهم أنه ظهر في تونس شاعرًا مكتملاً، وأديبًا متوفر الزاد ـ المطلوب في عصره ـ بكل أنواعه: اللغوي والأدبي والتاريخي.

كان ذلك سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م في الجريدة الوحيدة في البلاد «الرائد التونسي»، وهي جريدة رسمية أنشأتها الحكومة المستقلة مع مطبعتها في سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م.

ولفقدان الصحف الأخرى في ذلك الحين، كانت «الرائد التونسي» تهتم بالتاريخ والترجمة والأدب والشعر، خصوصًا قصائد المديح والرثاء المتعلقة بالملوك والوزراء والعلماء.

إذن، ظهر شعره بالرائد التونسي عام ١٨٧٨م قبل فرض الاحتلال الفرنسي واستعمار البلاد بثلاث سنوات.

فهل كان هو بشخصه موجودًا في تونس مع شعره في هذا العام؟ أم سبقه إليها شعره، ثم لحق به هو في تاريخ آخر؟ ذلك مما لم نعرفه بعد.

إذا كان قد اختار تونس قبل الاحتلال الفرنسي، أو كان بها بعد الاحتلال فهو قد عايشه وعاش معه

طوال نصف قرن، وهي المدة التي عاشها في البلاد التونسية فما موقفه من فرنسا؟ وما موقفه من احتلالها العسكري والسياسي والإداري للبلاد؟

لم يترك أي أثر يدل على ذلك، ولم يتحدث عنه مطلقًا مترجموه وأصدقاؤه وعارفوه. والذي يبدو واضحًا أن الرجل كان بعيدًا عن السياسة بجميع أنواعها، وعن الاحتلال بكل مظاهره، وأن كتبه وقصائده لا تخرج عن الموضوعات التقليدية، وأنه على الرغم من تفوقه في الشاعرية، كان يسخر مواهبه في خدمة الملك، ومحيطه والمتصلين به من المسلمين فقط.

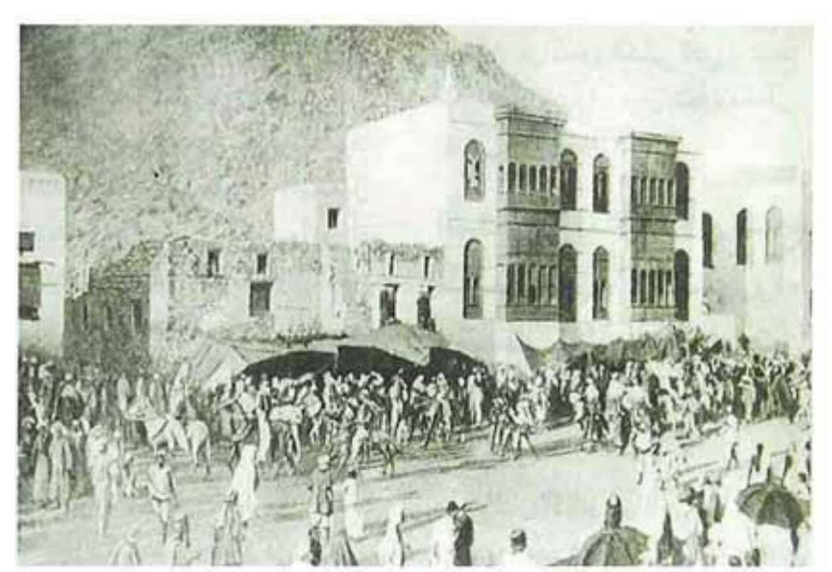
ولهذا لم يستفد الرجل من علاقاته وزياراته المتعددة لمختلف المدن التونسية، وما فيها من رجالات وشعراء معاصرين، دائمًا لهم رعاية له، وحفاوة به، وعناية ملحوظة بشعره وفصاحته وتهانيه.

وقليلاً ما عثرنا على اسم أحمد أديب.. وأقل من ذلك أحمد بن عبدالله أديب.

وإذا استثنينا كتبه الصغيرة الخاصة بالتصوف وبعض القصائد في الموضوع ذاته، فإن باقي شعره - على طوله وكثرته - لا يكاد يخرج عن الموضوعات التقليدية التي هي: المديح، والتقريظ، والرثاء.

المكي بن عزوز (١٨٥٤ـ ١٩١٦م)، أو تقريظه ديوان محمود قبادو (١٨١٥ - ١٨٧١م) الذي تولى جمعه وتحقيقه. ثم طبعه تلميذه الأشهر محمد السنوسي، ونشره في مجلد كبير عام ١٨٧٨م. ففي آخر الكتاب ملحق بالتقاريظ، بينها تقريظ أحمد أديب المكي من ص ٤٣ - ٤٤.

وإذا كان الكتاب الثاني ديوان



صورة قديمة لأحد الأسواق في مكة

الأديب الحجازي

وأيًا كانت حاله، وكيفما اختار تونس ليقيم فيها إلى مماته، بعد أقطار وبلدان أخرى أقام بها في طريقه إليها، فقد استقر فيها وطاب له أن يقيم ويتوظف بها، بل أن ينشر فيها كتبه وقصائده.

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كان معروفًا في تونس بشخصه وشعره أديبًا حجازيًا من مكة المكرمة، وعرف في جميع الأوساط، كما عرفت كتبه وقصائده باسم واحد هو أحمد أديب المكي.

ولئن كان التقريظ نوعًا من المديح، إنه ليس هو المديح ذاته - وإن كان يشبهه - إلا أنه خاص بالكتب، فمن ليس له كتاب، وإن كان من الأدباء أو العلماء، فهو بعيد عن التقريظ.

وكان لدى المكي معرفة جيدة بطرائق التكسب بشعره، لهذا مدح وقدم التهاني لمن يعطيه المكافآت، وهم الملوك والوزراء، ومن يحيط بهم. أما التقريظ فخص به أصحاب الكتب، أي العلماء والشعراء من ذوي الجاه فقط.. مثل تقريظه لكتاب الشيخ

شعر، فإن كتاب المكي بن عزوز في التصوف. وقد ظهر المكي في هذا التقريظ من أهل التصوف. إذ إن الكتاب الذي قرظه ليس في التصوف فقط، بل هو يدافع بحماسة وحدّة عن طريقة حديثة من طرق التصوف كان يعتنقها المؤلف ويؤمن بها ملوك تونس والوزراء والعلماء، تبعًا لهم وخدمة إليهم. وإن كانت هي في ذاتها بدعة من بدع عصره، لها خدمات ظاهرة للاستعمار الفرنسي، خصوصًا في الجزائر، حيث كانت

منتشرة ولها نفوذ بين كثير من أهلها. فلما انتشر الاستعمار منها إلى تونس، وجدها مهيأة له بفضل هذه الطريقة وأمثالها.

ونعتقد أن هذا التقريظ وكتيبه (الآتي) في الدفاع عن هذه الطريقة، كانا هما المفتاح لاستقراره في تونس وتعلق الأمراء والعلماء به وحبهم لشعره.. وإن بقي هو شافعيا، وبقوا هم على مذهبهم الحنفي (كأمراء)، أما معظم السكان فكانوا مالكيين وكذلك معظم العلماء والأدباء.

وبذكاء مفرط وحدس عجيب، أدرك ذلك كله فمشى في طريقه، واستعمل شعره في مدح الملوك والوزراء وتهنئتهم، حسب المناسبات والمواسم.. وحتى المراثي في الأتراح كان له فيها باع وصولة(٥).

وهكذا عرف، بشطارته، من أين تؤكل الكتف، فاتبع ما يحبه جدا بايات تونس وعلماؤها في ذلك الزمان.

وإذا تركنا شعره القليل في الغزل، وشعره الأقل في موضوعات أخرى، فإن معظم شعره لا يخرج عن المديح والتهنئة، فإن تجاوزهما، فإلى الهجاء والمراثي.

حياته المعروفة

أما حياته فهي قسمان (كما قدمنا):

- قبل قدومه إلى تونس.
- عند استقراره بها.

حياته قبل قدومه إلى تونس

لا نكاد نعرف شيئا عن حياته الأولى، ونشأته في مكة والحجاز، فجميع أخباره من هذه الناحية مجهولة تماما. والخبر الوحيد رواه شيخ أدباء تونس محمد العربي الكبادي عن إقامة أحمد أديب في مصر.. فحين كان في القاهرة، كان ملازما لباعة الكتب بها.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد العربي الكبادي الذي خلفه، وتعلم منه رواية الشعر ومدح الأمراء:

«... على أني تعرفت براوية عربي كبير، كان أحفظ من في الأرض، وأجمع من يوم العرض، هو الشيخ أحمد أديب الحجازي الأصل - دفين سوسة - وحفظت من شعره الكثير الذي لو جمع لكون ديوانا كبيرا.. ومن شعره مشطرا بيتا أبي نواس...»(٦).

> استعمل شعره في مدح الملوك والوزراء وتهنئتهم في كل المناسبات والمواسم

واختيار الكبادي لهذه المرحلة وقطعة من شعر أحمد فيه دليل قاطع على ميله إلى هذا النوع من الحياة وحبه له.

حياته عند استقراره في تونس

أما القسم الثاني من حياته، فهو تونسي كله، كما أنه هو الأطول والأوضح، ويمتد نصف قرن، وعليه بعض الأضواء، وبعض المصادر.

يقول أحدهم، رواية عن صديق له عاصره ويعرفه معرفة جيدة، ما يأتي:

«أحمد بن عبدالله أديب المكي الشافعي، أصله من مكة المكرمة، وطوحت به الأقدار إلى أن استقر بتونس العاصمة في أواخر القرن الماضي، ثم انتقل إلى مدينة سوسة، وعلّم ببعض مدارسها القرآنية، ثم توظف كاتبا بإدارة عملها(٧) على عهد محمد الطيب الجلولي الوزير الأكبر(٨) فيما بعد. وتزوج مدة إقامته في سوسة، وبها توفي».

«كان محدثا فقيها، راوية للأشعار، لغويا شاعرا، مرّ اللسان، مليطه.... مدح مرة الباي(٩) في بعض المناسبات، فأبطأ الجائزة عنه، فدخل على السيد العربي بسيس من حاشية القصر، وقال له: وجودك هنا من علامات قيام الساعة! فاستفسره عن مراده فذكر له أنه يشير إلى ما ورد في الحديث الشريف: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» فأعطاه ثلاثمئة فرنك مقدار الجائزة وزاده ٣٠٠ من عنده.

«... له شعر في مدح بايات عصره بالمناسبات منشور في الصحف التونسية....»(١٠).

من هذه الترجمة القصيرة نفهم الحقائق الآتية:

- أنه نشأ في مكة، وكان فقيها، وكان شافعي المذهب، وكان أديبا كبيرا وراوية للأشعار، وكان شاعرا متكسبا بشعره، وكان لغويا، وكان من أهل الحديث، وكان «مر اللسان سليطه»!!.

ونعتقد أن تلك المدلولات جميعا قد سبق بيانها والحديث عنها، إلا الثلاثة الأخيرة، فيمكن أن نقف عندها باختصار، فنقول:

أما أنه كان لغويا، فهذا واضح من قصائده، إذ كانت مفردات اللغة طوع شعره، وفي يديه، إن لم نقل في صدره وعقله ومحفوظاته.

أما أنه من أهل الحديث، فربما كان

ذلك في مجالسه وكتبه غير المعروفة. أما في حياته العملية، فلم يظهر عليه السلوك الديني، والروايات عنه وعن حبه للمال وسعيه الحثيث إلى الحصول عليه من أي طريق - كثيرة جداً. حتى إن جميع الحكايات والروايات عنه، لا تخرج عن المال وقطع المسافات البعيدة في سبيله.

أما سلاطة لسانه، فظاهرة في هجائه المقذع وحديثه المسكت ومجالسه المخيفة. ولكن على الرغم من ذلك تزوج وعمل مدرساً، وانتهى به الوظيف ليكون كاتباً إدارياً في مدينة سوسة التي يظهر أنه قضى فيها عقوده الأخيرة، ودفن فيها(١١).

والبحث يجري الآن عمن كانت زوجته؟ ومن أي عائلة هي؟ وهل خلف أولاداً منها؟

عثرنا له على قصيدة واحدة قالها في الأميرة المصرية نازلي فاضل (بنت الأمير مصطفى فاضل، شقيق خديوي مصر إسماعيل باشا) عندما كانت مقيمة بتونس زوجة لخليل بو حاجب أحد مشاهير تونس. تزوجته عام ١٨٩٦م، وتوفيت بمصر عام ١٩١٣م، عندما كانت تزورها مع زوجها خليل بو حاجب، ولنا عنها كتاب مخطوط. قال أحمد أديب المكي في مدحها قصيدة مطولة نشرها في جريدة الحاضرة بنهاية القرن التاسع عشر. يقول في مطلعها:

بدت غرة في جبهة الدهر فذة
ولكنها فاقت جميع الأوائل

وبالتأكيد أغدقت عليه من مالها، وهي المشهورة بالكرم والسخاء. ولعله مدحها لهذا الغرض وحده، وإن وصفها بما هي أهل له وزيادة. ويكفي أنها صاحبة الفضل الأول فيما وصل إليه الإمام محمد عبده، وما زيارته إلى تونس عام ١٩٠٣م إلا سعياً إليها وإعجاباً بها، ويكفي أنه أقام في قصر لها أكثر من أربعين يوماً؟!

على أنه كان لأحمد أديب المكي جلاسه ومحبوه، وبينهم الشيخ محمد الهادي العامري، الذي يروي عنه طرائفه وحكاياته، ويقول عنه - حسب رواية محمد محفوظ(١٢) - ما يأتي:

«... الشيخ أحمد أديب المكي (من مكة المكرمة) نزيل سوسة وكاتب بإدارة عملها.. كان سليط اللسان، محدثاً، فقيهاً، راوية للأدب العربي، لغوياً، شاعراً...».

وقال عنه رواية أخرى، نقلاً عن محمد بن موسى: «كان الشعر أقل خلاله...»(١٣). ونفهم من ذلك أن العامري - الذي عاشره محفوظ وكان صديقه - كان هو مصدر محفوظ الأول عن الشيخ أحمد أديب المكي. وأن جميع ما كتبه عنه يمكن إسناده إلى العامري الذي كان يجالس الرجلين على التوالي في سوسة.

ولئن تخصص الشاعر المكي وحده في مدح البايات، وانفرد بهم مدة خمسين سنة، ولم يتركهم إلا بموته سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، إنه ترك أشعاراً وتخصصاً آخر كان شائعاً في عصره، وعند جميع الشعراء. وربما مازال حياً عند بعضهم إلى اليوم، وهو التاريخ الشعري الذي كان المكي مشهوراً به، ويختم به كل قصيدة له، وكثيراً ما يفرضه فرضاً على شعره، ولو كان ثقيلاً ركيكاً(١٤).

وقد خلفه، بعد موته، في هذين معاً (مديح الملوك وتأريخ المناسبات والمواسم) تلميذه العربي الكبادي. وقد سجل هذه الظاهرة وحفظها لنا المؤرخ المعاصر محمد المقداد الورتتاني، فقال: «وفي المملكة التونسية جرت عادة أمرائها بالجلوس في غرة المحرم لقبول التهنئة ويوزعون مسكوكات من ذهب وفضة بتاريخ السنة الجديدة على الوزراء والمقربين وبعض الموظفين. وتقدم إليهم قصائد الشعر ويجيزون

عرف بشطارته، من أين تؤكل الكتف، فاتبع ما يحبه جداً بايات تونس وعلماؤها في ذلك الزمان

عليها ويلزم بعض الشعراء التهنئة الشعرية في كل موسم للملك. وكان المنعم السيد أحمد أديب المكي قائماً بذلك. عرفناه على هاته الصفة من عهد المنعم المقدس سيدنا علي باشا باي(١٥) إلى أن توفي(١٦) في العام الفارط. وكان على شعره مسحة من الشعر العربي الصميم لفظاً ومعنى(١٧) ويثابر على التاريخ ولو تكلفاً. وخلفه في التزام التهنئة للأمير صاحبنا الفاضل الأديب الكريم السجايا الشيخ سيدي العربي الكبادي. وفي غرة هذا العام كان مطلع قصيدته:

العام أقبل مثل ما تهواه
ورضاك من دون الأنام مناه

«وأنعم الأمير بنقود مؤرخة بهذا العام ١٣٥٤هـ، حسب المعتاد...»(١٨).

مؤلفاته

هذا الرجل الشاعر اللغوي الفقيه الراوية الذي عاش أكثر من خمس وسبعين سنة، منها خمس وخمسون سنة في تونس، لم يترك مطبوعاً إلا كتابين صغيرين طبعهما استجابة لمطالب عصره، ومشاهير القرن التاسع عشر، وكلاهما تم طبعه قبل فرض الاحتلال على تونس، فهل انقطعت مؤلفاته المطبوعة باحتلال البلاد؟ ذلك ما لا نعلمه حتى الآن.

لقد تحدث بعض معارفه ومترجميه عن الكتب المطبوعة، فقالوا:

- بلوغ الأماني في مناقب الشيخ أحمد التجاني طبع بالمطبعة الرسمية بتونس سنة ١٢٩٥/١٨٧٨م في ١٦صفحة من القطع الصغير، وطبع ثانية سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، وطبع بفاس على الحجر في سنة الطبعة الثانية نفسها.

... وهذه الرسالة تعرضت لنسب الشيخ التجاني، وأسفاره بالمغرب الأقصى وتونس ومصر والحجاز، وتاريخ تأسيسه طريقته في سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١ ـ ٨٢، ومناقبه وأتباعه ووفاته.

والمترجم له لم يكن صوفياً، ولا من أتباع الطرائق الصوفية. والطريقة التجانية كانت منتشرة في الأوساط العليا الحكومية، ولعله ألفها تقرباً وزلفى وتعريفاً بنفسه لدى هاته الأوساط.

- مصارع أرباب العذر في التوسل بأهل بدر، طبع بالمطبعة الرسمية بتونس سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١ ـ ١٨٨٢م»(١٩).

بالتأكيد كانت له أشعار أخرى بشكل قصائد أو أبيات في الإخوانيات وفي الغزل... وربما في مجالات أخرى.

وإذا كان الكبادي قد روى ما يعجبه هو من غزله في مصر، لأنه كان يميل

> الروايات عنه وعن حبه للمال وسعيه الحثيث إلى الحصول عليه من أي طريق كثيرة جداً، حتى إن جميع الحكايات والروايات عنه، لا تخرج عن المال وقطع المسافات البعيدة في سبيله

إليه، فإن الكنانيش التونسية قد احتفظت لنا بأبيات أخرى سجلها مفهرس مكتبة حسن حسني عبدالوهاب (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨م) في فهرسه لمخطوطاته المهداة، فقال:

... لأحمد المكي مؤرخاً للبنر المعروف بالجوانح بجبل المنار(٢٠) الذي أنشأه محمد الطيب بن حسين باي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م (١٠ أبيات).

للبنر ذا أدى الأمير الطيب
وبمثله يتقرب المتقرب(٢١)

هذا مجمل القول عن شاعرنا أحمد أديب المكي في حياته التي نعرفها، وفي شعره الذي يكاد لا يعرفه إلا حفنة صغيرة من أهل الاختصاص التونسيين، فهل يعرفه أهل مكة وخاصة الكبار منهم؟ ويتجه كلامنا بوجه محدد إلى الشعراء المتقدمين في السن، وإلى المتفرغين للبحث ودراسة التاريخ الأدبي الحديث لهذه المدينة الشامخة والمقدسة إلى أبعد الحدود عند جميع المسلمين.

تقريظ من: (مكة المشرفة)

ومنها ما نظمه الفاضل الجليل. والبارع الذي ليس له مثيل. حميد الأخلاق العذبة المذاق. المزرية لطائف آدابه بكؤوس الاصطباح والاغتباق. مبدي أعزّ المآثر. ومثير محاسن الثناء المتكاثر. المفتخر بما له من حسن البراعة والسكينة. وغرر الأيادي الثمينة. الألمعيّ الأديب. والخنديد الأريب الصفوة الفاضل الشيخ سيد أحمد أديب. القرشي أحد فضلاء الحرم المكّي الشريف. أسبغ الله عليه سوابغ فضله الوريف. وهذا نصه:

أصباح راح من سماء خروس
أفلت لمطلعه نجوم نحوسي
أم حلّ ضو البدر جوزة منزلي
فغرت يد الأفراح درع بؤوسي
أم محكم الأوتار حرّك ساكنا
منها فنكّرنا بجزم نفوس
أم مبدعُ النغمات أودع صوتَه
آذاننا ما حطّ بالناقوس
أم حكمة الشعر البليغ تحكّمت
بحجا الرئيس بنا مع المرؤوس
فأرتهما فضل ابن بجدتها الهما
م الجهبذي التونسي ذي التوس
السيد العلم الشريف أبي الثنا
محمود الصافي مزاج كؤوس

قابادو من بعظيم كعبة علمه
طاف السراة وهم عُراةُ رؤوس
وحوت بناتُ الفكر منه معارفا
شيدت دعائمها على التأسيس
فلقد عدت آيات معجز فهمه
والسبق شُهرة قَدر رهط سدوس
أخفى محاسن شعر كلّ عرمَس
إشراقُ شمس قريضه النطيس
فأفاد ذا الآداب عذبَ نسيبه
تعريف كنه المبسم الملعوس
وغوامض اللغة التي في طيّه
نشرت بُنود ضمائر القاموس
فيد الصنيع لذي الكمال محمد
الأروع المعني بلفظ سنوسي
مولى الوقار أخي السكينة من له
شهدت مآثره بكل نفيس
فقد استعدَّ لنا فرات ظبائه
قنصا وأسكنها كناس طروس
وأباح ناظر كلّ رب دراية
بذرا منصّتها بهاء عروس
فبمثل هذا الصنع يعجبُ ذو النهى
لا باختراع مجاوري الناووس
لله والده الأبرّ وحبّذا
نجلٌ رقيق الطبع غير عبوس
لا زال قرما بالمدارك مُعلنا
جذلاً بصون مقامه المحروس

تهنئة

ومنها قصيدة فريدة للأديب الفاضل الشيخ السيد أحمد أديب المكي رئيس الكتبة بعمل سوسة ونصها:

سلمت أم معبد من عناد
يغرس الحقد في صميم الفؤاد
وحبت صبها وصالاً شهيًا
ما ألذّ الوصال إثر ارتياد
هذه الرتبة التي لم يفقها
غير إطفاء لوعة الابتعاد
بإياب الأمير من نحو أرض
شرفت منه بازديار النوادي
هي باريس تلك ذات التحلي
بمجاني معارف الاتحاد
سار من أرضه إليها كبدر
ملأ الكون نوره الإعتيادي
يحمل الفلك منه رونق ملك
دونه في البهاء ذات العماد
قد أحاطت به معيته الشمـ
ـاء طوبى لها بحسن المهاد
ووزيراه أسعدا باصطحاب
معه حيعلن بذا الإسعاد
إن فلكا قد امتطاه لأسمى
من سواه وإن يكن من جماد
لو يصحّ الكلام منه لأدى
شكر إيصاله لتلك البلاد
ولباهى به الجواري والأر
تال رتل سرى به في الوهاد
قد أضاءت به معالم باريـ
ـز ليال تكفلت بالمراد
وقضت واجباتها الغرّ منه
وطرا أكبرته شمّ البوادي
وأنالت تاريخ رحلته الغـ
ـراء ذكرا منزها عن نفاد
كاد ذا القطران يطير اشتياقا
يوم توديعه لفرط الوداد
ولياليه منذ غيبة مولا
ه حكتها أيامها في السواد
كيف لا وهو مظهر الأمن فيه
وأبو الدين فيه والإعتقاد
حصنه الناصر المعظم شأنا
وجلالاً محمد ذو الأيادي
المليك الحسيب أسعد مولى
بهني ملكه طويل النجاد
عاد في موكب الهنا لمقر
ملكه فيه مسفرا عن رشاد
متحفا قومه بزهو أثيل
ملأ السمع من ترنم شادي
أيها الأعظم المليك المهنى
بك عاد الهنا لغاد وبادي
بعد إيحاش كل مهجة شخص
مدة الظعن من هنا بانفراد
وبيمن احتلال هذا التلاقي
المباهي لأكبر الأعياد
حمد الله مخلصا كل عبد
ضمه القطر ذا عدته العوادي
وقد انجاب غيهب البؤس عن عا
صمة الملك ذا بطيب المعاد
وقدوم به نشرت علينا
من صنوف السرور أنفع زاد
لا عدمنا شهود نور تجليـ
ـك دواما على جميع العباد
بالغا في بنيك أوفى نصيب
من دواعي نجابة الأولاد
ومعاليك لن يزال سناها
سالما من بواعث الإنتقاد
مستطابا به التغني ببيت
قلت فيه مؤرخا ومنادي
أب من مقدم لباريز نور الـ
ـناصر الأوحد المهاب الجواد
سنة ١٣٣٠

البنر الطيب

للبنر ذا أذى الأمير الطيب
وبمثله يتقرب المتقربْ
أجرى حياة للنفوس جراية
أبقت له ذكرا جميلاً يضربْ

وثوابهـا قـد قـيـدت اطلاقـه
نعمْ الذي عن علمـه لا يعـزب
فردْوه يا أهل السّقاية ترحموا
وادعوا لواهبه ولا تستغربوا
فهوا بن من ملكوا القلوب ببرّهم
وبملكهم باهى سـواه الموكب
واستوهبوا فضل الإله لفتية
جمعيّة الأوقاف عنهم تعرب
فـهم الذين بجـعله لله من
مولى الهـباة بما رآه تسبّبوا
فـغدا بهـمتـهم كـفـاية وارد
يهـدي إليـه الواردين الذهب
ومـذ استحق بأن يؤم لنفعه
وغـدا ينازعه السمـوُ الكوكب
قـال القـؤول لوارديه مـؤرّخ
للبـئـر ذا أذى الأمـيـر الطيب
أحمد المكي
سنة ١٣١٣هـ

تقريظ

ثم تلاه الحبـر النبـيل، اللوذعي الجليل، بهـجة الآداب، ذو الفصاحة الرائقة التي تسبي الألباب، الماجد الشيخ السيد أحمد أديب المكي من أعيان أدباء مكة المشرفة. قال ما نصه:

لله مـا نسـجت يد الإتقـان
من محكم أرضى أولي العرفان
وأقـرّ عين الصـالحين بمحـوه
رسمًا به جهل الـهدى القرماني
هل خبط عشواء الذي ضربت به الـ
أمثال يشبه خـبط هذا الجاني
في ما نحاه كـاشـفا عن جهله
بالشـيخ عبـدالقـادر الجـيـلاني
وإغارة الشيخ ابن عزّوز على
مـا فـيـه من طعن بطعن ثان
أعني العريق الفاضل المكي من
سبق الشيوخ لفخر ذا الميدان
فـشفى الغليل وزال زيغ مـقلد
كـادت تصافـحـه يدُ الشيطان
لولا مـؤلفـه الذي أهدى إلى
جـيـد اليقين قلائد العقـيـان
وأبان عن نسب بـه أم القـرى
فـضلت عـراص بقـيـة البلدان
وأعاذ من نزعات هذا المعتدي
أفكار قـاضي السـالكين ودان
هذا هو الصنع الذي يبـقى بقـا
ء الدهر مـحـمـودًا بكل لسان
فـعلى مـؤلفـه الثناء بما بدت
فـيـه براعـتـه بخـيـر بنان
لم لا وقـد قـدر الإفـادة قـدرها
في كل مـا يبـديـه من تبـيـان
وغـذته ألبـان الرضى آباؤه
أسـد الهـداية طاهرو الأردان
يا أيها المولى الذي روت الهدى
أنفـاسـه لإمـاتة العـدوان
بوركت من حبر بيمن وجوده
تدني فـوائده يد الإحـسـان
لا فض فـوك ولا برحت مـبلغا
في العالمين بـواعث الرضوان
وليهنك الطبع السليم لما حوت
هذي الرسالة من جميل معاني
خصمت أدلتها الخصيم وأسكتت
مـا قد حكاه غـيـابة الكتـمـان
وكستـه فتكا قلت فيـه مؤرخا
للفـتك صـدُ الصـارم الرباني
سنة ١٣١٠هـ

المراجع والهوامش

١. مجلة الندوة ، تونس (عدد خاص بالكبادي ١٩٥٦م).
٢. المفيد السنوي تونس ص٤٣.
٣. المرجع والصفحة نفساهما.
٤. مشاهير التونسيين م٤ ص (٣٧٠ . ٣٧٦).
٥. المفيد السنوي ص٤٣.
٦. مجلة الندوة . عدد خاص بالكبادي.
٧. إدارة عملها: العمل قبل الاستقلال، هو المحافظة الترابية، قمتها الإدارية هو العامل، أي المحافظ. والعمل والعامل لفظان عربيان.
٨. هو رئيس الحكومة، ويسمى اليوم الوزير الأول.
٩. الباي: لفظ عثماني لقب به سلاطين تونس منذ نصبهم العثمانيون على البلاد عام ١٧٠٥م حتى إلغاء الملكية بها عام ١٩٥٧م.
١٠. محفوظ م ٤ ص (٣٧٠ . ٣٧٦).
١١. المرجع السابق.
١٢. محفوظ م ٣ ص ٣١٩.
١٣. محفوظ م٤ ص٣٧١.
١٤. المرجع السابق.
١٥. علي باي (الثالث): ولد يوم ١٨١٨/٧/٣٦م، وتولى العرش في ١٨٨٢/١٠/٢٨م وتوفي يوم ١٩٠٢/٦/١١م، وكان أحمد أديب شاعره الأول.
١٦. إلى أن توفي، أي أحمد أديب.
١٧. لفظا ومعنى: يريد أنه كان متفوقا على شعراء تونس.
١٨. المفيد السنوي ١٣٥٤/١٩٣٥م ص٤٣.
١٩. محفوظ، المرجع نفسه ص٣٧٦.
٢٠. بلدة صغيرة شمال العاصمة تسمى اليوم: سيدي بوسعيد.
٢١. ص٣٣١ من الفهرس المذكور، وهو يحدد محتوى كبش الطواحني.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٩٨)

ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - يونيو / يوليو ٢٠٠١م

الفائز الأول: **عبدالعزيز سعد عبدالكريم الخراشي - الرياض - السعودية.**
الفائز الثاني: **محمود يوسف محمد - السويس - مصر.**
الفائز الثالث: **محمد الأمين الريح عيسى - الخرطوم - السودان.**
الفائز الرابع: **عبده علي محمد الربعي - تعز - اليمن.**
الفائز الخامس: **عماد إسحاق سليم - الرصيفة - الأردن.**
الفائز السادس: **زايد سويد العتيبي - الطائف - السعودية.**
الفائز السابع: **عبدالله حمود النجم - صنعاء - اليمن.**
الفائز الثامن: **محمد مصطفى صبيح - القليوبية - مصر.**

حل مسابقة العدد (٢٩٨)

١- ناثانيال هوثورن:
روائي أمريكي أشهر آثاره «الحرف القرمزي».
٢- غِبَّ وزُرْ غباً تزدْ حُباً فمن   أكثر الترداد أضناه المَلَلْ
قائل البيت: ابن الوردي.
٣- الألتميتر: أداة لقياس الارتفاع.
٤- الماهوغاني: خشب صلب، بنيّ ضارب إلى الحمرة يصنع منه الأثاث الفاخر.
٥- توزر: مدينة في الصحراء التونسية.

أسئلة مسابقة العدد ٣٠١

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:

على شرف السبعين ودعت ماضيا   وشيّعت لمّاح الرؤى والأمانيا

☐ بولس سلامة   ☐ إيليا أبو ماضي.

(٢) ذهب مع الريح: ☐ رواية للكاتبة الأمريكية مارجريت منشيل
☐ أشهر روايات الكاتبة البريطانية شارلوت برونتي.

(٣) الباتيك: ☐ من الألعاب الشعبية في الهند   ☐ فن الرسم والطبع على القماش.

(٤) إسكيمو: ☐ كلمة تعني من يعيشون في بيوت ثلجية   ☐ معناها الذين يأكلون اللحم نيئًا.

(٥)سيف الدين الرحال: ☐ رحالة عربي من مؤلفاته كتاب «الشرق»
☐ أديب مهجري ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإسبانية.

الاسم: **المدينة:**   **ص.ب:**   **هاتف:**

العنوان: **الدولة:**   **الرمز البريدي:**   **ناسوخ:**



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا بحظ وافر لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

المعجم الجامع لما صُرِّح به وأُبْهِم في القرآن الكريم

مراجعة: وليد محمد السراقبي
عجمان - الإمارات العربية المتحدة

إذا كانت حركة التأليف المعجمي الجغرافي قد أفرزت للتراث العربي «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، و«الروض المعطار في أخبار الأقطار» لمحمد بن محمد بن عبدالمنعم الحميري، وغيرهما من المعجمات الجغرافية؛ فإن العجب ليأخذ منا كل مأخذ عند محاولتنا حصر الكتب التي أُلفت حول القرآن الكريم منذ تنزّله، وابتداء من مسائل نافع ابن الأزرق، وانتهاء بكتاب «الإتقان في علوم القرآن» للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) لخلو تراثنا العربي من معجم يتناول المواضع التي ورد ذكرها صريحة أو في صيغة الإبهام في القرآن الكريم.

وهذا الذي حدا بكل من الأستاذين الدكتور حمد محمد بن صراي، والدكتور يوسف محمد الشامسي إلى وضع معجمهما الذي يحمل عنوان «المعجم الجامع لما صُرِّح به وأُبهم في القرآن الكريم من المواضع».

وهو كذلك ما حفز مركز زايد للتراث والتاريخ - عمره الله تعالى - إلى تبنّي نشر هذا السفر الرائع، ليكون درّة في عقد منشورات المركز، وليحوز بذلك الريادة في نشر مثل هذه الأعمال.

صدر المعجم في طبعته الأولى سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م في مجلّد يقع في إحدى وعشرين وأربعمئة صفحة من القطع المتوسط. ويتألف من مقدمة وتعريف علمي بالمؤلفين، ومتن يضم أسماء المواضع، وقسم يضم بعض الخرائط التوضيحية لمواضع من الوطن العربي، وثبتين للمصادر والمراجع: الأول منهما للمراجع العربية، والآخر للمراجع الأجنبية.

عرّف المؤلفان في المقدمة (٩ - ١٢) بالكتاب، «فهو جامع لما جاء في القرآن الكريم من المواضع والبلدان على سبيل التصريح والإبهام» (ص:٩).



المعجم الجامع لما صُرِّح به وأُبهم في القرآن الكريم
تأليف:
د. حمد محمد بن صرّاي،
د. يوسف محمد الشامسيّ
دولة الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ
١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

«ويحتوي على المدن والقرى المذكورة بالاسم في الآيات الكريمات، أو لفظة قرية أو مدينة واردة في القرآن». [ص:١٣]، و«يشرح ألفاظاً أخرى مثل نهر إذا كان المقصود نهراً معيناً... والألفاظ الدالة على الأماكن التي عاشت فيها الأقوام والقبائل البائدة». [ص:١٣].

وتنبع أهمية الكتاب من جملة من الأمور، لعلّ منها:

- أسبقيّة البحث في هذا الميدان وريادته.
- شموليته البحثيّة، ففيه بحوث لغوية، وأخرى تاريخية، وثالثة جغرافية.
- توثيق الآراء والأقوال المختلفة التي تعرض لموضع واحد وتحقيقها ونقدها.
- الإسهام في تيسير الوصول إلى المعاني القرآنية الكريمة عند تحديد المواضع التي ذكرت فيها.

مرتكزات ومصادر

يرتكز منهج الكتاب على جملة من المعالم، لعل منها:

- الترتيب المعجمي، فقد افتتح المعجم بحرف الهمزة وانتهى بحرف الياء.
- إيراد المفردة - الموضع وفق ما وردت عليه في النص القرآني.

- مراعاة الأحرف الأصول في ترتيب مواده.
- إسقاط (الـ) التعريف في النظر إلى المفردة - الموضع.
- إثبات جميع الآيات قبل الشروع في بحث موضع بعينه.

وقد تعددت المصادر التي كانت تُكأة المؤلفين في صنع هذا المعجم ومورده، وهي موزعة بين مصادر عربية بلغت عدتها (٥٠٢) كتاب، وبين مصادر أجنبية بلغت عدتها (١١٥) مرجعاً.

ويمكن لدارس هذا المعجم أن يوزع هذه المصادر على:

- **المصادر الدينية**: وتشمل القرآن الكريم وما وضع حوله من كتب التفسير من جهة، وكتابي العهد القديم والعهد الجديد. فمن كتب التفسير - على سبيل المثال لا الحصر - تفسير مجاهد (ت ١٠٢هـ)، وتفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطيَّة (ت ٥٤٢هـ)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت ٩١١هـ). وإلى جانب ذلك جملة من التفاسير الحديثة كتفسير «في ظلال القرآن» لسيد قطب، والأساس في التفسير.
- **المصادر اللغوية**: وهي موزعة بين ما تناول غريب القرآن

تعددت المصادر التي كانت تُكأة المؤلفين في صنع هذا المعجم ومورده ومنها: المصادر الدينية، والمصادر اللغوية، والمصادر الحديثية، والمصادر الجغرافية، والمصادر التاريخية

خاصة، منها: كتاب «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، و«تُحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، وبين المعجمات اللغوية عامة، كـ «جمهرة اللغة» لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، و«لسان العرب» لابن منظور (ت: ٧١١هـ)، وغيرهما كثير.

- **المصادر الحديثية**: وهي موزعة أيضاً بين كتب الحديث، والكتب التي وضعت في رجال الحديث. فمن النوع الأول: «صحيح البخاري» (ت: ٢٥٦هـ)، و«صحيح مسلم» (ت: ٢٦١هـ)، وكتب السنن، و«مسند أحمد بن حنبل» (ت: ٢٤١هـ)، وغيرها.

ومن كتب الرجال: كتاب «الجرح والتعديل» لأبي حاتم (ت: ٢٧٧هـ)، وكتاب «المجروحين» لابن حبان (ت:٣٥٤هـ)، و«العلل الكبير» للترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، و«تهذيب الكمال» للحافظ المزي (ت: ٧٤٢هـ).

- **المصادر الجغرافية**: وهي موزعة أيضاً بين المصادر القديمة والدراسات الحديثة، فمن الأولى: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، و«الروض المعطار في أخبار الأقطار» لابن عبدالمنعم الحميري، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ). ومن الثانية: «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية وأخبارها» لعاتق بن غيث البلادي، وكتاب «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل»، لإبراهيم العلي.
- **المصادر التاريخية**: ومنها كتاب «البداية والنهاية»، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، و«نزهة الأمم في العجائب والحكم» لابن إياس الحنفي (ت: ٩٣٠هـ)، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، و«الروض الأُنُف» للسهيلي (ت:٥٨١هـ)، و«تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ). ومن أمثلة الكتب التاريخية الحديثة كتاب «تاريخ حضارة وادي الرافدين» لأحمد سوسة، و«مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» لطه باقر، و«دراسة تاريخية من القرآن الكريم» لمحمد بيومي مهران.

منهج الكتاب في تناول المواد:

قد يبدأ المؤلفان تفسيرهما للمادة - الموضع بالتعريف الجغرافي التاريخي، ثم يعقبان بالمعنى اللغوي، ففي أولى مواد المعجم نقف على كلمة (الأحقاف)، وفي تفسيرها قالا: «وهو مكان عاد قوم هود عليه السلام» (ص:١٧). ثم عقَّبا بالمعنى اللغوي فقالا: «والأحقاف والحقاف: جمع حِقف، وتعني الرمل المعوج، أو هو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء كهيئة الجبل.. وقيل: إن الأحقاف جمع حقف؛ وهي القبة، والمراد مساكن عاد» (ص:١٧).

وقد يبدأ أن المادة بالتفسير اللغوي كما في تفسيرهم «الرّيع»: و«الرّيع - لغة - تعني المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد» (ص:٢١٦). وكذلك في تفسير «الرقيم»: «أصله المرقوم، وهو الكتاب أو اللوح». (ص:٢١٢). وانظر أمثلة على ذلك: ص٢١٥، ٢١٨.

وربما وقف المؤلفان عند مجرّد التحديد الجغرافي للكلمة - الموضع، على نحو ما فعلا في تفسيرهما لكلمة «الأرض» في قوله تعالى: *واستكبر هو وجنوده في الأرض*. القصص:٣٩. فقالا: «أي أرض مصر» (ص:٧٨)، وانظر كذلك ص: ٦٢و٧٩.

وربما بدأا عرض المادة بأقوال المفسرين والمؤرخين. قالا في تفسير «الربوة» من قوله تعالى: *وجعلنا ابن مريم، وأمه آية*

وآويناهما إلى ربْوة ذات قرارٍ ومعين. المؤمنون: ٥٠: «اختلف أهل التفسير والتاريخ في تفسير الربْوة وتحديد مكانها والمقصود منها على عدة أقوال:

- هي المكان المرتفع من الأرض. وهذا القول مرويّ عن ابن عباس والضحّاك ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة.

- هي مصر. عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ووهب. أو عين شمس بمصر، أو هي بهنسا.

- هي دمشق. عن عبدالله بن سلاّم وسعيد بن المسيب والحسن البصري وزيد بن أسلم وخالد بن معدان. (ص:١٩٤).

ويعكس المعجم عظمة الجهد المبذول في إعداده، وينبئ عن الصبر والأناة اللذين تتحلّى بهما شخصيّتا المؤلفين، هذا إلى جانب سمات رئيسة تبرز فيه، ولعل من أهمها:

- **الموسوعية**: وهذا بادٍ لأدنى نظر بله التدقيق والتمحيص، وذلك من خلال الاستقصاء في عرض مختلف الآراء على اختلاف مواردها ومشاربها، ومن خلال هذا الكم الهائل من المصادر العربية والأجنبية التي رجعا إليها، فمادة واحدة مثل (الأحقاف) استغرقت ما يقرب من عشر صفحات، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تستقصى.

يرتكز منهج الكتاب على الترتيب المعجمي، وإيراد المفردة - الموضع وفق ما وردت عليه في النص القرآني، ومراعاة الأحرف الأصول في ترتيب مواده

- **الموضوعية العلمية**: ويعكس ذلك الجهد المبذول - حقاً - في توثيق الآراء التي تعرض للموضع الواحد، والسعي نحو اختيار أبعد الآراء عن التفسير الأسطوري أو الحكائي. من ذلك ما قالاه في معرض حديثهما عن (بابل): «.. وقبل الخوض في حقيقة بابل وباطلها سوف نفسر الآية حسب الرأي الراجح البعيد عن الأساطير والحكايات» (ص:١٠٩).

ومن ذلك أيضاً ما قالاه في الموضع نفسه في نقدهما لتأصيل (بابل) وأنها من تبلبل الألسنة واضطرابها، وأن قوم نوح لم يعد يعرف بعضهم لغة بعض بعد الطوفان. قالا: «وهذه الرواية يبدو عليها الانتحال لأن راويها ابن الكلبيّ، وهو ضعيف، بل متّهم بالكذب». (ص:١١٢).

- **الحس النقدي**: وهو سمة تتبع السمة السابقة؛ ذلك أن المؤلفين لم ينيا ينقدان بعض الروايات التي غصّت بها كتب التاريخ والتفسير من جهة، ويسعيان إلى الترجيح بين الآراء المختلفة والموازنة بينها. فمن الأمثلة على الجانب الأول قولهما بعد سرد جملة الآراء في تفسير (الأحقاف): «والملاحظُ على هذه الأقوال عدم الدقة في التحديد والتوسُّع أحياناً في التعريف لدرجة أنه يشمل مناطق صحراوية واسعة» (ص:٢٤).

ومن ذلك أيضاً تعليقهما على ما نقل في تفسير (الربْوة): «... وهذه الروايات تتباين صحةً وضعفاً حسب الروايات». (ص:١٩٥)

ومن الأمثلة على الجانب الثاني قولهما في تفسير الأرض الجُرز في قوله تعالى: *أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز*. السجدة:٢٧. «وعلى الأرجح أن الآية عامّة في الماء الذي يسوقه الله تعالى إلى الأراضي القاحلة فتصبح مخضرةً يانعة» (ص:٨٠).

ومن ذلك أيضاً قولهما: «ومن المرجّح أنّ الآية تشير إلى جنس الأرض، أي تأتي أي أرض من أراضي الأمم، وأطلقت الأرض هنا على أهلها مجازاً». (ص:٦٢).

وبعد؛ فإنّ الموضوعية والإنصاف تقتضيان منا أن نقدر للمؤلفين الكريمين جهدهما المبذول في إعداد هذا المعجم وتحرير الأقوال في مواده وتوثيقها، وهو جهد سيكون له أكبر الإسهام في سدّ ثغرة في تاريخ الدراسات التي تتعلق بالنص القرآني.

وإذا كانت عينا القارئ للمعجم تقفان على بعض الهنات التي لا تقدح في قيمة الكتاب وجهد المؤلفين، فهي تعود في الأعم الأغلب إلى أخطاء الطباعة. وأما ما يمكن أن يقف عليه الدارس من الاستطراد والإطالة في عرض بعض المواد في قليل من المواضع، فإن بالإمكان التماس العذر للمؤلفين الكريمين في أنهما كانا حريصين كل الحرص على موسوعية المعجم، وتغطية المادة - الموضع على نحو مفصّل تقطع به جهيزة قول كل خطيب.

لكن - والحق يقال - لا تمنع هاتان الملحوظتان القارئ المنصف من أن يكبر في المؤلفين علميتهما وموضوعيّتهما وصبرهما. وأن يقدر لهما ما بذلاه من جهد، وما صرفاه من وقت في إنجازه. وأن يقدّم الشكر لمركز زايد للتراث والتاريخ ويشدّ على أيدي القائمين عليه لسعيهم الحثيث إلى إخراج كل ما هو مفيد وماتع في الحقول المعرفية كافة، ومبلغ نفس عذرها مثل منجح.

آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية

مراجعة: عبدالراضي محمد عبدالمحسن
الرياض - السعودية

على الرغم من أن الاستشراق ظاهرة مثيرة للجدل اختلفت آراء الباحثين حولها بين قدح ومدح، إلا أنها جديرة بالدرس والمتابعة، وذلك بما تمثله من نشاط علمي ثقافي يُعدُّ أحد أهم الأدوار في تاريخ الحوار بين الحضارات والثقافات، وتبادل المعارف والعلوم عبر حواضر العالم وعواصمه الثقافية والعلمية.

كذلك بما تمثله تلك الظاهرة من جهد موفور انقضت فيه أزمان، وفنيت أعمار أجيال من العلماء والباحثين وأهل الاختصاص، ممن عكفوا على تتبع الأفكار والآراء والنظريات في تراث الأمم والشعوب التي شكلت روافد غنية أسهمت بدورها في إغناء قيمة الجهد الاستشراقي.

آثار علمية وسلبية

يستمد الاستشراق ثقله أيضاً من الحضارة التي يمثلها القائمون عليه، فهو بمنزلة المرآة التي تعكس آثار مدنية الغرب وما يمتلكه من: منهاج، وأدوات، وآليات بحث قلما تتوافر - في وقتنا الحاضر - لأمم الشرق وشعوبه.

وإلى جانب هذه الآثار العلمية التي تعكسها الظاهرة الاستشراقية فإن هنالك آثاراً أخرى سلبية خلفها الاستشراق في المجتمعات التي جعل منها حقلاً لنشاطه، ومن بينها المجتمعات الإسلامية.

فقد حاول الاستشراق جاهداً منذ البداية أن يسبر أغوار الحياة في المجتمعات الإسلامية مدفوعاً بأهداف السياسات التي قام المستشرقون - في الغالب - بخدمتها، سواء أكانت سياسات هادفة إلى نصرة الكنيسة، أم إلى تقديم الخبرات اللازمة لجيوش الاحتلال وصانعي خرائط المستعمرات والامبراطوريات الغربية في العالم الإسلامي.

وفي الوقت الذي يسعى فيه الغرب جاهداً إلى الحفاظ على مكاسبه التي جناها في المرحلة الاستعمارية، من الطبيعي أن يكثّف من نشاطاته في المجتمعات الإسلامية، مما يعني زيادة الآثار السلبية التي تخلفها الأنشطة الاستشراقية وتعمقها.

ومن أجل تحجيم تلك الآثار ومحاصرتها، لا بد من التنبيه على خطورة النشاط الاستشراقي في هذا المجال، والإلمام بتقنياته التي استحدثها، وأساليبه الجديدة التي انتهجها، ومناهجه التي وظفها: دائرة حول علم الإنسان (أنثروبولوجية)، ونفسية (سيكولوجية)، وإحصائية، واجتماعية (سوسيولوجية).

وهذا ما تتصدى له الدراسة التي بين أيدينا: «آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية» بإبراز آثار الاستشراق السلبية في المجتمعات الإسلامية، وبيان سُبُل مواجهتها، وتلمُّس كيفية تحييد الاستشراق والإفادة من جهوده.

وقد جاءت الدراسة في سبعة فصول وخاتمة. ففي

آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية
تأليف:
محمد خليفة حسن
القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٨م.

الفصل الأول عرض للآثار السلبية للفكر الاستشراقي في المجال الديني، لكون العقيدة الإسلامية من أهم المجالات المستهدفة من المستشرقين، وقد نالت النصيب الأوفر من جهود دوائرهم، والتي عملت في اتجاه تحصين العالم المسيحي ضد الإسلام بغية منع انتشاره في الغرب؛ وفي اتجاه آخر استهدف الشعوب الإسلامية في شكل هجمات تنصيرية، أو ترويج مزاعم وافتراءات على العقيدة الإسلامية.

وقد تمخضت آثار الفكر الاستشراقي في ذلك المجال عن:

- آثار الشكوك في العقيدة الإسلامية
- تشويه صورة الإسلام في الغرب.
- التعظيم من شأن الاختلافات بين الفرق والجماعات الإسلامية ودورها في المجتمع.
- التمكين للصهيونية في العالم العربي.
- التركيز في الطوائف والأقليات في المجتمع الإسلامي.
- التمكين للتنصير.

وفي الفصل الثاني تتبُّع الآثار السياسية للاستشراق في المجتمع الإسلامي الذي مثل نقطة البداية للعمل الاستشراقي، إذ بدأ الاستشراق بتقديم المعرفة الضرورية عن المجتمعات الإسلامية وأوضاعها السياسية لتسهيل عمل الحركة الاستعمارية والآلة التوسعية للغرب، وقد تمثلت آثار الفكر الاستشراقي التي خلَّفها في المجتمعات الإسلامية فيما يأتي: بعث القوميات، وإسقاط الخلافة العثمانية، وتجزئة العالم الإسلامي، ونشر النظم السياسية الغربية في الدول الإسلامية.

ورصد الفصل الثالث الآثار الاجتماعية للفكر الاستشراقي في المجتمع المسلم، فقد تركزت جهود المستشرقين حول السعي إلى عزل المسلم عن طبيعة مجتمعه، وإبعاده عن عاداته وتقاليده، ومحاولة وضع أسس جديدة للحياة الاجتماعية الإسلامية، ومهد المستشرقون لذلك بالتشكيك في قيمة النظام الاجتماعي في الإسلام، ثم عمدوا إلى تقديم المجتمع الغربي في صورة أنموذج مثالي يحتذى من كل من أراد اللحاق بقطار التمدن، والفرار من المجتمعات الجامدة والمتخلفة.

ونتج من هذا الدور الاستشراقي عدة تأثيرات سلبية، أهمها:

- تغريب المجتمع المسلم من خلال التأثير في قيم الأسرة المسلمة.
- الغارة على المرأة المسلمة، ودعوتها للتحرر من القيود المزعومة التي تكبِّلها، وإثارة موضوع تعدد الزوجات بصفته أحد أهم مظاهر امتهان كرامة المرأة.

وتناول الفصل الرابع آثار الفكر الاستشراقي في المجال الاقتصادي، إذ وقعت المجتمعات الإسلامية بفعل الاستشراق تحت تأثير جاذبية الإعجاب بأحد نظامين اقتصاديين متناقضين هما: النظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي كبديل للنظام الاقتصادي الإسلامي.

فمن خلال اتهام النظام الإسلامي بالعجز عن حلّ المشكلات الاقتصادية التي تواجه بلدانه، وعن طريق إعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسمالية والاشتراكية كنوع من التأصيل للنظريتين وإثبات عدم خروجهما عن النظام الاقتصادي الإسلامي، تمّ التمكين للرأسمالية والاشتراكية في البلاد الإسلامية، ممَّا قاد إلى:

- ضياع الوحدة الاقتصادية للمسلمين.
- تبعية العالم الإسلامي اقتصادياً للغرب.
- تعطيل المؤسسات الاقتصادية الإسلامية.
- عرقلة البرامج الاقتصادية وجهود التنمية في المجتمعات الإسلامية.

في الفصل الخامس كشف البحث عن الآثار السلبية للاستشراق في المجال الثقافي والفكري الذي يُعدُّ من أخطر المجالات المستخدمة للتأثير في المجتمعات الإسلامية، فعن طريقه انتقلت الأفكار والمذاهب والنظريات الغربية في التاريخ والدين والاجتماع والفلسفة والأدب والفن والأخلاق خلال القرنين الأخيرين، ووجدت مكانها في الحياة الثقافية للمسلمين.

واستهدف الاستشراق بغزوه الثقافة الإسلامية تحقيق عدد من المطالب الخطيرة، منها:

- تشتيت الجهود الفكرية والثقافية والعلمية للمسلمين، بإشغالهم في الرد على النظريات والمذاهب الغربية غير الصالحة للمجتمع المسلم.
- نشر القيم الغربية.
- تشجيع الفكر غير العقلاني لتغييب العقل المسلم والتمكين لروح الخرافة والأسطورة.

- إحياء ثقافات النزعة القومية.

استخلص الفصل السادس الآثار السلبية الواسعة للفكر الاستشراقي في مجال العلوم الإسلامية، وقد استخدم المستشرقون لتحقيق أهدافهم في ذلك المجال عدداً من الوسائل، منها:

- التشكيك في مصادر العلوم الإسلامية.

- التشكيك في أصالة الفكر الإسلامي ومصادره، وذلك بالطعن في:

أ- أصالة الشريعة والفقه الإسلامي.

ب - أصالة النحو العربي.

جـ - أصالة الأدب العربي.

د - قدرة اللغة العربية في العصر الحديث.

هـ - أصالة الحضارة الإسلامية.

الفصل السابع جاء محاولة للتعريف ببعض الآثار الإيجابية للاستشراق، والتي يمكن تلمُسها من خلال:

أثار الفكر الاستشراقي الشكوك في العقيدة الإسلامية، وشوه صورة الإسلام في الغرب، وعظم من شأن الاختلافات بين الفرق والجماعات الإسلامية

- عزل الاستشراق عن القوى المحركة له: الاستعمار والتنصير.

- النظرة الشمولية للاستشراق وعدم الاقتصار على الإطار الضيِّق المحصور في نطاق الدراسات العربية والإسلامية.

- عدم إغفال أثر الاستشراق في الفكر الغربي وتشكيل رؤيته للعالم الإسلامي.

- تأثر المستشرقين بالإسلام.

سبل المواجهة

أما الخاتمة فجاءت بياناً لسُبُل مواجهة آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، والتي يحددها المؤلف في ثماني سُبُل هي:

أولاً: الدراسة العلمية الواعية للاستشراق من قبل مراكز بحوث متخصصة، تلك المراكز المفتقدة في العالم الإسلامي باستثناء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والتي أنشأت قسماً علمياً أكاديمياً للاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة، ومركزاً للدراسات الاستشراقية والحضارية بها، بالإضافة إلى وحدة للبحوث الاستشراقية بعمادة البحث العلمي بالرياض.

ثانياً: تحصين المسلمين ضد أفكار الاستشراق الهدامة بدعوتهم إلى التمسك بدينهم وتفقههم في أموره.

ثالثاً: حث وسائل الإعلام على مراجعة ما تبثه من مواد معادية للفكر الإسلامي ومعينة على تسرب الآراء المنحرفة إلى المجتمعات الإسلامية.

رابعاً: تنقية الفكر الإسلامي مما شابه من أفكار مدسوسة عليه عبر رحلته الطويلة.

خامساً: توفير الكتاب الإسلامي البديل للكتاب الاستشراقي.

سادساً: إعداد دائرة معارف إسلامية كي تحل محل دوائر المعارف الاستشراقية.

سابعاً: الإسراع في تنمية المجتمعات الإسلامية بضوابط وحلول إسلامية.

ثامناً: دعم مؤسسات الدعوة الإسلامية؛ لتكون قادرة على مواجهة الاستشراق بإمكاناته الهائلة.

ويكشف البحث بفصوله السبعة وخاتمته عن عمق التناول وشمول الرؤية في معالجة موضوعه، فقد تتبع آثار الفكر الاستشراقي في كل ما له علُقة بالمجتمعات الإسلامية، وتناول ذلك بلغة علمية رصينة بعيدة عن الخطابية أو الانحياز، وذلك راجع إلى التمكن من آليات البحث العلمي وأدواته ومناهجه النقدية والتاريخية والموازنة، كذلك الاطلاع على التراث الاستشراقي في أكثر من لغة.

وهذا ما أتاح للبحث الوقوف على أبعاد مشكلة الآثار السلبية للفكر الاستشراقي إلى جانب اقتراح سبل مواجهة تلك الآثار وتحديدها.

ومما يحسب في رصيد البحث أن مقترحاته جاءت عملية ممكنة، ووجدت صداها أو موافقة لها من قبل المؤسسات الإسلامية التي تعاونت في تنظيم مؤتمر «مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي» المنعقد في الرياض في الفترة من ٢٢ - ٢٥رجب ١٤٢٠هـ، برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية، وذلك إدراكاً لأهمية موضوع مصادر المعلومات، ومنها الاستشراق.



الملك فهد يدعم ندوة التراث العمراني

تكريم الأمير الشاعر عبدالله الفيصل

مؤتمر ثقافي لدعم العلاقات الألمانية العربية

تراث العالم في مكتبة الإسكندرية

الأمازيغية في نظام التعليم المغربي

رحيل كشلاف، وكاثرين غراهام، وآمادو، وماجد سرحان، وكلوسوفسكي

المعارف تكرم الجهيمان وجائزة تشيكايا لداورتي



خاتمة المطاف

العلاج عبر الإنترنت انطلاقة واعدة

الملك فهد يدعم ندوة التراث العمراني

تبرع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بـ ٣٠٠ ألف ريال (نحو ٨٠ ألف دولار) دعماً لندوة «التراث العمراني في المدن العربية بين المحافظة والمعاصرة» التي ينظمها المعهد العربي لإنماء المدن (مقره في الرياض) بالتعاون مع مؤسسة التراث في المملكة العربية السعودية، ومجلس مدينة حمص والمقرر أن تعقد في مدينة حمص السورية في الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م.



الملك فهد بن عبد العزيز

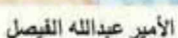
وصرح صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس مؤسسة «التراث» أن المدن العربية في العصر الراهن تطورت بشكل متسارع ومن دون تخطيط مسبق في كثير من الأحيان مما أدى إلى تأثر التراث المعماري بالظروف المستجدة وتعرضه للتعدي وإساءة الاستخدام والإهمال.

وترمي هذه الندوة إلى تحقيق عدة أهداف، منها: تحديد الملامح الأساسية لطابع المدينة العربية ومكونات شخصيتها، والتعرف إلى العوامل المختلفة التي أثرت في نموها والمرتبطة بالتراث الحضاري، ودراسة قوى التغيير التي تجتاحها في الوقت الراهن، واستشراف الصورة المستقبلية لها، وغير ذلك من الأهداف التي تخدم قضية المدينة العربية وتحافظ على تراثها الحضاري.

دار سعاد الصباح تكرم عبدالله الفيصل

بمشاركة عدد من الأدباء والنقاد العرب شهدت مدينة أبها في الفترة ما بين ١٠ ـ ١٢جمادى الآخرة الماضي مهرجان تكريم صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبدالله الفيصل بن عبدالعزيز من قبل دار سعاد الصباح تقديراً لإبداعه الشعري وعطائه الثقافي.

وقد تضمن المهرجان انعقاد عدد من الندوات، جاءت عناوينها على النحو الآتي: «عبدالله الفيصل الإنسان ورجل الدولة»، و«قراءات شعرية من إبداع عبدالله الفيصل ـ الشعر الفصيح»، و«قراءات شعرية من إبداع عبدالله الفيصل ـ الشعر الشعبي»، و«عبدالله الفيصل في دائرة النقد»، و«قراءة نقدية في إبداع الأمير عبدالله الفيصل ـ الشعر الشعبي»،واختتمت الندوات بندوة نسائية بعنوان «عبدالله الفيصل في دائرة النقد». وقد تحدث المشاركون عن شخصية الأمير الشاعر والخصائص الفنية والجمالية لشعره، وشهد المهرجان أيضاً عرض فلم تسجيلي يصور مشاهد من حياة الأمير، كما صدر كتاب في ألف صفحة يتناول إبداعاته، شارك في تحريره عدد كبير من النقاد.



الأمير عبدالله الفيصل

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير قد افتتح مهرجان التكريم مهنئاً الأمير الشاعر عبدالله الفيصل على الاعتراف له بالفضل من مثقفي العالم العربي؛ في عالم الثقافة، وفي عالم الفكر، وفي عالم الرياضة، مشيراً إلى أننا «مهما عملنا من التكريم فلن نفيه حقه»، وقدم سموه الشكر لدار سعاد الصباح على اختيار أبها لهذه المناسبة الكبيرة، كما قدم شكره إلى الأمير محمد عبدالله الفيصل بوصفه صاحب الفضل في تنظيم «هذا العرس الكبير في هذه المدينة الجميلة».

وفي حفل الختام قال سموه: «عرفت أخي عبدالله الفيصل أميراً للأخلاق، شاعراً للجمال، رمزاً للإنسان تشجيه النسمة العليلة، ويطربه موج البحر، ويعتصره الأسى أمام الظلم».

ولد الأمير الشاعر في مدينة الرياض في ١٣٤١/١١/١٥هـ الموافق ١٩٢٢م، وعاش في صباه في كنف جده الملك عبدالعزيز في الرياض ـ يرحمه الله ـ ثم انتقل بعد ذلك إلى الحجاز حيث عاش في كنف والده الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ وحصل على الشهادة الابتدائية من إحدى المدارس بمكة المكرمة، وعمل وكيلاً لنائب الملك في الحجاز، وكان النائب حينذاك الملك فيصل. وعين وزيراً للداخلية ووزيراً للصحة في الوقت نفسه فترة زمنية، ثم تفرغ بعد ذلك لوزارة الداخلية. ويعد الأمير الشاعر من أبرز المساهمين في دعم الحركة الرياضية في المملكة وتشجيعها، وترك العمل الإداري

وتفرغ لأعماله الخاصة والقراءة والاطلاع.

صدر ديوانه الأول «وحي الحرمان» سنة ١٣٧٣هـ، والثاني «حديث قلب» سنة ١٤٠٣هـ، وله مجموعة من قصائد الشعر الشعبي ضمها ديوانه «مشاعري»، وقد حصل على عدد من الجوائز والشهادات التقديرية من داخل المملكة وخارجها.

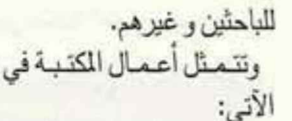
نظام حماية التراث المخطوط في السعودية

وافق مجلس الوزراء السعودي في جلسته برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله بتاريخ ١٦ جمادى الأولى سنة ١٤٢٢هـ الموافق ٦ أغسطس/آب عام ٢٠٠١م على نظام حماية التراث المخطوط في المملكة العربية السعودية بعد أن اطلع المجلس على ما رفعه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض المشرف العام على مكتبة الملك فهد الوطنية التي سوف تتولى الإشراف على هذا النظام. ويتكون هذا النظام من ثماني مواد، جاءت كالآتي:

- المخطوط هو ما خط باليد أو رقن بالآلة ومضى على تدوينه خمسون عاماً فأكثر، سواء أنشر فيما بعد أم لم ينشر، وسواء أكان في مكتبة رسمية أو خاصة، أم كان لدى هيئات أو شخصيات.
- المكتبة: هي مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الترميم: معالجة الأجزاء التالفة من المخطوط وصيانته بطريقة فنية لا تؤثر في محتواه العلمي.
- التسجيل: تدوين البيانات الوصفية المتعلقة بالمخطوط في سجل خاص بالمكتبة.
- الفهرسة: تدوين البيانات الوصفية عن المخطوط بذكر عنوانه وموضعه ومؤلفه والعصر الذي عاش فيه ومسطرته وعدد أوراقه وناسخه وتاريخ النسخة، والمعلومات الأخرى المثبتة عليه من تملك ووقف، وبيان حالته المادية وما يحتوي من ميزات.

أما الأهداف فتتلخص في الآتي:

- الحفاظ على التراث المخطوط في السعودية.
- إعطاء المكتبة سنداً نظامياً يساعد على طلب المخطوطات من الهيئات والمكتبات المحلية والأفراد بالتراضي، لتصويرها وإتاحتها للباحثين في مكان واحد.
- إعانة المكتبة على إصدار فهرس وطني بالمخطوطات الموجودة داخل السعودية بما يعين على توفير المعلومات عنها للباحثين و غيرهم.





الأمير سلمان بن عبد العزيز

وتتمثل أعمال المكتبة في الآتي:

- اقتناء المخطوطات الأصلية عن طريق الشراء أو الإهداء أو الوقف.
- تسجيل المخطوطات المحفوظة في المكتبات الرسمية والخاصة وما لدى الهيئات والأفراد في سجل خاص، وتعطى شهادات تسجيل لملاك المخطوطات من الأفراد والمكتبات الرسمية الخاصة.
- التنسيق مع المكتبات الأخرى المؤهلة فنياً في تعقيم المخطوطة التي تحتاج إلى ذلك وترميمها وصيانتها.
- تصوير جميع المخطوطات الأصلية المحفوظة في المكتبات الرسمية والخاصة والمملوكة من قبل الأفراد، وتحفظ نسخة منها ضمن مجموعة لإتاحتها للباحثين، بينما يتم إيداع نسخة أخرى في مخزن يوفر لها الحماية والأمن ويكون في موقع يبعد عن موقع المكتبة أكثر من أربعة أميال.
- فهرسة المخطوطات الموجودة في السعودية وإخراج فهرس وصفي مع موالاة فهارس متعاقبة لكل مجموعة تنتهي فهرستها.
- تبادل صور المخطوطات بين الأجهزة العلمية المختلفة في الداخل والخارج.

ويتكون مجلس أمناء المكتبة من لجنة متخصصة لتحديد التراث المخطوط المشمول بالحماية وفقاً لهذا النظام والنظر في مخالفات أحكامه، وتحدد اللائحة التنفيذية أعمال اللجنة في الآتي:

- للمكتبة الاطلاع على مخطوطات المكتبات الخاصة أو الهيئات أو الأفراد؛ بهدف توثيقها.
- من حق صاحب المخطوط أن يخرجه خارج السعودية لغرض الترميم أو العرض أو البيع بموافقة المكتبة إذا لم ترغب المكتبة أو سواها من داخل السعودية في الشراء بالسعر المعروض، ويتم إشعار المكتبة بالمالك الجديد

ويعاقب كل من يخالف الفقرة السابقة بغرامة لا تزيد على خمسين ألف ريال، ويمكن التظلم أمام ديوان المظالم خلال ستين يوماً من تاريخ إبلاغه.

دورات تدريبية بمعهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية



صورة من إحدى الدورات

ينظم معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية التابع لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ثلاث دورات للتدريب: الأولى بعنوان «أرشيف بلا ورق: الطرائق الحديثة لمعالجة الوثائق والمحفوظات وتنظيمها مع التركيز في الوثائق الحكومية»، وتعقد خلال الفترة من ١٢ رجب - ٢٢ شعبان سنة ١٤٢٢هـ (٢٩ سبتمبر/أيلول - ٧ نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠٠١م).

وتهدف هذه الدورة إلى إطلاع المتدربين على أهمية الوثائق والمحفوظات، وتعريفهم بأجهزة الأقراص الضوئية والمصغرات الفلمية الحديثة وتطبيقاتها في مجال الوثائق والمحفوظات، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم على استخدام هذه الأجهزة للرفع من مستوى الأداء والإنتاجية.

وستكون الدورة الثانية التي تعقد في الفترة من ١١ - ١٥ شعبان سنة ١٤٢٢هـ (٢٧ - ٣١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م) عن «قراءة المسكوكات وتوثيقها».

و ترمي هذه الدورة إلى تعميق الوعي بأهمية المسكوكات، وتشمل موادها ومحاورها نشأة النقود وتطورها التاريخي، ومسكوكات ممالك الجزيرة العربية، والمسكوكات الإسلامية ومراحل تطورها، وكيفية قراءة المسكوكات الإسلامية، والدور الوثائقي للمسكوكات في التاريخ الإسلامي، إلى جانب معلومات عن تزييف المسكوكات الإسلامية (أسبابها، أنواعها، طرائق الكشف عنها)، وفهرسة المسكوكات وتصنيفها وعرضها، ومعالجتها وصيانتها.

وعنوان الدورة الثالثة «حقوق الملكية الفكرية: الأنظمة والتشريعات» وتعقد خلال الفترة من ٢١ - ٢٥ شوال سنة ١٤٢٢هـ (٥ - ٩ يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٢م)، وهي ترمي إلى نشر الوعي بحقوق الملكية وأهميتها، وكيفية التعامل مع المنظمات والجهات المعنية عن علم ودراية، والتأهيل للعمل في هذا المجال، وتعميق الالتزام الديني والأخلاقي والقانوني تجاه حقوق الملكية. وتشمل مواد الدورة وموضوعاتها حقوق التأليف والتنمية الثقافية والإبداع الفكري، ونظام حماية حقوق المؤلف في المملكة، ودور المملكة في الاتفاقيات الإقليمية والدولية، والاتفاقية العالمية لحق المؤلف ((ucc، واتفاقيات حقوق التأليف والحقوق المجاورة والإنترنت، و اتفاقية ((TRIPS، و تقنية المعلومات وبرامج الحاسب الآلي، و حماية الأعمال الأجنبية في المملكة العربية السعودية، والاستخدام الحر للأعمال الفكرية، و حماية حقوق الملكية الفكرية من وجهة نظر شرعية. وستكون الدراسة باللغتين العربية والإنجليزية، ويقوم نخبة من أساتذة الجامعات ورجال الإعلام وأشهر المتخصصين من المنظمات العالمية بحقوق الملكية الفكرية بإلقاء المحاضرات والتدريب اللازم.

ولمزيد من الاستفسار عن هذه الدورات وغيرها من الدورات التي يعقدها المعهد، يمكن الاتصال على: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية - ص.ب ٥١٠٤٩ - الرياض ١١٥٤٣ - المملكة العربية السعودية - هاتف ٢١٧٤٩٨٩ - ناسوخ ٤٦٥٠١٤٣/٤٦٥٩٩٩٣ - بريد الكتروني: .alfaisalinst @ Kff. Com

مخطوطات ومقتنيات نادرة بمركز الملك فيصل

اقتنى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة، منها مخطوطة لايوجد منها غير النسخة التي يحتفظ بها المركز وعنوانها: الثاني من مسند أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود الهذلي، وقد جمعه: أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد البغدادي الهاشمي، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، المولود سنة ٢٢٨هـ، والمتوفى سنة ٣١٨هـ.

وكُتبت النسخة على ورق مشرقي، بخط النستعليق، كتبها ممتلكها أبو إسحاق إبراهيم بن محمود بن نصر الحرّاني ثم البغدادي الشعّار، المتوفى سنة ٥٦٤هـ.

وقد اعتنى الناسخ بنسخته هذه، فقابلها وعلّم على ذلك

بالدوائر المنقوطة المصطلح عليها عند أهل الحديث، كما سجل في آخرها السماع الموجود في أصلها وكان سنة (٤٧٨هـ)، وسجل سماعاته عليها وأرخها سنة (٥٥٤هـ)، وسنة (٥٦٠هـ)، ثم تلا ذلك سماعات عدة لكبار المحدثين من شيوخ الذهبي وغيرهم مما يعطي نفاسة وندرة.

تقع النسخة في ١٤ورقة، في كل ورقة ١٦ سطراً، ومسطرتها ١٧.٧×١٣.٧سم، وهي محفوظة بالمركز برقم (١٠١٦٨)، كما اقتنى المركز مجموعة أخرى من المخطوطات منها:



من المقتنيات الجديدة بمركز الملك فيصل

- شرح الموجز في الطب، لجمال الدين محمد بن محمد بن محمد الأقسرائي المتوفى سنة ٧٧٦هـ/ نسخة مكتوبة سنة ١١١٥هـ.

- رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، نسخة من القرن الحادي عشر.

- المختار في الطب، للمهذب أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عليّ المعروف بابن هبل المتوفى سنة ٦١٠هـ، نسخة من القرن الحادي عشر.

- مجموع أوله حاشية تهذيب المنطق، لعناية الله بن عبدالله الوابكي البخاري الحنفي الشهير بأخوند المتوفى سنة ١١٧٦هـ، نسخة من القرن الثاني عشر.

- كتاب الأذكار للإمام النووي، نسخة مكتوبة سنة ٨٣٠هـ.

- حاشية على الكشاف للزمخشري، للشريف محمد بن عليّ الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ، نسخة عتيقة مكتوبة سنة ١٠٥٩هـ، وغيرها من المخطوطات.

واقتنى المركز كذلك مجموعة من القطع التراثية من بينها:

- طشت من النحاس الأصفر المطروق من الفترة السلجوقية يحمل اسم السلطان «عضد الدين» بخط كوفي وبشكل متكرر، ويحمل زخارف نباتية وهندسية وحيوانية دقيقة - خراسان - القرن السابع الهجري تقديراً.

- ثلاث فازات (مزهريات) من الخزف الأبيض المزجج والمزين برسوم متنوعة، فالأولى والثانية تحمل رسوماً زهرية ملونة بأرضية بيضاء ناصعة والثالثة تحمل رسوماً آدمية لفتاة وفتى ورجل مسن بتفاصيل دقيقة عكست مدى تطور رسم (البورتريه) في العصر القاجاري، إيران - القرن التاسع عشر الميلادي.

- صحن من السيراميك المزجج على أرضية فيروزية مع زخارف سود. فارس - نهاوند - العصر القاجاري - القرن الثامن عشر الميلادي.

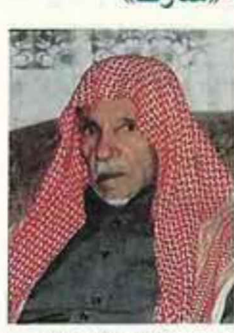
- طبق من الفخار المشوي يرتكز على قاعدة دائرية مزين بزخارف بنية على أرضية ترابية اللون - آسيا الوسطى - القرن الثالث عشر الميلادي تقديراً.

- زبدية كبيرة بقاعدة وعنق من الخزف المزجج بلون فيروزي بنقوش هندسية منتظمة على دائر الزبدية وهي نادرة من حيث الحجم (سورية - الرقة، القرن ٧هـ تقديراً).

- صحن صغير من الخزف المزجج بأرضية بيضاء وأشكال زهرية وكتابات باللونين الفيروزي والأسود تحمل عبارة «العز والولاء» (سورية - الرقة، القرن ٧هـ تقديراً).

- بلاطة قاجارية مربعة من الفخار المزجج والمعالج بالألوان الفاخرة على طريقة العجمي، تحمل زخارف زهرية، وداخل إطار ثماني الأضلاع يوجد رسم لأمير قاجاري شاب بتاجه الملكي. (إيران - القرن ١٣هـ - ١٩م).

الجهيمان في سلسلة «معارف»



عبد الكريم الجهيمان

بمناسبة اختيار الأديب عبدالكريم الجهيمان الشخصية الثقافية لمهرجان الجنادرية السادس عشر، وعرفاناً بالدور الذي أداه طوال ٦٥ عاماً من عمره، تعتزم وزارة المعارف السعودية ممثلة في الإدارة العامة للثقافة، طباعة مجموعة من قصصه المعروفة بمضمونها الاجتماعي ونكهتها المحلية، ويبلغ عدد الكتب المزمع

طباعتها اثنتي عشرة قصة وحكاية تصدر دوريًا ضمن سلسلة يطلق عليها «معارف».

والمعروف أن عبدالكريم الجهيمان أحد الرواد الذين لهم إسهامات ثرة في المجال الثقافي من خلال عدد من المؤلفات منها: «الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية»، و«رسائل لها تاريخ»، و«ذكريات باريس»، و«دورة مع الشمس»، وديوان «خفقات قلب»، و«أساطير شعبية في قلب جزيرة العرب» من خمسة أجزاء.

ومن إسهاماته ايضًا تأسيس مكتبة أشبال العرب التي صدرت عنها مجموعة من القصص، منها: «ابن الملك وأصحابه»، و«الصائغ والسائح»، و«الحمامة المطوقة»، و«الناسك والقطة»، و«الطاؤوس»، و«لغة الطير»، وغيرها من القصص، كما أسس أيضًا مكتبة الطفل في الجزيرة العربية، والتي صدرت عنها مجموعة من القصص، منها : «الرفيق الخائن»، و«القطاة الساحرة»، و«العفريت ذو السبعة رؤوس»، و«الحطاب والكنز»، و«عائشة أم عائشة». و«اللقاط ابن اللقاط»، وغير ذلك من القصص والحكايات.

مركز الشرق الأوسط الثقافي في اليابان

أرسل مركز الشرق الأوسط الثقافي في اليابان فرقًا قامت بنشاط مسحي لآثار منطقة سيناء، استمرارًا لاهتمامه بالدراسات التاريخية والآثارية التي تبرز الدور الإسلامي في الحضارة الإنسانية. وقد نشر المركز أعمال بعض الندوات والمؤتمرات التي نظمها، ومنها: Urbanism in Islam «التحضر في الإسلام»، وهو يضم أعمال المؤتمر الدولي عن التحضر في الإسلام الذي عقد في اليابان في الفترة من ٢٢ إلى ٢٨ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٨٩م، ويقع في ستة مجلدات احتوت على بحوث ودراسات مهمة منها: المعنى الاجتماعي للقضاء، والمدنية في الغرب والإسلام، ودراسة على شواهد عربية وفارسية قديمة في الساحل الجنوبي الشرقي للصين، وشبكة الطرق والفضاء المفتوح في المدن الإسلامية، وتاريخ التجار المسلمين في مدن شرق آسيا، والمدن الإسلامية الحديثة والتغيرات العائلية (حالة تونسية)، وقازان بعد ١٥٥٢م، وتغيرات طرائق الحياة في القاهرة، والدراسات المقارنة للمدن، وديار بكر: تاريخها، خط استيطانها ومشكلاتها.

كما نشر المركز نتائج الرحلات الاستكشافية التي قام بها في مدينة الطور في منطقة سيناء بجمهورية مصر العربية تحت عنوان A Port City Site on the Sinai Penin- sula al- Tur في تقريرين مزودين بالصور أعدهما Mutsuo Kawatoko نشر الأول في عام ١٩٩٥م وهو نتائج الرحلة الاستكشافية الحادية عشرة في عام ١٩٩٤م، والآخر في عام ١٩٩٦م وهو نتائج الرحلة الاستكشافية الثانية عشرة في عام ١٩٩٥م.

وينشر المركز دورية عنوانها: Journal Of East - West Maritime Relations «العلاقات الساحلية بين الشرق والغرب»، ومن إصداراته الأخرى:

Symposium Ports and port cities in History - Their Formation and Form -

وهو كتاب يضم بحوثًا قدمت في مؤتمر عن الموانئ ومدنها في التاريخ، في الحادي عشر والثاني عشر من شهر ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٩٣م.

نقد العقل العربي



غلاف الكتاب

عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت صدر للدكتور محمد عابد الجابري الجزء الرابع من سلسلة نقد العقل العربي بعنوان «العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية»، وجاء هذا الجزء في ٦٤٠ صفحة موزعه على قسمين: القسم الأول: المسألة الأخلاقية في التراث الأدبي، واشتمل على أربعة فصول، والقسم الثاني: «نظم القيم في الثقافة العربية أصولها وفصولها»، وتوزع على خمسة أبواب، وفي كل باب عدة فصول، الباب الأول: «الموروث الفارسي وأخلاق الطاعة»، والباب الثاني، «الموروث اليوناني: أخلاق السعادة»، والباب الثالث: «الموروث الصوفي: أخلاق الغناء، وغناء الأخلاق»، والباب الرابع: «الموروث العربي الخالص، أخلاق المروءة»، والباب الخامس: «الموروث الإسلامي في البحث عن أخلاق إسلامية».

يقول الجابري في المقدمة موضحًا منهجه في هذا الكتاب: « أما عن المنهج فيمكن القول باختصار: إنه المنهج نفسه الذي اتبعناه في الأجزاء السابقة، وكنا قد حددنا خطواته الثلاث في كتابنا: «نحن والتراث»: التحليل التاريخي، المعالجة البنيوية، الطرح الأيديولوجي. والتعديل الذي سنقوم به هنا لا يخص هذه الخطوات نفسها بل فقط طريقة ممارستها. ذلك أننا سنمارس هذه الخطوات بصورة تركيبية. ومعنى هذا أننا لن نفصل «التكوين» عن «البنية»، كما فعلنا في «العقل النظري»، ولا «المحددات» عن «التجليات»، كما فعلنا في «العقل السياسي»، بل سنسلك مسلكًا أقرب إلى مسلكنا في «تكوين العقل العربي». ولاشك أن القارئ يذكر أننا جعلناه قسمين: الأول بعنوان: «العقل العربي: بأي معنى؟ مقاربات أولية». والثاني «تكوين العقل العربي: المعرفي والأيديولوجي في الثقافة العربية». وعلى غرار هذا النموذج جعلنا هذا الجزء قسمين كذلك: الأول «المسألة الأخلاقية في التراث العربي»، والثاني: «نظم القيم في الثقافة العربية: أصولها وفصولها».

ومن حق القارئ أن يتساءل: هل يعني هذا أن هذا الكتاب سيكون بمنزلة «التكوين» للعقل الأخلاقي العربي؟ وإذا كان الأمر كذلك فأين «البنية»؟

الواقع أن التحليل «التكويني» والتحليل البنيوي ستتم ممارستهما هنا في آن واحد. ذلك لأننا سنتناول كل نظام من خلال ما ندعوه هنا بـ «القيمة المركزية». والنظر إلى نظام ما من خلال ما يشكل فيه «القيمة المركزية» يعني التعامل مع هذا النظام كبنية. وإذن فالمنظور الذي ننطلق منه سيكون بنيويًا. أما جانب «التكوين» فستتم معالجته من خلال النظر في «أصول وفصول» هذا النظام أو ذلك، ثم في علاقة التأثير والتداخل بين النظم نفسها.

عرب وسط آسيا في أفغانستان

يصدر قريبًا عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاب «عرب وسط آسيا في أفغانستان والتحول في نظام الرعي البدوي»، تأليف توماس بارفيلد وترجمة محمد بن عودة المحيميد، وهو كتاب عالج فيه مؤلفه الوضع الراهن لمجموعة من العرب الذين يقيمون في شمال أفغانستان منذ مئات السنين ويعدون جزءًا من الوجود العربي في وسط آسيا، ولعل أهم ما في الكتاب الجانب الميداني منه، فقد عاش المؤلف مدة من الزمن مع هؤلاء العرب، وتنقل معهم، واطلع على عاداتهم وتقاليدهم، وكتب وصفًا دقيقًا للمتغيرات التي طرأت على حياتهم البدوية.

والكتاب في مجمله عمل علمي صاغه المؤلف بلغة تنم على حب وارتباط بتلك المجموعة الأمية التي تعيش في مجتمع يختلف عنها، وتبرز الدراسة استمرارية الانتماء العروبي لها على الرغم من الانفصال جغرافيًا ولغويًا عن الأمة التي تنتمي إليها.

التعليم والتعلم

تسعى وزارة المعارف السعودية إلى الاستفادة من خبرات الأكاديميين والباحثين التربويين واضعة أمامهم مجموعة من المشروعات البحثية التي تشكل حاليًا أولوية للوزارة، وسيتم دعمها ماليًا وفق لائحة البحوث والدراسات التربوية والتعليمية في مراحل التعليم العام، وتنطلق تلك المشروعات البحثية من محور رئيس هو «التعليم والتعلم»، وتكون مخرجاتها خادمة له ووفق الأسس والشروط الآتية:

أولاً: ضرورة أن يكون كل بحث مؤدى بطريقة تخدم المحور الرئيس «التعليم والتعلم» بشكل مباشر، ومكملاً للبحوث الأخرى في تحقيق الغرض نفسه.

ثانيًا: ضرورة أن تتضمن نتائج البحوث نماذج تطبيقية منطلقة من الواقع وخادمة له ومتصفة بالمرونة والقابلية للتطوير.

ثالثًا: أن تراعي النماذج التي تخرج بها البحوث المتنوعة بمجموعها الظروف الزمانية والمكانية للمملكة العربية السعودية.

رابعًا: أن يكون إجراء البحوث وفق الأسلوب العلمي ذي المنحى التطبيقي.

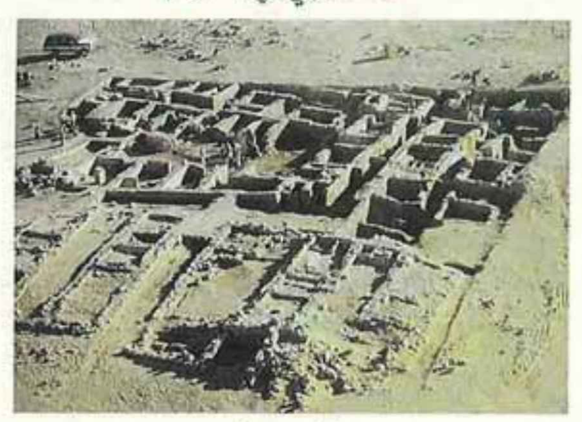
وقد أعدت الوزارة تعريفًا مفصلا بالمشروعات البحثية والدراسات المطلوبة. وللاستفسار والحصول على الشروط والنماذج الخاصة بذلك، يرجى الاتصال على العنوان الآتي:

وزارة المعارف ـ مركز التطوير التربوي ـ الإدارة العامة للبحوث التربوية.

ص.ب: ٢٢٥٤٦ ـ الرياض ١١٤١٦

هاتف: ٤٠٤٦٦٦٦ ـ ناسوخ ٤٠٣٧٠٣٧

كشف أثري في السعودية



آثار سعودية

كشف النقاب مؤخراً في المملكة العربية السعودية عن اكتشاف موقع أثري فريد للنقوش الصخرية يعد الأقدم والأهم على مستوى الجزيرة العربية، ويعود تاريخه إلى ما بين ١٠ و ١٥ ألف عام خلت. ويقع الموقع المكتشف في منطقة حائل التي تقع على بعد ٦٤٠ كيلومترا شمال غرب مدينة الرياض.

وأعلن الدكتور سعد الراشد وكيل وزارة المعارف للآثار في مؤتمر صحفي أن الموقع «يحوي رسوماً صخرية منفذة على واجهات الجبال المنتشرة في جميع المنطقة، وتشمل رسوماً لأشكال آدمية وحيوانية متنوعة مثل الأبقار والوعول والأسود وبقر الوحش والغزلان، مما يدل على استئناس الإنسان لبعض الحيوانات في الجزيرة منذ وقت مبكر، واعتماده على الصيد»، وأضاف الراشد: «أن الموقع يحوي رسوماً آدمية بالحجم الطبيعي، وهي رسوم لم يعثر على مثلها في موقع آخر في الجزيرة العربية حتى الآن، وأن أقرب الأماكن التي توجد فيها مثل هذه الأشكال هي صحارى البلاد الإفريقية، مما يدل على ترابط الثقافات بين الجزيرة وصحراء سيناء وبقية الصحراء الإفريقية».

ليبيا تودع كشلاف

فقدت الأوساط الثقافية الليبية خلال الأشهر الثلاثة الماضية ثلاثة من أميز كتّابها، فقد فقدت القاص خليفة الفاخري، والشاعر جيلاني طريبشان، وآخرهم الناقد والقاص سليمان كشلاف الذي فارق الحياة وهو يستشفي في مدينة عمان الأردنية.

ولد كشلاف عام ١٩٤٧م في طرابلس وعاش فيها، وقدم للحركة الثقافية الليبية ١٣ كتاباً في النقد والقصة، بالإضافة إلى سبع مخطوطات. ومن أهم كتبه: «كتابات ليبية.. دراسات في القصة الليبية» ، و«العاشق والمعشوق»، و«الحب/الموت»، و«العاشق»، و«مواويل حب»، و«الحب والشتاء»، وكان آخرها «الشمس وحد السكين» عام ١٩٩٨م.

وقد ساهم كشلاف مساهمة فعالة في الحياة الثقافية الليبية من خلال مشاركاته في عشرات المؤتمرات والملتقيات والندوات الفكرية والأدبية داخل ليبيا وخارجها، وله الكثير من الكتابات في الصحافة العربية، وقد تقلد عدداً من المناصب الإعلامية من ضمنها العمل في الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، وجريدة الصحافة، ومجلة «لا»، ومجلة «المسرح والخيالة»، وآخرها كان أميناً للشركة العامة للسينما في ليبيا، كما اختارته رابطة الأدباء والكتّاب الليبيين أميناً لتحرير دورية جديدة بعنوان «المشهد» لم تصدر بعد بسبب مرضه ثم موته. وكان الراحل أيضاً عضواً في اتحاد الكتّاب العرب، ورابطة الكتاب في ليبيا، ورابطة الصحفيين والاتحاد العام للصحفيين العرب.

مكتبة مؤسسة التميمي إلى تونس



عبد الجليل التميمي

قررت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات نقل مكتبتها من مدينة زغوان، التي تقع على بعد ٥٠ كيلومترا جنوب العاصمة تونس، إلى (منطقة البحيرة) إحدى أرقى ضواحي العاصمة تونس، وترمي المؤسسة من هذه الخطوة إلى جعل المكتبة أقرب إلى الباحثين والطلبة، فقد شكا رئيس المؤسسة عبدالجليل التميمي من «قلة استفادة الباحثين والطلاب من قواعد المعلومات المتوافرة في المؤسسة بسبب بعدها الجغرافي عن المعاهد الجامعية ومراكز البحث».

وتضم المكتبة، التي أسست عام ١٩٨٥م، ١٨ ألف عنوان وقسماً للدوريات، بالإضافة إلى وثائق ومخطوطات نادرة عن الدولة العثمانية والموريسكيين، ومراجع بلغات عدة عن دول شمال إفريقية.

ويعد قسم الدراسات الموريسكية في المكتبة، كما وصفته المستعربة الإسبانية لوث لوباث بارلت في كتابها «الموريسكيون والبحر المتوسط في القرنين السادس عشر والسابع عشر» الذي صدر في مايو/أيار الماضي، من أهم المراكز في العالم المتخصصة بهذا النوع من الدراسات التاريخية، وقد أصدرت المؤسسة أكثر من ٥٠٠ بحث عن الموريسكيين.

السجاد والكليم التقليدي في العالم الإسلامي



غلاف الكتاب

صدر مؤخراً عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول (أرسيكا) التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، كتاب بعنوان «السجاد والكليم التقليدي في العالم الإسلامي: الماضي والحاضر والآفاق المستقبلية»، وهو يعد أول دراسة ميدانية تتناول قطاع السجاد والكليم التقليدي من شتى جوانبه في عدة مناطق في العالم، مع مدخل تاريخي للقطاع بوصفه جانباً تراثياً ثقافياً. وقد شارك في تحريره عدد من الباحثين المختصين الذين ينتمون إلى دول مختلفة، ليس من العالم الإسلامي فحسب، بل من أمريكا وأوربا، فجاء الكتاب دائرة معلومات حول السجاد والكليم التقليدي في العالم الإسلامي، تشمل الجانب التاريخي، والوضع الحرفي، وتطوير المهارات، والمواد الأولية والأدوات وتأثيرها في جودة المنتوج، وأسواق السجاد والكليم التقليدي، ومسالك التوزيع، وتنمية المنتوج والنهوض به، مع بيانات حول الجوانب الاقتصادية والمالية ودور الحكومة في الرعاية، والمجال التوثيقي في هذا الميدان.

وتعرض الكتاب أيضاً لتأثير السجاد الإسلامي في سجّاد أمريكا اللاتينية، وأوضح أسباب هذا التأثير، كما تطرق إلى الجوانب التقنية في صناعة السجاد، وقدم عدداً من البحوث التي تناولت خصائص المواد الخام واستعمالاتها، كذلك تطرق الكتاب إلى مسألة ترميم القطع القديمة والتقدم الذي أحرز في هذا الميدان، بالإضافة إلى شرح لكثير من الرموز والأشكال والتصاميم المستعملة في مختلف جوانب قطع السجاد والكليم التقليدي مع إيراد بعض الرسوم التوضيحية لهذه التصاميم، وبعض أشكال الأنوال، والأدوات المستخدمة وعملية الغزل والغرزات المطبقة، وتحضير الخامات وإعدادها للنسج.

يقع الكتاب في ٤٣٩ صفحة، وقد وثّقت معلوماته بالكثير من الإحصاءات والجداول والبيانات مع ١٩٦ صورة ملونة لروائع هذا الميدان، حتى إن هذا الإصدار يعد (ألبوماً) يصور إبداعات الحرفيين والحرفيات في هذا المجال.

أعدّ الكتاب للنشر نزيه معروف، وقدّم له أكمل الدين إحسان أوغلي.

رحيل كاثرين غراهام



كاثرين غراهام

رحلت قبل عدة أسابيع في الولايات المتحدة الأمريكية الكاتبة الصحفية الأمريكية والناشرة والرئيسة التنفيذية لشركة «واشنطن بوست» كاثرين ماير غراهام عن عمر يناهز ٨٤ عاماً بعد أن ظلت فاقدة للوعي مدة ٣ سنوات في أثر سقوطها في الطريق واصطدام رأسها بالرصيف.

ولدت ماير في مدينة نيويورك في ٢٣ يونيو/حزيران عام ١٩١٧م، لأسرة ثرية، فأبوها أيوجين ماير ابن ليهودي مهاجر من الألزاس استطاع أن يحقق ثروة تقدر بالملايين وكان مصرفياً في وول ستريت (حي المال والأعمال في نيويورك)، وأمها من أصول ألمانية.

تخرجت كاثرين في جامعة شيكاغو، وعملت مراسلة لوكالة أنباء في سان فرانسيسكو قبل أن تعود إلى صحيفة واشنطن بوست، التي اشتراها والدها في مزاد إفلاسي بمبلغ ٨٢٥ ألف دولار عام ١٩٣٣م، كاتبة للافتتاحية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى قسم المهام الخاصة.

تزوجت كاثرين من فيليب غراهام، الذي اختاره والدها لإدارة الصحيفة، وهو محام متخرج في جامعة هارفارد، وتراجعت كاثرين عن العمل الصحفي بعد أن أنجبت ٤ أولاد، وأصبحت - كما قالت - راضية بدور الأم، ولكن زوجها فيليب بدأ يتعاطى الخمر وأصيب بالهوس

والاكتئاب، ثم مات منتحراً، فأخذت كاثرين مكانه في إدارة الصحيفة لتصبح «الواشنطن بوست» من أهم الصحف الأمريكية، وظلت كاثرين في رئاسة الصحيفة طوال ٢٨ عاماً حتى تخلت عنها عام ١٩٩١م لابنها دونالد.

قادت كاثرين الكثير من الصراعات الصحفية كان أشهرها عام (١٩٧٢ - ١٩٧٤م) حينما بدأ محرران في الصحيفة، بتشجيع من كاثرين، بنشر سلسلة من القصص تربط بين حادث سرقة في مقر الحزب الديمقراطي وحملة إعادة انتخاب ريتشارد نيكسون، وهي ما عرف فيما بعد بفضيحة (ووترغيت) نسبة إلى المبنى الذي حدثت فيه السرقة، وأدت الفضيحة إلى استقالة الرئيس الأمريكي نيكسون، ووضعت الصحيفة على قمة الهرم الصحفي، ونالت جائزة بولتزر لكتابة التحقيقات الصحفية، وأنتجت هوليود فلماً عنها وعن الفضيحة بعنوان «كل رجال الرئيس».

الأمازيغية في النظام التعليمي المغربي


الملك محمد السادس

أعلن العاهل المغربي الملك محمد السادس، في خطاب له بمناسبة عيد الجلوس، إدراج اللغة الأمازيغية أول مرة، في المنظومة التعليمية في بلاده مع بقاء اللغة العربية لغة رسمية فيها، وأوضح العاهل المغربي أن الهدف من هذا القرار هو المحافظة على الهوية المغربية في تعدديتها، وإعطاء الثقافة الأمازيغية، التي تشكل ثروة وطنية، دفعة كبيرة من أجل التطور.

وأعلن العاهل المغربي عن قيام معهد ملكي للثقافة الأمازيغية معلقاً بقوله: «اعتباراً منا لضرورة إعطاء دفعة جديدة لثقافتنا الأمازيغية، التي تشكل ثروة وطنية، لتمكينها من وسائل المحافظة عليها والنهوض بها وتنميتها، فقد قررنا أن نحدث معهداً ملكياً للثقافة الأمازيغية يضع على عاتقه علاوة على النهوض بالثقافة الأمازيغية الاضطلاع، بجانب القطاعات الوزارية المعنية، بمهام صياغة وإعداد ومتابعة عملية إدماج الأمازيغية في نظام التعليم».

آثار يمنية مهربة


آثار يمنية

أخفق أحد الأفارقة في نهاية الشهر الماضي في تهريب سبع قطع أثرية من اليمن تعود إلى بداية العصر الإسلامي، وهي مجموعة من الأواني والأباريق الفضية المزخرفة بأشكال هندسية وفنية ذات طابع إسلامي بحت.

وأوضح أمين الماوري مدير مكتب الآثار بمطار صنعاء الدولي أن أحد ضباط التحريات بالمطار كشف محاولة المواطن الإفريقي الذي أخفى تلك الأواني بين مجموعة من الأغراض الشخصية والأدوات المنزلية الحديثة ضمن حقائبه التي كان يستعد للمغادرة بها على متن إحدى الرحلات المتجهة إلى فرانكفورت.

وأكّد الماوري أنه تم تحرير القطع لإرسالها إلى المتحف الوطني، بينما تجري الأجهزة المختصة تحقيقها في القضية.

البرازيل تودع جورجي آمادو


آمادو

توفي في السادس من أغسطس/ آب الماضي عن عمر يناهز ٨٩ عاماً الكاتب البرازيلي جورجي آمادو في أثر نوبة قلبية، وكان أمادو يعاني مرض السكر منذ مدة طويلة، وألقى أكثر من ٦٥٠٠ برازيلي يمثلون جميع الطبقات الاجتماعية في البرازيل النظرة الأخيرة على جثمان أشهر روائي في تاريخ بلادهم، قبل أن يحرق ويوضع رماده، على حسب وصيته، تحت شجرة مانغو قديمة في حديقة المنزل الذي

عاش فيه السنوات الأربعين الماضية.

ولد آمادو في العاشر من أغسطس/آب عام ١٩١٢م في بلدة أيتابونا في ولاية بهيا البرازيلية، وكان أبوه رجلاً عادياً يؤمن قوت أولاده بشق النفس، وكانت أمه هندية الأصل، أي أنه لم يكن أبيض كاملاً فهو مهجن كأي خلاسي في البرازيل.

ودرس الحقوق في جامعة ريو دي جانيرو وتخرج فيها عام ١٩٣٥م، وقد اعتنق الماركسية خلال تلك الفترة مما عرضه للاعتقالات والسجون، ونفي إلى الأرجنتين، وعاد إلى البرازيل، وهرب منها مرة أخرى إلى فرنسا بسبب هذا النشاط السياسي، ثم ترك آمادو الحزب الشيوعي معلناً أنه قد يكون أكثر فائدة لشعبه بوصفه كاتباً أكثرمنه سياسياً.

وهنالك الكثير من الإخفاقات في حياة الأديب الراحل، ولكن أكبرها، كما يقول عوض شعبان الذي عرّب كثيراً من رواياته عن اللغة البرازيلية: «هو فرض الحصار عليه لتحجب عنه جائزة نوبل العالمية التي كانت خليقة به بصفته المعبر الأعظم عن الثقافة البرتغالية في العالم. وآلمه أن يحصل على هذه الجائزة كاتب دونه شأناً في الإبداع الروائي، هو ساراماجو البرتغالي مع أن من الظلم موازنة هذا الكاتب بآمادو».

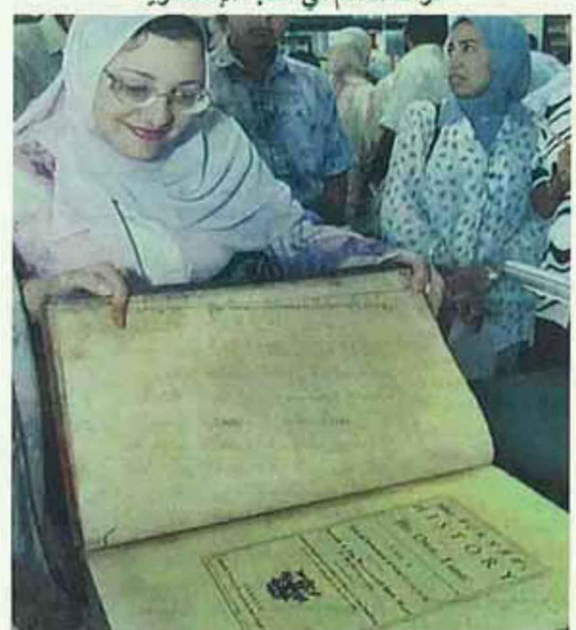
كتب آمادو أكثر من أربعين رواية نُقل الكثير منها إلى نحو خمسين لغة، وشهدت العاصمة الفرنسية باريس ترجمة أغلب هذه الروايات، فكانت أعماله تترجم إلى الفرنسية قبل ترجمتها إلى اللغات الأخرى، مما حدا بآمادوا إلى القول متندراً ذات مرة: «كتبي تنشر في باريس قبل أن تنشر في لشبونة»!!، وكانت «دروب الجوع» هي أولى رواياته التي ترجمت إلى العربية، وقد صدرت عن دار المعجم العربي في بيروت في أوائل الخمسينيات بعناية الشيخ عبدالله العلايلي، بينما اعتنى اللبناني عوض شعبان بترجمة عدد كبير من أعمال آمادو من البرتغالية (البرازيلية) مباشرة. ومن أهم رواياته: «كاكاو» عام ١٩٣٣م، و«عرق» عام ١٩٣٤م، و«المحصول الأحمر» عام ١٩٤٠م، و«أرض بلا نهاية» عام ١٩٤٣م، و«أرض ثمارها من ذهب»، و«البزة والرداء وقميص النوم»، و«قرنفل وقرفة»، و«بلاد الكرنفال»، و«فارس الأمل»، وغير ذلك من الروايات.

قال عنه المؤلف البيروني ماريو فارجاس ليوسا: «كان آمادو أحد أعظم الكتّاب في زمننا، فقد جعل الأسطورة البرازيلية معروفة في القارات الخمس كافة، وبكل اللغات الحديثة»، وقال عنه الرئيس البرازيلي فيرناندو هينريك: «أصبحت شخصيات آمادو أكثر شهرة وواقعية من المؤلف نفسه»، وأضاف متسائلاً: «أي مجد عظيم يبتغيه الروائي؛ لغة آمادو البرتغالية تغوي الحواس الخمس، كما أنها تضج بالألوان والأصوات والعطور والنكهات».

وقال الكاتب البرتغالي خوسيه ساراماجو الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٨م: «يعد رحيل آمادو سبباً كافياً للحداد الوطني في البرازيل، وإن كان آمادو قد غاب بجسمه، إلا أن أعماله لا تزال موجودة».

جورجي آمادو متزوج من الكاتبة زيليا (٥٦ عاماً)، ولهما ابن وابنة.

تراث العالم في مكتبة الإسكندرية



اختصاصية تعرض أحد الكتب النادرة

بدأت في أول أغسطس/آب الماضي عملية وضع الكتب في مكتبة الإسكندرية الجديدة التي أعيد بناؤها بعد ١٦٠٠عام من إحراق المكتبة الأصلية القديمة، وكان القرآن الكريم والإنجيل وكتب كليلة ودمنة وجزء من تراث الإلياذة ورباعيات الخيام والأعمال الكاملة للأديب المصري نجيب محفوظ، وكتابان للدكتور طه حسين هي أول الكتب التي وضعت في المكتبة.

وصرح الدكتور يوسف زيدان مستشار المكتبة «أن وضع أول كتاب بالمكتبة وهو المصحف الشريف له دلالة رمزية، والمصحف الشريف هو الكتاب الذي قامت عليه علوم وفنون ومعارف كبرى، ولا يمكن تصور كتاب آخر أثر في العالم مثلما أثر القرآن الكريم، وهو الذي دفع المسلمين إلى الاهتمام بعلم الفلك والفن والزخرفة».

وقد نالت المكتبة كثيراً من الهدايا القيمة، فقد قام الدكتور مصطفى العبادي أستاذ التاريخ اليوناني بإهداء المكتبة «مدونة جوستنيان القانونية»، وهي موسوعة القوانين الرومانية التي وضعها الإمبراطور جوستنيان في القرن السادس الميلادي، والتي تعد أساساً لكثير من التشريعات في العالم الحديث، وقد صدرت طبعتها الأولى في هولندا عام ١٥٧٥م، وهي من أندر الكتب في العالم، كذلك أهدت زوجته الدكتورة عزة كرارة أستاذة الأدب الإنجليزي المكتبة كتاب «دوشيه برنت» عن تاريخ إنجلترا من الطبعة الأولى التي صدرت في لندن عام ١٧٢٤م، وهو مكون من جزأين، أما أهم الإهداءات التي تلقتها المكتبة فتتمثل في ألف كتاب مقدمة من إيران، وهي تضم أمهات الكتب الإيرانية النادرة.

وقال الدكتور إسماعيل سراج مدير المكتبة: إنها ستضم في نهاية الأمر نحو ثمانية ملايين كتاب ومخطوط يوجد منها بالمكتبة الآن نحو ٢٠٠ ألف كتاب و ٦٧٠٠ مخطوط نادر بعضها مزين بالأحجار الكريمة، كما يوجد كتاب بخط يد المؤرخ الشهير المقريزي، ومن المقرر افتتاح المكتبة تجريبياً في أكتوبر/تشرين الأول المقبل على أن تفتح رسمياً في ٢٣ أبريل/نيسان القادم.

ألمانيا والعالم العربي

تنظم جامعة الإمارات العربية المتحدة في مدينة العين في الفترة من ٢٩ سبتمبر/ أيلول إلى ٢ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٠١م مؤتمراً لبحث علاقات ألمانيا والعرب، ويشارك في المؤتمر ٢٥ مثقفاً وأكاديمياً من العالم العربي ونيجيريا، و ٢٥ آخرون من المستشرقين والمثقفين الألمان، واختارت أمانة المؤتمر المستشرقة الألمانية آنا ماري شيميل المعروفة بحبها للشرق، والتي ألفت نحو ٨٢ كتاباً عن الحضارة والعربية الإسلامية، ضيفة شرف للمؤتمر، كما وجهت الدعوة أيضا إلى السفير الألماني المسلم مراد هوفمان.

ومن بين الأساتذة العرب المشاركين في المؤتمر محمود فهمي حجازي، وباهر الجوهري، والطاهر مكي، وفوزي الشامي، وفاطمة زكريا (من مصر)، ومن سورية الطيب تيزيني وعبده عبود، وشاكر مطلق، ومن المغرب محمد الهلال، ومحمد نكرومي، ومن الجزائر رشيد بوشعير، بينما يشارك من المستعربين الألمان جورج بوبسن، وكريستيان سيزيكا، وشتيفان فيلد.


شيميل

وسيلقي كلمة الباحثين العرب المشاركين في المؤتمر الدكتور حجازي الذي ترجم هو وآخرون إلى العربية كتاب المستشرق الألماني المعروف كارل بروكلمان «تاريخ الأدب العربي»، الذي يعد من أهم الكتب التي يعتمد عليها الباحثون في الأدب العربي، بينما يلقي شتيفان فيلد كلمة الباحثين الألمان.

جائزة للشاعرة فيرا دوارتي

بحضور وزير خارجية السنغال وجمع من الكتّاب والفنانين والباحثين والإعلاميين، شهد مركز الحسن الثاني للملتقيات الدولية في أصيلة ختام فعاليات الاحتفال بالدورة السادسة لجائزة الشاعر الكنغولي الراحل تشيكايا أوتامسي التي يمنحها المنتدى الثقافي العربي الإفريقي الذي أسس بأصيلة عام ١٩٨١م، تقديراً لمكانة هذا الشاعر، وتجسيداً للامتداد الإفريقي للمغرب.

وقد منحت الجائزة، التي تبلغ قيمتها ٥٠ ألف درهم، هذا العام، للشاعرة فيرا دوارتي من جزر الرأس الأخضر، بعد أن وجدت فيها لجنة التحكيم المكونة من محمد بن عيسى، ومحمد السرغيني، والطيب صالح، وآلان مابانكو، وغيرهم، النموذج الحقيقي لمبدعة تستحق جائزة الراحل أوتامسي التي «تمنح كل سنتين لصاحب موهبة واعدة أثبت حضوره المتميز بما نشره من إنتاج ينطوي على قيمة فنية عالية في ديوان أو أكثر، يفتح أفقاً جديدة للذائقة الشعرية، ويسهم في تعميق الوعي بالشعر وأهميته في الحياة».

الجدير بالذكر أن عدداً من الشعراء كان قد سبق لهم الفوز بهذه الجائزة منهم: إدوارد مونيك في عام ١٩٩٠م،

ورينه ديبستر من هايتي، ومازيسي كونيني من جنوب إفريقية، ثم المصري أحمد عبدالمعطي حجازي، وجان باتيست تاتي لوتار.

وتبلغ فيرا من العمر ٤٣ عاماً، وقد شغلت منصب قاض في محكمة العدل العليا، ثم مستشارة عند رئيس الجمهورية، وتشغل حالياً منصب رئيسة لاتحاد النساء، وقد فازت عام ١٩٩٥م بجائزة المجلس الأوربي لعملها من أجل حقوق الإنسان، ولها حتى الآن مجموعتان شعريتان هما «غداً في الفجر» و«أرخبيل الهيام».

كنوز الأمير نيكولاي

يقام حالياً في متحف «بوشكين» بالعاصمة الروسية موسكو معرض بعنوان «كنوز الأمير نيكولاي يوسوبوف»، ويستمر المعرض حتى الحادي عشر من نوفمبر/ تشرين الثاني القادم، وهو يضم كنوزاً أدبية قيمة منها: ٥٥٠ مسرحية، ومجموعة من الكتب التي كانت تحويها مكتبة الأمير الخاصة، والتي تقدر بنحو ١٧ ألف كتاب، وكانت الحكومة قد وضعت يدها على هذه الكتب عام ١٩٢٥م.

ولد الأمير نيكولاي يوسوبوف عام ١٧٥١م، وتوفي عام ١٨٣١م، وقد شغل منصب مدير المسارح الإمبريالية، كما شغل أيضاً منصب مدير متحف الأرميتاج في أثناء حكم الإمبراطورة كاترين العظمى، وقد عرف عنه أيضاً حبه للفن والفنانين الفرنسيين والهولنديين والإيطاليين، واحتفظ بلوحتين للرسام رامبرانت، كما اقتنى عدداً من أعمال الرسام تيبولو.

رحيل الإذاعي ماجد سرحان


ماجد سرحان

توفي في العاصمة البريطانية لندن في ٣٠ أغسطس /آب الماضي الإذاعي والكاتب العربي ماجد عبدالحميد سرحان عن عمر يناهز ٦١ عاماً قضى نصفها مذيعاً للأخبار ومقدماً للبرامج الأخبارية في إذاعة «البي بي سي». ولد ماجد سرحان في بلدة حلحول بقضاء الخليل في فلسطين المحتلة، وعمل بالتدريس - بعد أن أكمل دراسته الجامعية - بعدد من مدارس الضفة الغربية والأردن قبل أن يرحل إلى لندن في أواخر سبعينيات القرن الماضي ليلتحق بالعمل في هيئة الإذاعة البريطانية ويصير على امتداد سنوات عدة واحداً من أشهر الأصوات العربية في تقديم البرامج السياسية والأخبارية.

وكان الإذاعي الراحل متعدد المواهب والاهتمامات، فقد عرف عنه اهتمامه الواسع بالدراسات التاريخية، ولاسيما تاريخ فلسطين، ومارس الكتابة في عدد من الصحف والمجلات، وتولى فترة منصب مستشار التحرير في مجلة المشاهد السياسي عندما كانت تابعة لـ «بي. بي. سي»، كما تعاون مع صحيفة الشرق الأوسط، وكتب فيها زاوية رياضية أبرز فيها حبه وشغفه ومعرفته بالرياضة.

قال عنه جيمون ماكليلان رئيس القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية: «إن ماجد سرحان كان إذاعياً بارزاً، وكان يمثل صوت البي بي سي لكثير من المستمعين»، وأضاف ماكليلان: «إن الراحل كان ذا شخصية آسرة، ويتمتع بحضور قوي أمام الميكروفون، كما كان يتسم بسرعة البديهة وروح الدعابة، إن وفاته خسارة كبيرة لزملائه في (البي بي سي) ولمستمعيه الكثيرين في كل أنحاء العالم».

رحيل الروائي الفرنسي كلوسوفسكي

توفي مؤخراً الكاتب الروائي والمترجم الفرنسي بيير كلوسوفسكي عن عمر يناهز ٩٦ عاماً، فقد ولد عام ١٩٠٥م في باريس من أسرة بولندية اشتهرت بالفن والأدب، فشقيقه الرسام المشهور بالتوس، وكان والده (أريك) رساماً ومؤرخاً للفن.

تنقل الكاتب الراحل كثيراً منذ عام ١٩١٤م بين سويسرا وألمانيا وإيطاليا حتى استقر في عام ١٩٢٣م بجانب الكاتب الكبير أندريه جيد، وعمل سكرتيراً لأعماله، ونشر في عام ١٩٣٠م أول أعماله المترجمة ديوان شعر بعنوان «قصائد من الجنون» للشاعر الألماني هولدرلن، ثم توالت ترجماته بعد ذلك لعدد من الأعمال، ونشر في عام ١٩٤٧م أول كتاب له عن الماركيز دي ساد ثم أتبعه بعدد من الروايات التي استلهمها من زوجته. وترك الكتابة منذ عام ١٩٧٠م ليتفرغ للرسم، فأقام عدداً من المعارض في باريس.



مجموعة باحثين/ بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية.. المدينة المنورة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٩٥١ص.

عرف المسلمون فضل العلم فاهتموا به منذ صدر الإسلام، وبذل العلماء أقصى جهدهم في تحصيله، فقام كثير من المنارات العلمية، وانتشرت المدارس والربط، وظهرت المؤلفات والمصنفات مما ألزم توفير مصادر لتمويل هذه النشاطات والإنفاق عليها، فبادر أصحاب الأموال إلى وقف أموالهم لهذا الغرض، فقام كثير من المكتبات الوقفية التي تحوي عدداً من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات، وقد ظلت هذه العادة مستمرة إلى يومنا هذا.

يحوي الكتاب ١٧ بحثاً هي مجموعة بحوث «ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية» التي أقامتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المدينة المنورة في المدة من ٢٥-٢٧ من المحرم ١٤٢٠هـ.

جاء أول بحوث الكتاب بعنوان «الوقف من منظور فقهي» أعده الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع، وناقش الدكتور محمد العيد الخطراوي «أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية: مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة نموذجاً»، وقدم الدكتور عبدالله بن محمد بن سعد الحجيلي دراسة فقهية وتاريخية ووثائقية عن «الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام: دراسة فقهية - تاريخية - وثائقية»، وشرح الدكتور أحمد بن عبدالجبار الشعبي والدكتور عبدالوهاب بن إبراهيم «الوقف مفهومه ومقاصده»، وناقش الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان «عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاعاً ونشراً»، وتناول الأستاذ عبدالله بن محمد المنيف «دور أئمة آل سعود في وقف المخطوطات في مدينة الرياض»، والدكتور فهد بن عبدالله السماري «الملك عبدالعزيز ووقف الكتب»، وعدّد الدكتور عبدالله بن محمد أبو داهش «الكتب والمكتبات في جنوب المملكة العربية السعودية (١٢١٥-١٣٧٣هـ) حركتها، ووقفها، عامرها، وموفيها»، وناقش الدكتور عبدالرحمن الضحيان «الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية»، وتطرق الدكتور علي بن إبراهيم النملة إلى «أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها»، وناقش الدكتور إبراهيم بن محمد المزيني «الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية»، وتطرق الدكتور عباس بن صالح طاشكندي إلى «دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية»، وأبرزت الدكتورة دلال بنت مخلد الحربي «إسهام المرأة في وقف الكتب في منطقة نجد»، وقدم الدكتور راشد بن سعد بن راشد القحطاني بحثاً عن «وقفية مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة»، وحلّل الدكتور عبدالرحمن بن سليمان المزيني عدداً «من وثائق وقف الكتب بالمدينة المنورة في القرن العاشر الهجري»، وركز يوسف إبراهيم الحميد في «جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وخططها في رعاية المكتبات الوقفية في المملكة».

وختم الكتاب «بالتوصيات الختامية» التي بلغ عددها أربع عشرة توصية.



العثيمين، عبدالله الصالح/ قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد.. الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ١٦٦ص.

حظيت منطقة حائل بعناية الباحثين واهتمامهم

بشكل أخص من غيرها من باقي مناطق المملكة، وذلك من حيث وضعها السياسي، فتناولها الباحثون في دراسات مفردة، كما عرجوا عليها بالحديث عند الكلام على تاريخ المملكة العربية السعودية قديمًا وحديثًا؛ وذلك لدورها في تاريخ المملكة السياسي.

ويقدم هذا الكتاب نظرات وقراءات في ثلاث دراسات أفردت للحديث عن إمارة حائل أولاها: دراسة الدكتورة مضاوي الرشيد وعنوانها «السياسة في واحة عربية: إمارة آل رشيد»، التي ترجمها عبدالإله النعيمي عن الإنجليزية، وهي في الأساس رسالة نالت بها كاتبتها شهادة الدكتوراه من جامعة كمبردج عام ١٩٨٨م. وثانيتها: دراسة الباحث محمد الزعارير «إمارة آل رشيد في حائل» المنشورة عام ١٩٩٧م، وهي في الأساس رسالة علمية كان قد تقدّم بها لنيل شهادة الماجستير من الأردن - كما رجح المؤلف - والثالثة: دراسة الدكتور محمد الثنيان وعنوانها «عبدالعزيز بن رشيد والحماية البريطانية» الصادر عن الجمعية التاريخية السعودية سنة ١٤٢٠هـ.

الحبشي، عبدالله بن محمد/ معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها.. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٢مج ١٣٧٦ص.

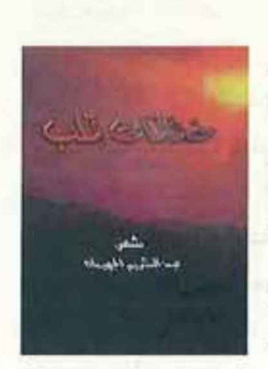
يشمل هذا المعجم الموضوعات التي تعرض لها المسلمون عبر تاريخ الحضارة الإسلامية في مختلف التخصصات، ويخدم - بصفة خاصة - الباحث الذي يريد معرفة الكتب المؤلفة في موضوع بعينه.

وهو مرتب في نسق معجمي دقيق؛ مما يوفر على الباحث سرعة الوصول إلى مبتغاه، وذلك حسب الموضوعات والمواد لا بالعناوين، ويكتفي من الكتب بالأصول دون الشروح والتعاليق والحواشي والمختصرات ودواوين الشعر.

ويقدم الكتاب خدمة جليلة للباحث في نوادر الموضوعات التي ألف فيها المسلمون، فعلى سبيل المثال أورد المؤلف تحت مادة «بطيخ» الكتب الآتية: «كفاية المستمع المصيخ في البطيخ» للقبيباتي الناجي، و«مجلس البطيخ»للتوقاني، و«هضم الطبيخ فيما ورد في البطيخ» لابن طولون.. كما أورد تحت مادة «البطالة» هذين الكتابين: «العجالة في استحقاق الفقهاء أيام البطالة» لابن الهائم، و«النقل المستور في جواز قبض المعلوم من غير حضور» للسيوطي.

وقد زود المؤلف مقدمته بقائمة المراجع التي استقى منها مادته، وأعطاها رموزًا أبجدية اعتمدها؛ ليكتفي بتلك الرموز في أثناء الكتاب عن تكرار أسماء المراجع في كل مادة.

الجهيمان، عبدالكريم/ خفقات قلب «شعر».. الرياض: المؤلف، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢٣٥ص.



«إلى ذوي القلوب النظيفة الشريفة التي تؤدي حقوق خالقها، وتؤدي حقوق خلقه..

وكفاها بذلك شرفًا ورفعة في الدنيا والآخرة..!!».

بهذه الكلمات أهدى الجهيمان ديوانه «خفقات قلب»، وكان قد اختار هذا العنوان قبل وضع الديوان بأكثر من أربعين عامًا، لذا فإنه أصرّ عليه مع علمه أن أحد الشعراء - وهو عبدالحفيظ صقر - قد أصدر ديوانًا منذ زمن وأطلق عليه التسمية نفسها، وعن ذلك قال أبو سهيل: «ومع تقدم هذه التسمية فقد بلغني أن أحد الشعراء قد أصدر ديوانًا

بهذا الاسم، وسواء كان هذا صحيحًا أو غير صحيح، فإن الأسماء تتكرر لبنات الأحرار، كما تتكرر لبنات الأفكار، ولا ضير أن يصدر ديوانان باسم واحد؛ فلكل واحد من صاحبي الديوانين خفقات قلبه...».

ويصف الجهيمان هذا الديوان ومستوى قصائده التي تجاوز عددها أربعين قصيدة بقوله: «إنني أرى أن فيه ما يستحق أن يُسمى شعرًا، وفيه ما لا يرقى إلى هذا المستوى العالي الذي ينسج على منواله الشعراء الفحول، وكل ما يصدق عليه أن يسمى نظمًا».



العسافي، محمد بن حمد وإبراهيم بن راشد الصقير / مساجد الزبير، تحقيق: قاسم السامرائي.- الرياض: دار الفيصل الثقافية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ١٠٦ص.

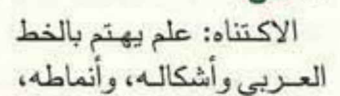
يأتي هذا الكتاب في ركب كتب خطط البلدان؛ فهو يعرف بمحلات الزبير، وما استحدث فيها من مساجد عبر السنين، ومواضع بنائها وتواريخها وأسماء أئمتها وخطبائها.

ويحتوي على وصف لستة وعشرين مسجدًا من مساجد الزبير التي لا تزال قائمةً حتى اليوم مثل: مسجد المجصة، ومسجد الخمسة، ومسجد الروّاف، ومسجد الزبير، ومسجد الحصى، ومسجد النقيب، ومسجد مزعل، ومسجد الذكير، ومسجد دروازة الحزم، ومسجد القرطاس، ومسجد الكوت، ومسجد الخال، ومسجد درواز، ومسجد غانم، ومسجد المنتفك، ومسجد الخضيري، وغير ذلك.

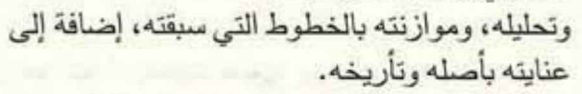
وعلى أسماء كثير من الأعلام الذين تحدَّروا من أصول نجدية وغير نجدية، وتولوا مناصب شرعية وقضائية في بلدتي الزبير والبصرة وغيرهما، ولا نجد لكثير منهم ذكرًا في كتب التراجم التي اقتصرت على ذكر المشهورين فقط.

وقد اعتمد المحقق أصلاً خطيًا بخط المؤلف (ت١٣٩٧هـ) في عشرين ورقة، دوّن فيه معلومات عن اثنين وعشرين مسجدًا، وزاد عليه زيادات دونها له إبراهيم بن راشد الصقير عن تلك المساجد وأضاف إليها أربعة مساجد غير ما ذُكر.

السامرائي، قاسم/ علم الاكتناه العربي الإسلامي.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٥٦٢ص.



الاكتناه: علم يهتم بالخط العربي وأشكاله، وأنماطه، وتحليله، وموازنته بالخطوط التي سبقته، إضافة إلى عنايته بأصله وتأريخه.

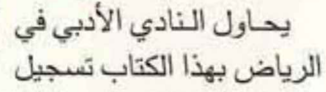


والكتاب هو الأول من نوعه في اللغة العربية، ويدخل في دائرة اهتمام المحققين والعاملين في فهرسة المخطوطات، وهو نتاج خبرة المؤلف الطويلة في تحقيق التراث العربي، وفهرسة المخطوطات.

لم يقسِّم المؤلف الكتاب التقسيم المنهجي المتبع إلى فصول أو أبواب، ولكنه جعله مقالات متتابعة تكون أحيانًا على نسق يغني عن التقسيم المنهجي، وقد تناول المؤلف موضوعات حساسة وذات أهمية لمحقق التراث والعامل في فهرسة المخطوطات. وقد افتتح الكتاب بالحديث عن أصل الخط العربي، وارتباط الأنباط بالخط العربي، وبعد ذلك خصص عدة مقالات عن تحقيق التراث فتحدث عن جهود المستشرقين في تحقيق النصوص العربية، ومشكلة حجم هوامش التحقيق والتعليق والمقابلة بين النسخ، ثم تحدث عن تحقيق النسخة الفريدة، وتحقيق المسوَّدة.

ثم انتقل المؤلف إلى موضوعات يشترك فيها المحقق والمفهرس في الاهتمام، فتحدث عن طراز الخط، وبطاقة الفهرسة، وتقييدات الوقف والتملك والشراء، وأهمية الكشكول والكنَّاش في التحقيق والفهرسة، وصفحة العنوان، والإجازات، وتقييد الختام، والمسَطَّرَة، والتعقيبات، والكراسات، وصناعة ورق البردي والرق والكاغد، وصناعة المداد والحبر، والحديث عن التزوير في الوثائق والمخطوطات، وغير ذلك من موضوعات.

وختم المؤلف الكتاب بملحق لصور بعض المخطوطات والقطع الآثارية، وملحقات لبعض المراجع المختارة لدراسة الخط العربي، والأنباط والآراميين، وصناعة الكاغد، والأرقام.

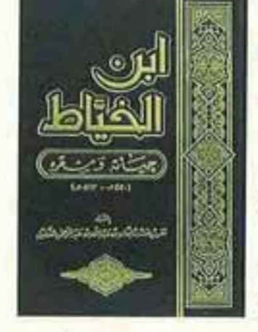


من مصادر تكويننا الثقافي: حوار وشخصيات النادي الأدبي بالرياض/ النادي الأدبي بالرياض.. الرياض: النادي الأدبي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٩٥ص.

يحاول النادي الأدبي في الرياض بهذا الكتاب تسجيل تاريخ المملكة الثقافي عن طريق شهادات المثقفين الذين عاصروا الجيلين المعاصر والماضي قبل انتشار التعليم وتوسعه.

وقد دارت الأسئلة حول المحاور الآتية: مراحل التعليم النظامي وغير النظامي، والمحيط الأسري الثقافي الخاص، والمحيط الثقافي العام، والبناء الثقافي الذاتي، والرحلات الخارجية، والمشاركات في الصحافة والندوات، والقراءات في المؤلفات الأجنبية.

وأجريت المقابلات المنشورة مع عشر شخصيات ثقافية وهم: حمد بن محمد الجاسر رحمه الله، وعثمان بن ناصر الصالح، وعبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، وفهد العلي العريفي، وعبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس، ومحمد هاشم رشيد، وعلي بن حسن العبادي، وعزت عبدالمجيد خطاب، وأحمد بن خالد البدلي، ومنصور بن إبراهيم الحازمي.

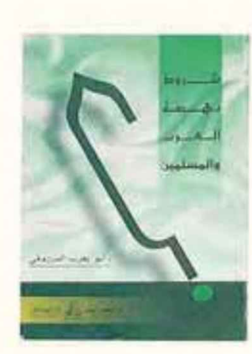


الدخيل، تغريد بنت سليمان/ ابن الخياط: حياته وشعره.. الرياض: المؤلفة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٣٩١ص.

هذا الكتاب في الأصل رسالة علمية تقدمت بها الباحثة إلى كلية الآداب للبنات قسم اللغة العربية للحصول على درجة الماجستير، في ترجمة أبي عبدالله أحمد بن محمد التغلبي المعروف بابن الخياط (ت ٥١٧هـ).

تناولت الباحثة في الفصل الأول من الكتاب بيئة الشاعر، وحياته ورحلاته وثقافته وآثاره الأدبية، وتحدثت في الفصل الثاني عن موضوعات الشعر عنده، وخصت الفصل الثالث بالحديث عن السمات الفنية العامة لشعره، وضمَّ الفصل الرابع وقفة لبيان منزلة ابن الخياط الأدبية.

وعدَّت الدراسة ابن خياط وشعره دليلاً جديداً على افتراء الزعم القائل بأن أدب ما بعد القرن الرابع الهجري أدب ضعف وانحطاط؛ لما في شعر ابن خياط من قوة ومتانة ودقة في التعبير عن كل مظاهر الحياة في عصره.



المرزوقي، أبو يعرب/ شروط نهضة العرب والمسلمين.. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢٨٠ص.

ما تزال النهضة العربية الإسلامية تراوح في مكانها

دون تقدم كيفي يذكر بعد مرور قرنين كاملين على بدايتها، ومرور خمسة قرون على الشروع الفعلي في تحسس أسباب السقوط والسعي الجدي إلى تجاوزها.

وتحاول الدراسة الإجابة عن سؤالين: أولهما كيف نتخلص من الخطأ الذي وقعت فيه النهضة العربية الإسلامية الأولى عندما عادت إلى مجرد الاندراج في النمط الحضاري الفكري السائد آنذاك (الفارسي والبيزنطي)؟

والسؤال الثاني: لماذا وقعت النهضة العربية الإسلامية الثانية هي الأخرى في الخطأ نفسه فصارت ضحية النموذج الغربي ببعديه السوفييتي والأمريكي؟

ويجمع بين السؤالين طلب واحد يصوغ المسألة فلسفيًا ويمكّن من إدراك جوهر الروحانية الإسلامية التي هي مستقبل الإنسانية والكون: كيف يمكن أن نميز بين الشهودي والوجودي من الفعل العقلي الإنساني فلا نعد الفعل المؤسس لحضارتنا من غير جنسه أو منافيًا له، وبذلك نتمكن من فهم خصائص الرسالة الإسلامية فهمًا يجعل الاستئناف أكثر فاعلية حتى من البداية؟

عبداللطيف، كمال، ونصر محمد عارف / إشكاليات الخطاب العربي المعاصر.- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨٤ (سلسلة حوارات لقرن جديد).

هل سيظل الخطاب العربي يدور حول قضايا بدأت تأخذ معاني جديدة مثل: الأصالة والمعاصرة، والتراث والحداثة، والهوية والعولمة، والأحادية والتعددية؟!

هل سيبقى هذا الخطاب نخبويًا في لغته وأفكاره، وصائيًا في تعامله وممارساته؟!

وهل سيحتفظ بإيديولوجيته التي تصر على امتلاكها للحقيقة ورفضها للرأي الآخر، وقمعه ونفيه، بعدما أثبت الواقع تهافت الإيديولوجيات وتداعيها؟!

وهل سيتمكن من اجتياز العقبة التي توقف عندها طويلاً لينطلق إلى فضاء فكري واجتماعي أرحب، يؤهله له تراثه الغني وقدراته الواعدة ليسهم مع الآخرين بفاعلية في بناء حضارة إنسانية نافعة، يكون له فيها حضور قوي، وقدم راسخة تؤكد خصوصيته وأصالته؟!

يحاول الكتاب الإجابة عن هذه التساؤلات في حوار بين مفكرين عربيين هما الدكتور كمال عبداللطيف في بحثه «من سؤال العلمانية إلى إعادة بناء المجال السياسي في الفكر العربي»، والدكتور نصر محمد عارف في بحثه «في إبستمولوجيا الخطاب العربي المعاصر».



الندوي، محمد نعمان الدين/ خصائص اللغة العربية ولماذا يجب تعلمها؟.- حيدرآباد (الهند): مكتبة حسان للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ١٢٠ص.

تنفرد اللغة العربية عن جميع اللغات العالمية الحية بديمومة ارتباطها بكتاب الله المعجز «القرآن الكريم» الذي نزل بها. ويأتي هذا الكتاب لبيان خصائص هذه اللغة الدينية والعلمية والفنية، إذ تتبع المؤلف خمس عشرة خصيصة من خصائصها وهي:

القدم، والخلود (فهي خالدة خلود القرآن الكريم)، والسعة، والمرونة، والاشتقاق، والمترادفات، والجمع بين الضدين، وتفردها ببعض الحروف الخاصة، ودقة الفروق اللغوية، وسهولتها قراءة وكتابة، ونضجها، وأنها لغة التغليب والالتفات، والحكمة

والبيان، وتأليفها بين قلوب الناطقين بها، وتأثيرها في اللغات الأخرى.

ويتناول المؤلف في مبحث ثانٍ الصلة الوثيقة بين اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ذلك أن معرفة أحكام الدين قائمة على معرفة لغة القرآن.

ثم يتحدث في المبحث الثالث عن «عناية السلف باللغة العربية، وتقصير الخلف فيها» وتتجلى هذه الصورة المشرقة للسلف في بداية تدوين اللغة وظهور المعجمات.



السرحان، موضي عبدالله/ بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين (٥٠٤-٦٩٠هـ/ ١١١٠-١٢٩١م).- الرياض: المؤلفة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٣٩٠ص.

أدت بيروت دورًا بارزًا في أحداث الحركة الصليبية، إذ كانت تتمتع بموقع إستراتيجي يسمح لها بالتحكم في أخطر ممر على الساحل الذي يفصل بين شمال المملكة الصليبية وجنوبها. وقد دفع ذلك الصليبيين إلى بذل كل جهودهم للسيطرة على هذا الممر المهم وعلى المدينة نفسها سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م، واتخذوها قاعدة انطلقوا منها للسيطرة على المناطق المجاورة.

يعنى هذا الكتاب بدراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية في بيروت في تلك الفترة، كما شملت الدراسة أيضًا العمائر الدينية والمدنية التي اتضح فيها تأثر المجتمع الصليبي بالعمارة الشرقية، وقد عالجت المؤلفة ذلك في خمسة أبواب وخاتمة، فتناولت في الفصل الأول «سقوط بيروت في يد الصليبيين وتأسيس إقطاع بها سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م»، وفي الثاني «فترة الحكم الصليبي الأولى لبيروت سنة ٥٠٤-٥٨٣هـ/ ١١١٠-١١٨٧م»، وفي الثالث «فترة الحكم الصليبي الثانية لبيروت حتى نهاية العصر الأيوبي سنة ٥٩٣-٦٤٨هـ/ ١١٩٧-١٢٥٠م»، وخصصت الفصل الرابع لـ «الجهاد ضد الصليبيين حتى استرداد بيروت سنة ٦٤٨-٦٩٠هـ/ ١٢٥٠-١٢٩١م»، وختمت فصول الكتاب بتناول «الأحوال الاقتصادية والنظام السياسي والأحوال الاجتماعية»، وشملت الخاتمة أهم النتائج التي استخلصتها المؤلفة من دراستها لتلك المدينة المهمة، ومجموعة من الملحقات التي لها صلة بالكتاب.



الربيع، محمد بن عبدالرحمن (وآخرون)/ الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب.- بريدة: نادي القصيم الأدبي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٧٠ص (رقم ٥٩).

صدر هذا الكتاب متزامنًا مع احتفال المملكة باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية، وهو في الأصل ندوة أدبية أقيمت في نادي القصيم الأدبي سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م بعنوان «الأدب السعودي في عيون النقاد العرب. اشترك فيها د.محمد الربيع، ود.حمد الدخيل، وقدم لها واشترك فيها د.حسن الهويمل، وأضيف إليه ثبت بما كُتب عن الأدب السعودي من كتب وبحوث ومقالات.

قدم المؤلفون للكتاب بالحديث عن نشأة الأدب السعودي، ورصدوا البدايات الأولى لالتفات الدارسين العرب إليه، وأسباب اهتمامهم به، ومرحلة ظهور التأليف المتخصص في الأدب السعودي.

وتناول الكتاب مشكلة غياب الكتاب السعودي عن الساحة الفكرية في العالم العربي، وتأثير هذا الغياب في اهتمام الدارسين العرب بالكتاب السعودي.

عالم الفكر (مج ٣٠، ع١، يوليو - سبتمبر ٢٠٠١م)



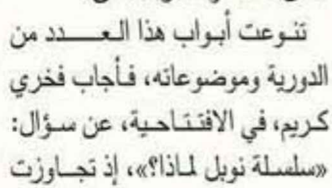
مجلة دورية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. وقد حفل هذا العدد بمجموعة من الدراسات المتنوعة التي شملت الفلسفة والأدب والسياسة ومشكلات البيئة وبدأت بموضوع فلسفي عنوانه: «جدل المثالية والواقعية عند برتراند رسل» للدكتورة يمنى طريف الخولي، وتناول الدكتور محمد مشبال «البلاغة ومقولة الجنس الأدبي»، وبيّن الأستاذ حبيب أعراب مفهوم «الحجاج والاستدلال الحجاجي: (عناصر استقصاء نظري)»، وفي دراسة مقارنة أوضح الأستاذان محمد عبدالكريم الجراح وفتحي طالب الجراح أوجه الشبه بين «مسرحيتي أوديب ملكاً وأوديب في كولون بين الأسطورة اليونانية والقصة التوراتية»، وقدم الأستاذ سمير صالح شرحاً مفصلاً لمصطلح «سينما المعتقل»، وبحث الأستاذ سمير الزين في مستقبل المنطقة «الشرق أوسطية ومستقبل المنطقة العربية»، وقدم الدكتور جاسم الحسن، في آخر بحوث الدورية، عرضاً وتحليلاً لكتاب لورين اليوث «السياسة العالمية والبيئة».

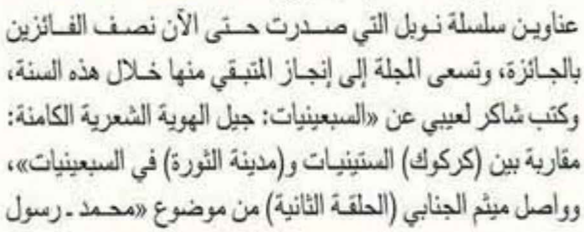
العنوان: ص.ب: ٢٨٦١٣، الصفاة - الرمز البريدي: ١٣١٤٧. دولة الكويت.

المدى (س ٣، ع ٣٣، ٢٠٠١م)

مجلة فصلية ثقافية تصدرعن دار المدى للثقافة والنشر، دمشق.

تنوعت أبواب هذا العــدد من الدورية وموضوعاته، فأجاب فخري كريم، في الافتتاحية، عن سؤال: «سلسلة نوبل لماذا؟»، إذ تجاوزت عناوين سلسلة نوبل التي صدرت حتى الآن نصف الفائزين بالجائزة، وتسعى المجلة إلى إنجاز المتبقي منها خلال هذه السنة، وكتب شاكر لعيبي عن «السبعينيات: جيل الهوية الشعرية الكامنة: مقاربة بين (كركوك) الستينيات و(مدينة الثورة) في السبعينيات»، وواصل ميثم الجنابي (الحلقة الثانية) من موضوع «محمد - رسول الإرادة: الكينونة الروحية للنبوة المحمدية».





وفي باب الشعر، جاء عدد من القصائد لعدد من الشعراء، منهم: سليمان جوني، ويوحويطا أحمد، وجودت حسن، ود. عبدالله حمادي، إلى جانب قصص لكل من: إبراهيم الحجري، وجمال فُوغالي، وزهير شليبة وغيرهم، ومن الأبواب الأخرى: حوار المدى، وهذا الكتاب، وتراث، ومسرح، وتقارير ورسائل، ونافذة أخيرة.

الجدير بالذكر أن مجلة «اللحظة الشعرية» التي حالت ظروفها دون الصدور منفردة، أصبحت تصدر من خلال صفحات «المدى»، وقد صدر العدد الثامن منها مع هذا العدد، وهو يحوي كثيراً من البحوث والدراسات المتصلة بالشعر، منها: «قصائد ... » ليوسف عبدالعزيز، و«قراءة شاعر في (مـر القطار)» لفوزي كريم، و«مملكة الشعر، إمبراطورية النثر» لعلي الشوك، و«يوميات اللحظة الشعرية» لسعدي يوسف.

العنوان:

ص.ب: ٨٢٧٢ - سورية - دمشق

تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ - ناسوخ: ٢٣٢٢٢٨٩

بيادر (ع ٣٢، المحرم ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)



دورية فصلية ثقافية وإبداعية تصدر عن نادي أبها الأدبي.

ويحوي هذا العدد كثيراً من البحوث والدراسات الأدبية المتنوعة في شتى مجالات الأدب، بدأت بموضوع «العلائق الإيجابية بين الفصحى والعامية»، في باب دراسات، للدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، وقدّم د. عبدالكريم بكار بعض المعلومات عن «العولمة والحلول المركبة»، وختم بحوث الباب المهندس أيمن محمود عبدالله بموضوع عن «الخط ودلالاته في التكوين المعماري».

وجاء في باب «شخصيات» لقاء مع الشاعرة الدكتورة فاطمة القرني، وتضمن باب «واحات» عدداً من القصائد بأقلام الشعراء: د. صالح الزهراني، وإبراهيم طالع الألمعي، وعلي مفرح الشوابي، ومطلق محمد شايع، وجاسم محمد الصحيح، وعلاء الدين العرابي، ود. حمود الصميلي، وخالد الأنشاصي، واشتمل باب

«سـرديات» على عـدد من القـصص القصـيـرة من تأليف: البـراق أحمد الحازمي، وممدوح القديري، وإبراهيم مضواح الألمعي، ونادية الفواز.

وتضمن باب «بدايات» ـ وهي صفحات مشرعة لأولئك القادمين الجدد إلى ساحات الإبداع ـ مشاركات شعرية ونثرية بأقلام: موسى يحيى حسن محرق، وعبير حسين الشهراني، وسعد ظافر الأحمري، ووليد مسلمي.

وضم العدد بعض الأبواب الثابتة مثل: «قراءات»، وهو باب يختص بالقراءات النقدية والانطباعية لنتاج أدباء عسير، و«فضاءات» لأنور محمد خليل عسيري.

العنوان: ص.ب: ٤٧٨، نادي أبها الأدبي، المملكة العربية السعودية
تلفون: ٢٢٤٤٢١٠ ـ ناسوخ: ٢٢٦٢١٦٥

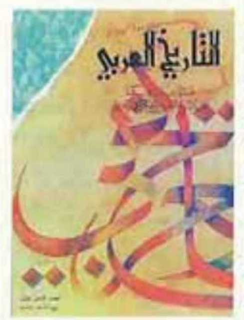
الإداري (س٢٣، ع٨٥، ربيع الأول/يونيو ٢٠٠١م)

دورية متخصصة في مجال العلوم الإدارية تصدر عن معهد الإدارة العامة بمسقط. وحفل هذا العدد بكثير من البحوث العلمية والنظرية والميدانية تعرضت في بدايته الدكتورة أمة اللطيف بنت شرف شيبان لـ «تجربة معهد الإدارة العامة بسلطنة عُمان في مجال البحوث»، وحدّد الدكتور عبدالمنعم حسن شافعي «اتجاهات تنمية تسويق دوريات الإدارة العربية وسط الممارسين للأنشطة الإدارية (تجربة دورية الإداري ـ معهد الإدارة العامة بسلطنة عُمان)»، وناقش الدكتور عمر أحمد العوض «ثقافة التدريب في الوطن العربي»، وتناول الدكتور محمد أمين محيي الدين السيد علي «المفهوم الحديث للتسويق في قطاع الصناعات الغذائية في الأردن»، وختم بحوث العدد الدكتور عبدالله بن عبدالغني الطجم ببحث عنوانه «قياس درجة تأثير العاملين على أنواع القرارات التنظيمية لاختيار إستراتيجية التغيير للتطور التنظيمي».

وفي باب «قراءات»، قدم الدكتور محمد عبدالمعطي عبد الغفور عرضاً وتحليلاً لـ «القانون المصرفي الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٠/١١٤) سلطنة عُمان»، ختمت الدورية بباب «وثائق وتقارير»، الذي جاء فيه أخبار «الاجتماع الثالث لمديري وقيادات معاهد ومدارس الإدارة العربية، مسقط ١ ـ ٢ أبريل ٢٠٠١م»، و«المؤتمر العربي الأول للبحوث الإدارية والنشر، مسقط ٣ ـ ٤ أبريل ٢٠٠١م».

العنوان: ص.ب ١٩٩٤، الرمز البريدي: ١١٢ ـ مسقط ـ سلطنة عُمان
تليفون: ٦٩٩٠٠٨/٦٠٢٣٨٦/٦٠٢٢٥٢ ـ ناسوخ ٦٠٢٠٦٦

التاريخ العربي (ع١٨، ربيع ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)



مجلة علمية محكّمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة بالرباط.

حفل هذا العدد من الدورية بكثير من البحوث والدراسات المتعلقة بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي، فتناول الدكتور عبدالكريم كريم «صورة الملك عبدالعزيز آل سعود من خلال بعض الرحلات المغربية إلى شبه الجزيرة العربية في الفترة ما بين ١٣٤٨ و ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٠ و ١٩٣٨م»، وحدّد الدكتور خالد إسماعيل نايف الحمداني «العلاقة بين أمويي الأندلس والخلافة العباسية»، وشرح الدكتور أحمد الوارث «الأزمة في المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل العلوي ومحاولة تأسيس طبائع جديدة للملك»، وحلّل الدكتور سعيد بن عمر آل عمر تاريخ «إمارة فضل بن علوي في ظفار بين الدعم العثماني والرفض العُماني البريطاني (١٢٩١ ـ ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٤ ـ ١٨٧٩م)»، وعدّ الدكتور عبدالحفيظ حمّان «رسالة (شكاية الدين المحمدي إلى رعاية الموكلين به) نموذج من التواصل الثقافي بين السودان الغربي والمغرب في مسألة محاربة البدع في بداية القرن التاسع عشر»، وغير ذلك من البحوث.

وفي باب «ديوان المجلة» كتب الشاعر عبدالواحد أخريف قصيدة بعنوان «موكب البشرى»، وجاءت قصيدة الشاعر محمد الحلوى بعنوان «شاعر الحمراء».

العنوان: جمعية المؤرخين المغاربة: قصبة الأوداية ـ الرباط ـ المملكة المغربية.

تلفون: ٥٤ ـ ٢٩ ـ ٧٣، ٧٠ ـ ٣٥ ـ ٧٢
ناسوخ: ٣٠ ـ ٧٥ ـ ٢٠

العلاج عبر الإنترنت.. انطلاقة واعدة

أبو بكر خالد سعدالله
عناصر القبة - الجزائر

صارت شبكة الإنترنت تؤدي دوراً مهماً لحل القضايا المتعلقة بالصحة والعلاج، مع أن الخبراء يقدرون تخلف القطاع الصحي في حقل خدمات الإنترنت بثلاث سنوات موازنة بالمجالات الأخرى، ولذا تكاثرت المواقع الطبية والصيدلانية على شبكة الإنترنت بشكل مذهل ابتداء من عام ١٩٩٩م، إلى أن تجاوز عددها مئة ألف موقع، وقد يعتقد بعض الناس أن هذه الظاهرة تقتصر على اتصال المرضى بأطبائهم عبر البريد الإلكتروني أو من خلال المواقع المتخصصة في الطب والعلاج بدل الاتصال الهاتفي أو الفاكسي. إن الأمر تجاوز هذه المرحلة، فقد ذهب بعضهم إلى الحديث أكثر فأكثر عن ثورة في عالم الطب والصيدلة بدأت تأتي بتحولات اجتماعية خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

توجد على شبكة الإنترنت مواقع صحية مختلفة حكومية وغير حكومية، ومنها التابعة لجمعيات المرضى. أما تسييرها فتعنى به الجامعات والهيئات الصحية ومراكز البحوث، وكلها تزود مستعملي الشبكة بشتى المعلومات، وتقدم لهم خدمات طبية لا تضاهى. وتشير الإحصاءات التي تنشرها المجلات الصحية المتخصصة مثل British Medical Journal، إلى أن هناك عشرين ألف موقع في الولايات المتحدة، وهو رقم يفوق عدد المستشفيات الأمريكية، أما عدد الزوار فيفوق ربع مستخدمي الإنترنت، كما أن ثلث مستخدمي الشبكة سبق لهم شراء منتجات صحية مثل التأمينات والأدوية.. إلخ. ولذلك تزايد اهتمام المستثمرين بالنشاطات الخاصة بالخدمات الطبيه على الخط (أونلاين).

الموضوعات المطروقة

وأهم الموضوعات التي تتطرق إليها تلك المواقع هي:

- علاج بعض الأمراض وشرح مسبباتها.
- الأخبار الطبية المصحوبة بتعليقات أطباء مختصين، والنصائح الوقائية والعلاجية، كتلك الموجهة إلى النساء الحوامل، وربات البيوت، لوقاية الأطفال والرضع.
- أخبار الأدوية وكيفية استعمالها وآثارها السلبية وتفاعلاتها فيما بينها، وهو ما يسمح للمريض التأكد من عدم وجود تفاعلات مضرة بين الأدوية الموجودة في وصفات العلاج التي يمنحه إياها الأطباء.
- الإقلاع عن التدخين.
- الدليل الطبي، مثل كيفية التعامل مع الحرائق والتلقيح عند التوجه إلى الخارج، والأدوية المتاحة هناك في البلدان الأجنبية.
- التعريف بفوائد الأغذية والأدوية ومضارها وتفاعلاتها.
- تكوين روابط بين المرضى وشركات التأمين والأطباء والمختصين ومراكز التحليل الطبي والمستشفيات.
- تقديم نصائح لمن تتطلب حالتهم الصحية دخول المستشفى لإجراء بعض الفحوص أو العمليات.

وقد يلاحظ القارئ أن مثل هذه المعلومات موجودة في الكتب والصحف والمجلات الطبية، وقنوات الإعلام الأخرى، وبعضها على شبكة الإنترنت ذاتها. فما الجديد الذي تأتي به المواقع الطبية؟

إن ما يميز تلك المواقع الطبية هي أنها ترتبط فيما بينها. فمثلا عندما تضغط على عنوان (مرض السل) تظهر أمامك قائمة بالعلاجات الممكنة. وحينئذ يكفي الضغط على أحد الأدوية لتشاهد على الشاشة بطاقة فنية حول ذلك الدواء. وفي كل مرة تجد روابط أخرى للاستزادة من المعلومات التي ترغب في الحصول عليها. وحتى تحافظ هذه المواقع على زبائنها، وتكسب المزيد منهم، تقترح عليهم خدمات شخصية كفتح «غرف» المناقشات والدردشة حول مرض أو دواء أو موضوع صحي معين يشغل بال بعض المرضى أو ذويهم. ويتدخل الطبيب أو المختص معهم في هذه المناقشات بوصفه موجهاً ومرشداً. وقد أظهرت الإحصاءات في الولايات المتحدة أن أكثر من ٨٥٠ مجموعة نقاش تكونت منذ سنتين وتجلب شهرياً مليوني شخص ونصف المليون.

ويرى المتتبعون لشؤون الإنترنت أن المواقع الطبية ساعدت المواطن في البلاد المتقدمة على اكتساب ثقافة صحية واسعة، مما حفّز الأطباء إلى تحسين نوعية خدماتهم: (٨٥٪) من الأطباء الأمريكيين يستخدمون الإنترنت، ويستعملها الكثير منهم (٦٣٪) في الاتصال بمرضاهم. وقد لاحظ الأطباء أن في ذلك منافع كثيرة، منها كسب الوقت بالنسبة إلى الاتصالات الهاتفية والحفاظ على الاتصال بالمرضى خارج مواعيد الاستشارات.

ومع أن البلدان الأوربية لم تعرف بعد القفزة الهائلة التي شهدتها الولايات المتحدة في هذا المجال، فإن الإحصاءات تشير إلى أن نسبة عدد زوار المواقع الطبية الأوربية في شهر يناير/كانون الثاني ٢٠٠٠م من العدد الإجمالي لمستخدمي الشبكة قد بلغ ١ر٦٪ في إنجلترا، و ٨ر٥٪ في فرنسا، و ٢ر٣٪ في ألمانيا. لكن المدة المتوسطة التي يقضيها الزائر في الموقع الطبي تقدر بـ ٥ر٢ دقيقة في إنجلترا، و ٤ر٧ دقيقة في فرنسا، ٥و٨ دقائق في ألمانيا. أما في الولايات المتحدة فإن ثلثي المبحرين عام ١٩٩٩م زاروا المواقع الطبية.

الملف الطبي: محاذير وفوائد

وإذا ما أمعنا النظر في الفوائد التي يجنيها مستخدم الإنترنت من المواقع الصحية فإنه لا يمكن تجاهل ما يسمى بالملف الطبي الافتراضي. فما هذا الملف؟ يضع الشخص في موقع خاص على الشبكة المعطيات الطبية المتعلقة به، ويواصل تزويده بكل جديد يطرأ على صحته. فإن أجرى - مثلاً - تحاليل



طبية، وتحصل على نتائجها يمكنه إدخالها في ملفه الافتراضي. وعندئذ يتمكن المريض من استشارة طبيب آخر بعيد عن مكان إقامته دون أن ينتقل إليه المريض. يتم ذلك بتزويد الطبيب بكلمة المرور الخاصة بالملف الطبي المنسوخ على الإنترنت فينفذ إليه الطبيب، ويطلع على جميع المعلومات المسجلة فيه.

ومن ثم يقوم الطبيب بفحص المريض عبر ملفه دون أن يراه. وفي كل الأحوال فأنت غني عن حمل ملفاتك الطبية معك عندما تذهب لزيارة أي طبيب حتى لو تطلب الأمر تنقلك إلى العيادة. وقد اختصت بعض المواقع في تسيير مثل هذه الملفات وتقنينها ومتابعتها، إذ تقدم للمشترك نصائح شخصية، وتشعره عندما يحين موعد تجديد الفحوص الطبية، إلخ. والجدير بالذكر أن المستشفيات الأمريكية تسعى إلى استغلال هذه الأداة الجديدة لتطوير سبل التكفل - عبر الإنترنت - بالمرضى القاطنين خارج المدن.

والملاحظ أن الملف الافتراضي قد وجد نجاحاً كبيراً في الولايات المتحدة؛ لأن النظام الصحي هناك يتيح للمريض الاطلاع على ملفه الطبي كاملاً، لكن بعض البلدان الأخرى تلزم الطبيب قانونياً عدم كشف بعض الأسرار الطبية حتى للمريض ذاته.

فكيف يمكن في هذه البلدان أن يتولى المريض متابعة ملفه الطبي وتزويده بالمستجدات؟ ومن ثم تطرح الآن في هذه البلدان قضية إصلاح المنظومة الصحية ليتسنى للمرضى الاستفادة من أداة الملف الافتراضي. غير أن هناك التخوفات التي تحيط بالملفات الطبية الافتراضية بسبب احتمال تعرضها للاختراق من خلال الشبكة. ذلك أن هذا الملف لا بد أن يسيّره أحد المزودين المتخصصين في خدمات الإنترنت، فمن يضمن عندئذ أن المعلومات الموجودة في الملف ستبقى سرية، ولا يتجسس عليها المزود لبيع شركات التأمين - مثلاً - بعض معلوماتها؟ ولذلك اقترح بعضهم أن تقوم الدولة بتسيير هذه الملفات حفاظاً على حقوق المواطن وأمنه.

ويذهب بعض الخبراء إلى حد التشكيك في الفحوص الطبية من خلال الشبكة ومدى جدواها: إن لزم فحص جسم المريض فكيف يمكن القيام بذلك من خلال الإنترنت؟ أليس من الجائز أن يعدل الطبيب عن ذلك لإرضاء رغبة المريض مكتفياً بتقديم خدمة عن بعد لتقاضي أجر عليها؟! إلا أن الدافعين عن المواقع الطبية يؤكدون أنهم يقدمون استشارات طبية، وليس فحوصاً طبية. لكن كيف نفصل عملياً بين الاستشارة والفحص؟ ذلك هو الإشكال الذي يحمل طابعاً قضائياً وقانونياً.

وما يزيد الطين بلة هو أنه حتى لو سنّ بذلك قوانين خاصة بممارسة الطب والصيدلة من خلال الإنترنت فإن المواطنين يستطيعون اللجوء إلى مواقع أجنبية مفتوحة بلغتهم تقدم لهم الخدمات على مزاجها دون الاكتراث بقوانين بلادهم.

ولتقنين هذه الممارسات في المجال الصحي وضعت بعض المؤسسات مقاييس لتحديد النوعية تبنّتها عدة مواقع. كما تولت مؤسسة «الصحة على الإنترنت» Health on the Net الموجودة في جنيف نشر مقاييس نوعية نالت بعض الصدى. ومن جهة أخرى فتحت وزارة الصحة الأمريكية موقعاً لتوجيه مستخدمي الإنترنت في هذا المجال.

ومن المعلوم أن أزمة المنظومة الصحية قد تفاقمت خلال السنوات الأخيرة بالولايات المتحدة؛ مما زاد في أسعار الفحوص الطبية دون تحسن نوعية العلاج. ومن ثم استغل مطورو المواقع الصحية من خلال الشبكة هذه الفجوة التي أحدثتها كثرة المنازعات الناشئة بين أطراف متعددة (الأطباء والمرضى والمؤسسات الطبية). ويعمل المستثمرون الآن على استغلال الإنترنت بربط الجميع في شبكة علاجية تشمل المستشفيات والأطباء، والتسيير الإلكتروني للعيادات الطبية، وتسيير الملفات الطبية «على الخط»، ويتطلب هذا الأمر دراسة المستجدات على مستوى القوانين وأخلاقيات مهنة الطبيب والصيدلي والعامل في القطاع الصحي، إذ يلاحظ خبراء الاتصال أن الصعود السريع الذي عرفته المواقع الصحية نمت معه فوضى عارمة مثل تقديم أدوية غير خاضعة للمراقبة، ووجود مواقع لا تحترم الأخلاقيات العلمية بانحيازها الواضح إلى مموليها.

وواكبت المواقع الطبية مواقع صيدلانية على «الخط» تهتم بتسويق الأدوية من خلال الإنترنت. وهكذا عرفت هذه المواقع نجاحاً منقطع النظير منذ نشأتها عام ١٩٩٨م في أمريكا، والدليل على ذلك دخولها سوق البورصة عام ١٩٩٩م، وسعي الوكالة الفيدرالية الأمريكية للدواء Federal Drug Abency إلى تنظيم هذا القطاع حتى توفر للمريض ضمانات صحية ملائمة.

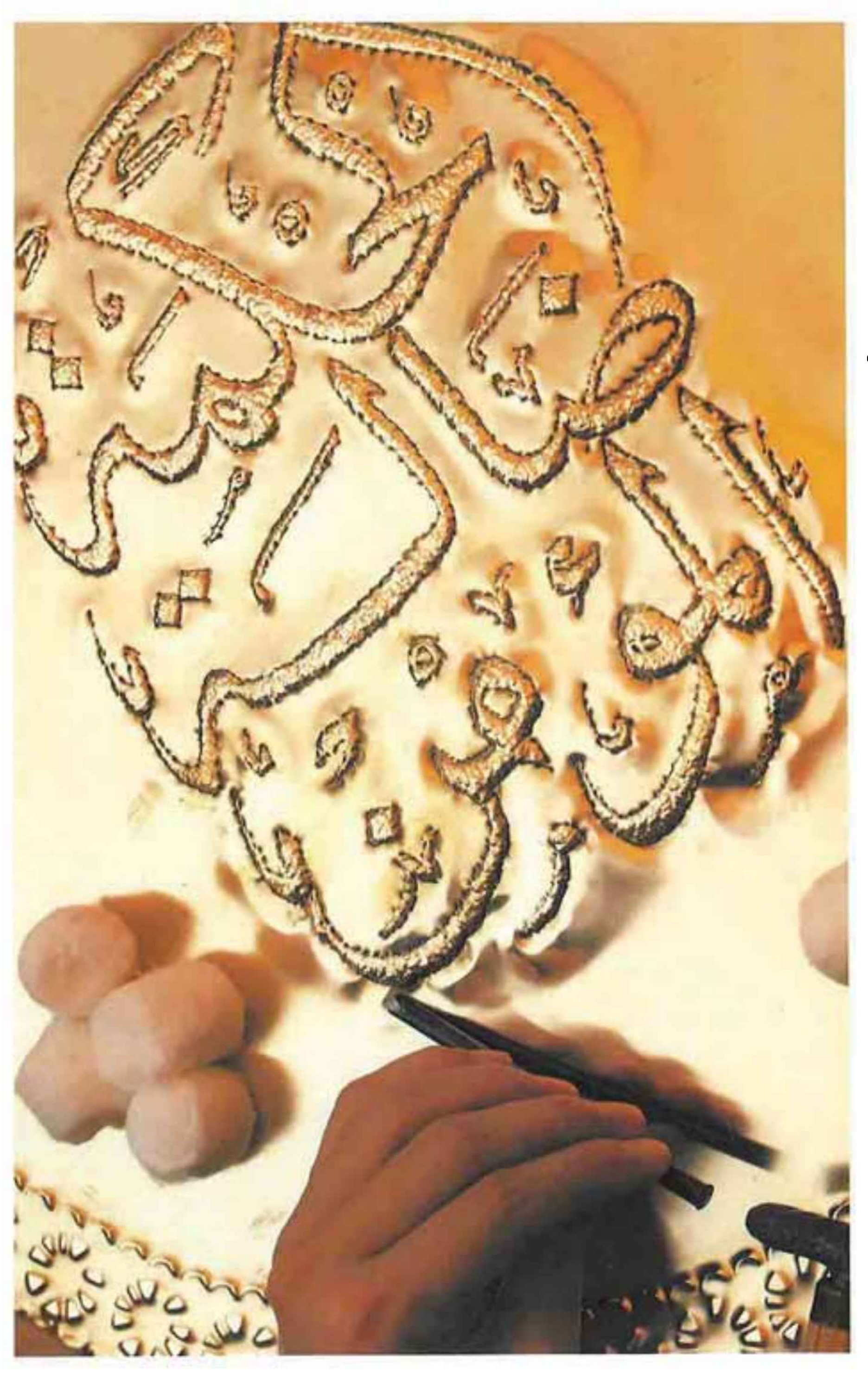
المراجع

. مواقع صحية وصيدلانية على شبكة الإنترنت:

- http://www.sciencesetavenir.com
- http://www.healthshop.com/.
- http://www. drugstore.com/.
- http://www.intelihealth.com/.
- http://www.drkoop.com.
- http://www.medline.com.
- http://www.medcost.FR.

. مقالات:

- De Tricomot A, Et quand je clique la, ca fait mal, l'Expansion, Marsh 2000.
- G. Eysenbach et al.: Schopping around the Internet Today and Tomorrow: Towards the millenium of Cybermedicine, BMI, 319, 1294, 1999.
- K.D. Mandl et al: Electronic Patient - phyician Communication: problems and Promises Annals of Internal Medicine, 129, 494, 1998.
- Mathieu L. & Tourbe C.:L'irresistible Essor de la Medecine en Ligne, Quoi de neuf? Les e - docteurs! Sciences et Avenir, 637, Marsh 2000.
- Millett A.: L'avenement de la cybermedecine, La Recherche, 328, February 2000.
- Vittori J. - M: Davos, le village Ou Internet Devint une Religion, Challenges, 145, Marsh 2000.



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت وماتزال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح .

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر .

نعتزّ بقيمنا

شركة الراجحي المصرفية للاستثمار
AL RAJHI BANKING & INVESTMENT CORP.